شعائر

شهرية تعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية والثقافة الأخلاقية
العدد الستون، السنة الخامسة، جمادى الأولى ١٤٣٦ - شباط/ آذار ٢٠١٥

للملف:
التوسل بالزهراء عليها السلام
الإجماع على شرعيّته وفضيلته

بسملة:
الإمام الخميني قبل خمسين عاماً:
إحذروا «إسرائيل»، والإسلام الأمريكي الوهابي

أحسن الحديث
العلامة الطّباطبائيّ:
كلمة الحق وحدود الحريّة

كتاباً موقوتاً
صلاة جعفر الطّيّار رضوان الله عليه:
ملاذ الأجيال المحمّدية

أعلام
أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضوان الله عليها:
شاهدة وشهيدة

مرابطة
السيد نصر الله في الخطاب المنعطف
العالم.. ساحة مقاومة

تحقيق
مقام ولدَي الشهيد مسلم بن عقيل:
ذبيحان على شطّ الفرات

هذه المجلّة

شعائر

الإسلام «فقه القلب والحياة» وخاتمة الرسالات الإلهية للعالم كله، لذلك تحرص «شعائر» على:

تقديم المفاهيم الإسلامية في سياقها الإنساني ـ الإجتماعي: الفرد في قلب حركة الحياة، وفي سياقها العالمي: «الحمد لله رب العالمين». والأسرة الواحدة: «يا بني آدم»، «ياأيها الناس»، «كلمة سواء».

تظهير ثقافة «شعائر الله» بما هي ثقافة «حبِّ الله»، الدليل على سلامة الإعتقاد به سبحانه، وعليه يتفرع كل حب سليم، «وهل الدين إلا الحب».

نشر ثقافة «الشعائر» بالإختيار من بين الأجود لجودته، وبقطع النظر عن أي اعتبار آخر.

مقياس الجودة: الإنسجام مع الثوابت العقائدية والشرعية وحسن العرض، ومخاطبة العقل والقلب، والتوازن بين النظرية والتطبيق بما يعني خاصّة من عدم ضمور البعد العملي.

أولوية ثقافة الشعائر العقائدية- الولائية: «من أراد الله بدأ بكم»، «بكم ائتلفت الفُرقة». والأخلاقية: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

تظهير منظومة ثقافة «شعائر الله» في البعد الفكري والثقافي والأخلاقي، كناظم إلهي قانوني للمعتقد والسلوك والحرية، عبر مرجعية القرآن الكريم، والحديث الشريف الصادر، لتأخذ «الشعائر» مدارها، كما حدد النص المعصوم تراتبيتها والأولويات، في مساري الأحكام الخمسة، والأعمال المؤقتة.

نلتزم بعناية تظهير أنظمة العبادات الموزعة على مساحة العمر والحالات، في مجالي تهذيب النفس، وتحصينها من الآفات، ومردّ هذه العناية كون التطبيق والعملانية محور الشعائر وجوهرها، لملامسة الشعائر للمشاعر، وكونها تتلخّص في حثّ النفس على العمل في صراط الفطرة.

شعائر

مجلة شهريّة تُعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

علم وخبر 287/ 2009

العدد الستون ، السنة الخامسة، جمادى الأولى ١٤٣٦ - شباط/ آذار ٢٠١٥

المدير المسؤول

خضر إبراهيم حيدر

الإخراج الفنّي

أحمد شقير - محمد كوراني

الخطّاط

علي زينة

الإشتراك السنوي

داخل لبنان 60 ألف ليرة لبنانية بما فيه أجور البريد

دول عربية وإسلامية، وأوروبا وأمريكا الشمالية

تضاف أجور البريد

الأسعار

لبنان: ٥٠٠٠ ل.ل. - سوريا: ٥٠٠ ل.س. - العراق: ٤٠٠٠ دينار - مصر: ١٧ جنيه - السودان: ٢٠ جنيه

المغرب: ٣٠ درهم - الجزائر: ٢٥ دينار - السعوديّة: ٢٠ ريال - تونس: ٣ دينار - اليمن: ٢٢٥ ريال - الأردن: ٢ دينار

- الإمارات: ١٥ درهم- البحرين: ١،٥ دينار - قطر: ٢٠ ريال - الكويت: ١،٢٥ دينار - عمان: ١،٥ ريال

تضاف أجور البريد

العنوان

بيروت - الرويس - المركز الإسلامي

03/725246 - 01/544955

ص.ب: 25/5141

www.saraer.org/shaaer

shaaer@saraer.org

60

شعائر

مجلة شهريّة تعنى بالمعرفة الدينيّة الإسلاميّة والثقافة الأخلاقيّة

تصدر عن المركز الإسلاميّ في بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات العدد

بسملة — احذروا "إسرائيل"، والإسلام الأمريكي الوهّابي ..... الشيخ حسين كوراني — 6

تحقيق — مقام ولدي مسلم بن عقيل في المسيّب ..... محرّر "شعائر" — 8

مراقبات — أعمال شهر "جمادى الأولى" ..... إعداد: "شعائر" — 12

أحسن الحديث — موجز تفسير سورة "الحشر" ..... سليمان بيضون — 16

حرّية الإنسان ..... العلّامة السّيّد الطباطبائي قدس سره — 18

أيام الله — مناسبات شهر جمادى الأولى ..... إعداد: صافي رزق — 21

وقال الرسول — المال: آفاته وفوائده ..... إعداد: "شعائر" — 24

حدود الله — من أحكام الغيبة، والتّورية، والاستخارة ..... إعداد: "شعائر" — 25

يزكّيهم — "لا تنازعوا على بيوت العنكبوت" ..... الشّيخ بهجت قدس سره — 26

الملف — التّوسّل بالزّهراء عليها السلام: إجماع الأمّة على شرعيّته وفضيلته — 27

استهلال: استحباب زيارة فاطمة عليها السلام ..... الحرّ العامليّ رحمه الله — 28

إن قلتَ فاطمة، فقد قلتَ "رسول الله" ..... الشّيخ حسن كوراني — 29

التّوسّل بالزّهراء عليها السلام ..... الشّيخ حسين كوراني — 32

مرابطة — العالَم.. ساحة مقاومة —

لولا دعاؤكم — دعاء المعراج، و"سريع الإجابة" ..... إعداد: "شعائر" — 43

صاحب الأمر — خوف الحكّام من المهديّ الموعود عجل الله فرجه ..... الشّيخ علي كوراني العاملي — 44

محتويات العدد

كتاباً موقوتا	صلاة جعفر بن أبي طالب	الفقيه الحرّ العامليّ قدس سره	46
يذكرون	أذكر الموت، ووحدتك في قبرك	المحدّث الفتّال النّيسابوري قدس سره	47
حوارات	الشّيخ محمّد السند: إجابات في السّير والسّلوك	إعداد: "شعائر"	48
فكر ونظر	تحديد الكبائر في الأخبار	المحقق الشيخ ضياء الدين العراقي	52
	خواطر الظّنون: أقسامها وشروحها	المُلاّ هادي السّبزواري قدس سره	54
أعلام	أمّ المؤمنين أمّ سلمة رضوان الله عليها	إعداد: سليمان بيضون	57
كلمة سواء	مبدأ الرّحمة في الاختلاف	الشّيخ عارف هنديجاني فرد	61
وصايا	وصيّة الإمام الكاظم عليه السلام	إعداد: "شعائر"	62
مرابطة	العالَم.. ساحة مقاومة	محمود إبراهيم	64
	خيار العقلاء الشجعان	د. أمين حطيط	65
	قواعد الاشتباك	جوزيف الهاشم	66
دوائر ثقافية			67
موقف	تلاوة الرّأس الشّريف آيات من القرآن	الشّيخ الصّدوق قدس سره	68
فرائد	مهالك سوء الظنّ بالآخرين	إعداد: "شعائر"	69
قراءة في كتاب	"موت الغرب"	تقديم: محمود إبراهيم	70
بصائر	أوّل الدّين معرفته	السيّد محمّد تقي النّقوي رحمه الله	72
بصائر	فضلٌ في العفو، وعدلٌ في العقاب	السّيّد عبد الله شبّر رحمه الله	73
مصطلحات	نفي الصّفات	الشّيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله	74
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ شعر	إعداد: جمال برو	76
إصدارات	عربية، أجنبية، دوريات	إعداد: ياسر حمادة	79
أيّها العزيز	احملوا القرآن بيد، وباليد الأخرى السّلاح	الإمام الخمينيّ قدس سره	82

بسملة

الإمام الخميني قبل خمسين عاماً:
إحذروا «إسرائيل»، والإسلام الأمريكي الوهّابي

■ بقلم: الشيخ حسين كوراني

«إنّ أهل السّنّة أنفسهم
لا يعترفون بالوهّابيّين».

الإمام الخميني ٢ ربيع الأول ١٤٠٢ هجريّة

قبل ثلاثة عقود ونصف كانت أميركا توشك أن تجهز على «الاتّحاد السوفييتي» لتصبح «القطب الأوحد».

وكانت «إسرائيلها» قد شرّدت الملايين من الشّعب الفلسطيني، وحوَّلت بيوت مَن بقي منهم إلى مقاصل وطوامير وزَنازين.

وقتها، كان حجر الزاوية في المشروع الغربي للإمساك بتلابيب الأمّة والعالم في هذا الشرق الاستراتيجيّ في كلّ خصائصه - وأوّلها الفكر والحضارة - هو الغدّة السرطانيّة بوجهَيها الصّهيونيّ، والوهّابيّ.

كم هو الفرق فلكيّ، بين ما كان عليه المشهد السياسيّ العالميّ والإقليميّ، وبين الراهن السياسيّ المعاصر؟

هل يشكّ منصف، في أنّ كلّ هذه الانتصارات رهن توفيق الله تعالى لعبدَين صالحَين من عباده ومسدَّدين: الإمام الخمينيّ، وتلميذه الإمام الخامنئيّ؟

أيسر واجب الوفاء للإمام الخمينيّ أن نعرف كيف أسّس لهذا الراهن الذي تحقّق على يد تلميذه الظاهرة.

وأيسر واجب الوفاء للإمام الخامنئيّ أن تلتقط الأجيال مدار منظومته العقديّة ورؤاه التوحيديّة المتماهية مع سياسة «قادة البلاد، وساسة العباد»، التي مكّنته من ضبط مسار «خطّ الإمام» الذي هو «الإسلام» ومواصلة الزحف برايته الخفّاقة، يُرْقِل بها من نصرٍ إلى نصر، يدعو الأجيال إلى نعيم عقلانيّتها والتحرّر، باسم «مدرسة السيّد علي القاضي، القدوة للجميع: العلماء الكبار والصغار، وجميع الناس والشباب بالخصوص».

***

قبل خمسين سنة، هي نصف قرنٍ بالتمام والكمال، كان للإمام الخمينيّ خطاب نقرأ في مشخّصاته في «صحيفة الإمام، ج١، ص: ٣٤٣» ما يلي:

* التاريخ ١٨ شهريور ١٣٤٣ ه. ش/ ٢ جمادى الثانية ١٣٨٤ ه. ق
* المكان: مدينة قم، المسجد الأعظم.
* المناسبة: بدء الدروس الحوزوية.
* الموضوع: التحذير من خطر نفوذ إسرائيل في إيران ومؤامرات الاستعمار في الدول الإسلاميّة.
* الحضور: علماء الدين وطلبة العلوم الدينية وجمع من كَسَبة وأهالي قم.

بعض ما في هذا الخطاب التاريخيّ:

«والآن فإنّ الكثير من أفضل مزارع إيران بيد إسرائيل، لقد قال لي أحد كبار هؤلاء المسؤولين حين التقاني: إنّ قضيّة إسرائيل منتهية، (أي لا تحاربوها) ولا أعلم أيّة قدرة يمتلكها هؤلاء السّادة على القول خلاف الحقيقة.

لقد كتبت صحيفة إسرائيليّة وصلتني، أنّ سفير إسرائيل في طهران - يقول (إنّنا، (السيد الخميني) السادة (عموماً) لا شأن لنا بإسرائيل - ولقد عقد في اليومَين أو الثلاثة الماضية في السادس عشر من [شهر] شَهْريوَر اجتماعاً مع اليهود في (حي) (دروازهْ دولت) بطهران، اجتمع فيه أربع مئة أو خمس مئة يهودي لصّ، وكان مختصر ما قالوه هو:

تمجيد جماعة وذمّ جماعة أخرى، ثمّ قالوا: إنّ المجد لليهود، وإنّ اليهود هم شعب الله المختار، وإنّنا شعب يجب أن نحكم، وإنّنا نعارض الاستبداد ونعارض الهتلريّة. «..»

أيّها السّادة، هؤلاء يأتون بمَرأى ومسمع من حكومتنا، ويقولون هذا الكلام! «..» من العار أن تعتمد دولة على اليهود. ".." إنّ من تعاسة بلد إسلامي ومن تعاسة المسلمين إقامة العلاقة والتحالف مع دولة تُعادي الإسلام، وتقف الآن في مواجهة المسلمين، وتغتصب فلسطين. إنّني أقول للحكومات الإسلامية: أيّها السّادة لماذا تتنازعون حول «نهر»، وفلسطين مغتصبة؟ أطردوا اليهود منها. ".."

أخرَجوا الآن مليوناً أو أكثر من العرب المضطَهدين، وجعلوهم ينامون جياعاً في الصّحارى. ألا يجب على الحكومات الإسلامية أن تستنكر هذا وترفع صوتها به؟

أتتحالفون مع هذه الدولة التي طردت مليون مسلم أو أكثر وشرّدتهم؟ وإذا كنتم غير متحالفين معها فدعوا ما أقول من الكلام يُكتب وينتشر. فإنْ لم تسمحوا، فاعلموا أنّكم متحالفون مع اليهود، مع إسرائيل، وترون عملاء اسرائيل يعيثون في البلاد خراباً. ".." هؤلاء عملاء إسرائيل، أينما تضعْ إصبعك تجد أحدهم في مركز حسّاس وخَطِر. ".."

أيّها السّادة، إخشوا هؤلاء، فوالله إنّي أريد خيرَكم، وأخشى أن تفتحوا عيونكم يوماً وقد زال مُلككم. أو دعونا نقضي عليهم، وأنا سأقضي عليهم في يومٍ مّا!!..».

***

وفي «الوهّابيّة» الوجه الآخر للغدّة السّرطانيّة يقول الإمام الخمينيّ في خطابين - غير ما تقدّم:

١) الوهّابيّة مذهبٌ ملؤه الخرافات، يسوق الشّعوب الغافلة إلى (أحضان) القوى العظمى عبر استغلال الإسلام العزيز والقرآن الكريم...

٢) ألا يرى المسلمون أن مراكز الوهابيّة في العالم تحوّلت إلى مراكز فتنة وجاسوسيّة وهي:

أ) تروّج لإسلام «المترفين»، إسلام أبي سفيان، إسلام الملالي القذرين، إسلام أدعياء القداسة عديمي الشعور في الحوزات العلميّة والجامعات، إسلام الذلّ والنكبة، إسلام المال والقوّة، إسلام الخداع والمساومة والاستعباد، إسلام حاكميّة الرأسمال والرأسماليّين على المظلومين والحفاة، وبكلمة: الإسلام الأمريكي!

ب) ومن جهةٍ أخرى تسجد على أعتاب سيّدتها «أمريكا» آكلة العالم! لا يعرف المسلمون إلى مَن يشكون هذا الألم.

(صحيفه نور: ج ٢١ / ١٦٩ - ١٥ / ٣ / ١٣٦٨ هـ. ش = ٨٩ م.).
(وج ٢٠ / ٢٢٢ - ٢٩ / ٤ / ١٣٦٧ هـ. ش = ٨٨ م.).

***

ما تقدّم: بعض مناخ التأسيس للمأزق الأميركيّ - الصهيونيّ - الوهابيّ، في مشهده الراهن.. والآتي الأعظم.

وفي هذا الصراط أحرز الإمام الخامنئيّ - بفرادة تسديد إلهيّ - للأمّة والبشرية جمعاء، ما لم يخطر على قلب مستكبرٍ ولا مستضعَف، وما تزال الإنتصارات تتوالى فصولاً.

في خطابه - بتاريخ (٢٠١٥/٠٢/٠٨م)، في «ضبّاط القوّات الجوّيّة» تحدّث الإمام الخامنئيّ عن هزائم السياسات الأمريكيّة في سورية والعراق ولبنان وفلسطين، خصوصاً غزّة، وأفغانستان وباكستان، وكذلك هزيمة أمريكا في أوكرانيا، وخاطب الأمريكان مؤكّداً: «إنّكم أنتم الذين تُمنَوْن بالهزائم المتلاحقة على مدى سنين طويلة، أمّا الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة فتتقدّم إلى الأمام، وهي اليوم لا تُقاس إطلاقاً بما كانت عليه قبل ثلاثين ونيِّف من السنين».

الذَّبيحان من نَسل اسمَاعيل
مقام وَلَدَي الشّهيد مسلم بن عقيل في مدينة المُسَيَّب

مقام محمد وابراهيم ابنَي الشهيد مسلم بن عقيل في مدينة المسيّب (العراق)

أعدّه للنّشر: محرّر «شعائر»*

روى الشيخ الصّدوق في المجلس التاسع عشر من (أماليه؛ ح ١٤٥) قصّة ذَبْح اثنَين من أولاد الشهيد مسلم بن عقيل، بعد فرارهما من الحبس، على يد أحد جلاوزة عبيد الله بن زياد طمعاً بالجائزة التي وضعها الأخير لمن يأتي برأسَيهما.

الولدان الشّهيدان هما محمّد الأصغر وأخوه إبراهيم، وهما غير محمّد الأكبر وعبد الله ابنَي مسلم اللّذين استُشهدا يوم عاشوراء.

يتناول هذا التحقيق رواية ما جرى، والتعريف بمقام الشهيدَين في مدينة المسيّب في العراق، من حيث تاريخه، ومراحل بنائه، وتأكيد العلماء والمؤرّخين كونه لولدَي ثقة الإمام الحسين عليه السلام.

يقع مرقد ولدَي الشّهيد مسلم بن عقيل على بُعد حوالي ثلاث كيلومترات شرقيّ مدينة المسيَّب. والمسيّب مدينة عراقيّة (مركز محافظة بابل) يخترقها نهر الفرات ويشطرها إلى نصفَين، وتقع على الطريق العامّ بين كربلاء وبغداد.

قيل في سبب التسمية إنّها أُنشِئت على أراضي المسيّب بن نجَبة الفزاري أحد قادة التّوابين، وقيل غير ذلك.

وهناك المرقد المشهور بـ (مرقد أولاد مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام)، أو (مرقد وَلَدَي مسلم) اللّذَين ذكر قصّتَهما الشّيخ الصّدوق قدس سره في (الأمالي)، وخلاصتُها أنّ محمّد الأصغر وإبراهيم ابنَي مسلم بن عقيل قد فرّا بعد واقعة عاشوراء، حين هجمت خَيل عمر بن سعد على مخيّم الإمام الحسين عليه السلام، عند غروب يوم العاشر من محرّم سنة ٦١ هجريّة، فَضَلّا طريقهما حتّى أُسِرا وأُودِعا السّجن، ثمّ هرّبهما السّجّان، فالتجآ إلى امرأة،

* بتصرّف نقلاً عن (موقع شبكة الإمام الرضا عليه السلام)

وتكرّرت معهما قصّة أبيهما حيث قبض عليهما زوج ابنتها حارث بن عروة الطّائيّ، وهو كوفيّ من مَرَدة عبيد الله بن زياد، خرج مع عمر بن سعد لقتال الإمام الحسين عليه السلام، وقتلَهما على شطّ الفرات.

لوحة مثبتة خارج المقام تحكي قصّة قتل ولدَي مسلم

وذُكر أنّ محمّداً الأصغر كان وُلدِ عام ٥٢ للهجرة، وإبراهيم وُلد عام ٥٣، وقُتِلا شهيدَين مظلومَين بريئَين عام ٦٢ (يُقال في ٢٦ صفر من تلك السّنة)، فيكون عمر الأوّل عشر سنوات والثّاني تسع سنوات رضوان الله عليهما.

*** الفقرات الأخيرة من رواية الشّيخ الصّدوق تصفُ مشهد القتل على النّحو التالي:**

«..وأخذ [حارث بن عروة الطّائي] السّيف ومشى أمامهما، فلمّا صار إلى شاطئ الفرات سلّ السّيف من جفنه، فلمّا نظر الغلامان إلى السّيف مسلولاً اغرورقت أعينُهما، وقالا له: يا شيخ، انطلق بنا إلى السّوق واستمتع بأثماننا، ولا ترد أن يكون محمّدٌ صلى الله عليه وآله خصمَك في القيامة غداً. فقال: لا، ولكن أقتلكما وأذهب برأسَيكما إلى عبيد الله بن زياد، وآخذ جائزة ألفَي درهم.

فقالا له: يا شيخ، أما تحفظ قرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: ما لكما من رسول الله قرابة!

قالا له: يا شيخ، فائتِ بنا إلى عبيد الله بن زياد حتّى يحكم فينا بأمره. قال: ما إلى ذلك سبيلٌ إلّا التّقرّب إليه بدمكما.

قالا له: يا شيخ، أما ترحَم صِغَرَ سنّنا؟ قال: ما جعل الله لكما في قلبي من الرّحمة شيئاً.

قالا: يا شيخ، إنْ كان ولا بدّ، فدَعنا نصلّي ركعات.

قال: فصلّيا ما شئتما إنْ نفعتكما الصّلاة. فصلّى الغلامان أربعَ ركعات، ثمّ رفعا طرفَيهما إلى السّماء فناديا: **(يا حيُّ يا حليمُ يا أحكمَ الحاكمين، احكُمْ بينَنا وبينَه بالحقّ)**.

فقام إلى الأكبر فضربَ عنقه، وأخذ برأسه ووضعه في المخلاة، وأقبل الغلام الصّغير يتمرّغ في دم أخيه، وهو يقول: حتّى ألقى رسولَ الله صلى الله عليه وآله وأنا مختضبٌ بدم أخي.

جانب من الساحة الملحقة بالبناء الأساسي

فقال: لا عليك، سوف أُلحقك بأخيك، ثمّ قام إلى الغلام الصّغير فضربَ عنقه، وأخذ رأسه ووضعَه في المخلاة، ورمى ببدنَيهما في الماء، وهما يقطران دماً.

ومرّ حتّى أتى بهما عبيدَ الله بن زياد وهو قاعدٌ على كرسيّ له، وبيده قضيب خيزران، فوضع الرّأسَين بين يديه، فلمّا نظر إليهما قام ثمّ قعد، ثمّ قام، ثمّ قعد (ثلاثاً)، ثمّ قال: الويل لك، أين ظفرتَ بهما؟

قال: أضافتهما عجوزٌ لنا. قال: فما عرفتَ لهما حقّ الضّيافة؟ قال: لا.

[ثمّ دار الحوار التالي بين ابن زياد والقاتل]:

- فأيّ شيء قالا لك؟

- قالا: يا شيخ، اذهب بنا إلى السّوق فبِعنا وانتفع بأثماننا، فلا ترد أن يكون محمّد صلّى الله عليه وآله خصمَك في القيامة.. قلت: لا، ولكن أقتلكما وأنطلق برأسَيكما إلى عبيد الله بن زياد، وآخذ جائزة ألفَي درهم...[ثمّ] قالا: ائتِ بنا إلى عبيد الله بن زياد حتّى يحكمَ فينا بأمره.. قلت: ليس إلى ذلك سبيل إلّا التّقرّب إليه بدمكما.

- أفلا جئتني بهما حيَّين، فكنت أضعف لك الجائزة، وأجعلها أربعة آلاف درهم؟

- ما رأيتُ إلى ذلك سبيلاً إلّا التّقرّب إليك بدمهما.

- فأيّ شيء قالا لك أيضاً؟

- قالا لي: يا شيخ، احفظ قرابتنا من رسول الله.. فقلت: ما لكما من رسول الله قرابة. [ثمّ] قالا: يا شيخ، ارحم صغر سنّنا. فقلت: ما جعل الله لكما من الرّحمة في قلبي شيئاً...فقالا: دعنا نصلّي ركعات. فقلت: فصلّيا ما شئتُما إنْ نفعتكما الصّلاة، فصلّى الغلامان أربع ركعات.

- فأيّ شيءٍ قالا في آخر صلاتهما؟

- رفَعا طرفَيهما إلى السّماء، وقالا: (**يا حيُّ يا حليمُ، يا أحكم الحاكمين، احكُم بيننا وبينه بالحقّ**).

قال عبيد الله بن زياد: مَن للفاسق؟.. فانتدب له رجلٌ من أهل الشّام، فقال: أنا له.

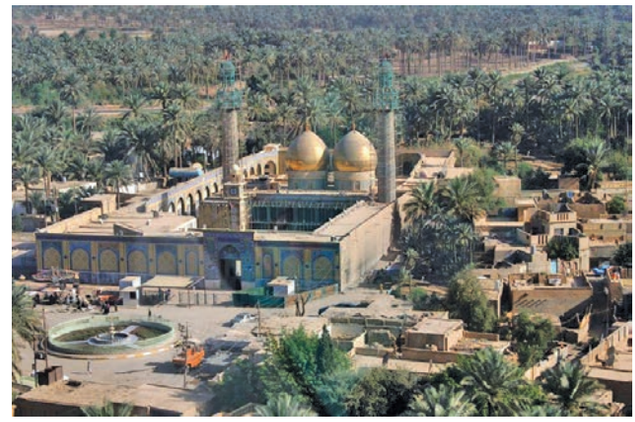

المشهد العام للمزار وسط بساتين النخيل

قال [ابن زياد]: فانطلق به إلى الموضع الّذي قَتل فيه الغلامَين، فاضرِب عنقه... وعجِّل برأسه، ففعل الرّجل ذلك، وجاء برأسه فنصبه على قناة، فجعل الصّبيان يرمونه بالنّبل والحجارة وهم يقولون: هذا قاتل ذرّيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله».

أقوال العلماء والمؤرّخين في المكان

المكان المنسوب إلى وَلَدي مسلم أنّه قبرهما، هو مكان مقتلهما، ويذهب الظّنُّ القويّ أنّه موضع دفنهما أيضاً، وإن كان جسداهما قد رُميا بعد القتل في نهر الفرات وحُمل رأساهما إلى عبيدالله بن زياد، وكان هنالك موضع سجنهما أيضاً، فإنّهما دُفنا في الموضع ذاته بعد أن التُقِطا من الماء.

- قال السّيّد عبد الرزّاق المقرّم في كتابه (الشّهيد مسلم بن عقيل) لدى ذِكره هذا المرقد: «إنّ السّيرة بين الشّيعة على المُثول بمشهدهما الواقع بالقرب من المسيّب تفيد القطعَ به، وبناءً على ما أفادته الرواية (رواية الصّدوق) مِن إلقاء بدنَيهما في الفرات، يكون هذا الموضع: إمّا محلَّ القتل، وإمّا أنّهما أُخرِجا فدُفِنا هناك».

أضاف: «إنّ سيرة الشّيعة، والشّهرة بينهم، تُحقّق كونَ المشهد المعروف لولَدَي مسلم على الإجمال، ولم يحصل الشّكّ في أدوارهم اتّباعاً للخلف على طريقة السّلف، حتّى كثرت زُرافات الزائرين لهما تقرّباً إلى الله تعالى. والعمارة المتجدّدة حول القبرَين على نحوٍ غير واحد من المشاهد المحقَّق ثبوتها، وكلّ هذا بمشهد العلماء، فلا يُعتنى حينئذٍ بمَن تأخذه الوسوسة إلى مَناحٍ ممقوتة، كما هو شأنه في جملةٍ من المظاهر والمشاعر».

- وقال الفاضل الدّربنديّ في (أسرار الشّهادة) بعد ذِكر مقتل ولَدَي مسلم: «وقبرهما في المكان المعروف الآن - أي قريب من

نهر الفرات قريباً من مكان قتل الطِّفلَين

الفرات عند قرية المسيّب - وكيفيّة دفنهما في ذلك المكان، وإن كانت من الأمور التي لم نظفر فيها برواية، إلاّ أنّ كون قبرهما في ذلك المكان كأنّه ممّا عليه إجماع الطّائفة الإماميّة. وقد ثبت بالنّقل المتضافر أنّ كامل الفضلاء من حزب الفقهاء والمجتهدين ومعشر المحدّثين من أهل المشاهد المقدّسة، كانوا يقصدون ذلك المكان لزيارتهما».

- وقال السّيّد عبد الرّزاق بن حسن كمّونة في (مشاهد العترة الطّاهرة) عند تحدّثه حول مشاهد المسيّب: «بقربها مشهدٌ عامرٌ فيه قبرُ محمّد وإبراهيم، ابنَي مسلم بن عقيل بن أبي طالب».

- وأمّا الشّيخ محمّد حرز الدّين فيقول في (مراقد المعارف): «إنّ هذه الشّهرة قد مضى عليها قرونٌ وقرون حتّى وصلت إلينا، ولم يتنكّر لها أحدٌ من مشاهير علماء الشّيعة الإماميّة إلاّ الشّاذّ النادر، وفي عصرنا فقد زار القبرَ بعضُ مَن يُعتمد عليه في التاريخ والآثار من علمائنا المحقّقين... وهذا التّباني منهم هو المعبِّر عنه بالسّيرة، فإذاً الشّهرة والسّيرة قامتا على إثبات هذه البقعة لولَدَي مسلم».

الدّفن.. ومراحل البناء

يَحتمِل الشّيخ علي القسّام في (السّفر المطيّب) أنّ الذي تولّى دفنَ وَلَدي مسلم هم جماعة من القبائل الذين شاهدوا مقتلهما، أو مَن تولّى قتلَ قاتلهما حيث كان مِن محبّي أهل البيت عليهم السّلام حسب رواية الشّيخ فخر الدين الطّريحي في (المنتخب).

ويضيف الشّيخ القسّام بعد ترجيحه كونَ ولَدَي مسلم مدفونَين في هذا المكان: ولعلّ ما يؤيّد الشّهرةَ قولُ السّادن لمقام أولاد مسلم، وهو الحاج عليّ [ابن حسين الهلال من أهالي المسيّب، الذي تولّى سدانة مرقد أولاد مسلم في أواخر القرن الرابع عشر الهجريّ. توفّي في ١٣٥٢ للهجرة]: أنّه اتّفق في بعض السّنين أن حدَثَ شقّ في القبّتين فتطلّب ذلك ترميمَ أساس المبنى، وفي أثناء ذلك وجدوا قبرينِ متقابلين، مكتوب على أحدهما: محمّد بن مسلم، وعلى الآخر: إبراهيم بن مسلم.

وإذا كان تعذّر تحديد تاريخٍ لبناء القبر، فإنّه يظهر كونه عامراً منذ القرون الأولى، حيث كان المؤمنون يَفِدون إليه للتبرّك به، حتّى تطوّر البناء وأصبح مُحاطاً ببساتين النّخيل التي قيل إنّها من الوقف الخاصّ بالمرقد.

مسرحية شعبية كانت تقام في المسيّب تخليداً لذكرى الشهيدَين

* كان المقام في أيّامه الأولى عبارة عن قبرَين وسط بستان.

* في بداية القرن الهجري العاشر بنى بعض الصفويّين قبّتَين على القبرين.

* سنة ١٢٢٠ للهجرة شُيّد البناء الأوّل على مقام أولاد مسلم، ويُنسب هذا التشييد إلى الحاجّ محمّد حسين الصّدر (ت: ١٢٣٩ للهجرة) الّذي كان يشغل منصب الصّدارة – أي الوزارة – للشّاه فتح علي القاجاريّ، وكان في وسط الصّحن جدارٌ يُنصّف الصّحن إلى نصفين: الأوّل – ممّا يلي المدخل – خُصّص ليكون مربطاً لدوابّ الزّائرين، والثّاني لراحة الزّائرين.

وفي هذا البناء نُصِب على القبرَين ضريح مُشبَّك مصنوع من البُرونز الأصفر... وعلى كلّ قبر قبّة صغيرة مغطّاة بالقاشاني. وحرمهما مفروش بالسّجّاد الإيرانيّ، وأمام حرمهما صحن تبلغ مساحته ضِعفَ مساحة الحرم، وفي طرفَيه الغربيّ والشّرقيّ غُرَف للزائرين. ومبنى الصّحن مكوَّن من طابق واحد وله باب واحد من جهة الجنوب (القِبلة)، ولا يوجد للمرقد مِئذنة. (بُنيت في السّنوات الأخيرة)

وعمارة المرقد – بشكلٍ عامّ – مبنيّة من الطّابوق (القرميد) والإسمنت، وأمّا الغرف المحيطة بالصّحن فهي مبنيّة على شكل أقواس (طاق)، وأمام كلّ غرفة إيوان صغير لحمايتها من الحرّ والبرد والمطر. ويوجد في الصّحن أماكن خاصّة للوضوء.

* في عام ١٣٥٥ للهجرة/ ١٩٣٥م قام جماعة مِن تجّار إيران بالاستئذان من المرجع السيّد أبي الحسن الإصفهانيّ في رفع الجدار الفاصل، فأذن لهم، فرفعوه وشيّدوا غرفاً في الإيوانات لاستراحة الزائرين.

صورة قديمة للمقام وجماعة من الزائرين

ذكر ذلك الشّيخ علي القسّام، مضيفاً – نقلاً عن سادن الرّوضة الحاج علي الهلال: أنّه قام ببناء البهو (الطّارمة، وهو بيت من خشب كالقبّة) من جَمْع التّبرّعات من المؤمنين في العراق، وذلك عام ١٣٥٢ للهجرة، وقد أشرف على بنائه المعمار العراقيّ المشهور حمّودي البغدادي.

* في عامَي ١٣٨١ و١٣٨٤ للهجرة على التّوالي زوِّد المبنى بمياه الشّرب ثمّ أوصل بالتّيّار الكهربائيّ.

* في عام ١٣٩٤ للهجرة [١٩٧٤م] جُدِّد بناء المرقد، وأُقيمت فيه أقواس على الطّراز الإسلاميّ، وزُيّنت بالنّقوش والخطوط الجميلة.

وصف المقام من الدّاخل

حسب التّحقيق الميدانيّ الذي نهض به السيّد سلمان هادي آل طعمة في ٢٩ شوّال سنة ١٤١٧ هجريّة: يحمل المرقد رقم القطعة ١١٨ من المقاطعة ٢٥ باسم: أولاد مسلم، ويقع على أرضٍ مساحتها ٢٥٠٠ متر مربّع، يحتلّ قسماً منها موقف لسيّارات الوافدين، أمّا القسم الآخر فخاصّ بالمرقد.

* **جهة الجنوب:** الواجهة الأماميّة والتي تقع إلى جهة الجنوب من المرقد هو الصحن. يتوسّط واجهتَه الأماميّة المدخلُ الخارجيّ للصّحن، يُحاط بكَتيبة مزخرفة بالقاشانيّ الكربلائيّ كُتب في أعلاها آية (النّور): ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ..﴾ النّور:٣٥.

وتحتها آية التطهير: ﴿.. إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب:٣٣ .

وعلى الباب مباشرة زخرفة نباتيّة على القاشاني، وفي وسطها كتيبة: «**لا إله إلّا الله، محمّدٌ رسولُ الله، عليٌّ وليُّ الله**».

والباب محاط بعددٍ من الأقواس مكسوّة مِن كلّ جوانبها بالقاشانيّ الكربلائيّ، وإلى جانبه مشربة ماء كُتب في أعلاها:

اشربِ الماءَ هنيئاً يا مُحِبْ واذكُرِ السِّبطَ الشّهيدَ المُحتسِبْ

* **الجانب الشّرقي:** الجانب الشّرقيّ من الصّحن مؤلّف من طارمة تحتوي على تسعة أقواس مبنيّة من الطّابوق تعلوها كتيبة من القاشانيّ عليها آية الكرسيّ.

* **الجانب الغربيّ:** مكوّن من طابقين: الأسفل: يحتوي على ستّ غُرف يليها المصلّى، والأعلى يتألّف من اثنتَي عشرة غرفة اتُّخِذ معظمها لراحة الزّائرين.

* **الجانب الشّماليّ (الرّوضة):** أمّا في الجانب الشّماليّ من الصّحن فتقع الرّوضة التي يتقدّمها البهو وهو مُسيّج بشبكٍ حديديّ، وله بابانِ جانبيّان يُفضيان إلى السّرداب الدّاخليّ الذي فيه قبرا ابنَي مسلم بن عقيل رضوان الله عليهم.

ومن الطّارمة إلى الرّوضة بابان:

- **أحدهما:** إلى جهة الشّرق مقابل مرقد إبراهيم بن مسلم.

- **والآخر:** يقع على جهة الغرب مقابل مرقد محمّد بن مسلم، وقد كُتبت عليه الآية: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ الزّمر:٧٣. وكان هذا الباب نُقل من الرّوضة العبّاسيّة الطّاهرة بكربلاء عام ١٣٨٦ للهجرة.

يبلغ طول الرّوضة ٢٤ متراً، وعرضها من الجنوب إلى الشّمال يزيد على ١٢ متراً، وعلى واجهتها رِيازة مغربيّة [نقوش على الجصّ]. وفي الرّوضة المقدّسة شَمعدان صغير كُتب عليه وقفيّته المؤرّخة بسنة ١٢٨٦ للهجرة.

ضريحا الشهيدَين محمد وابراهيم داخل الروضة

الضّريحان

يتوسّط الرّوضةَ ضريحان شريفان: الشّرقيّ منهما لإبراهيم بن مسلم بن عقيل، والغربيّ منهما لأخيه محمّد بن مسلم بن عقيل، والشّبّاك المعدنيّ للضّريحَين مصنوع من البرونز الأصفر يعود تاريخه إلى سنة ١٣٠١ للهجرة، وفي داخل كلّ قبر صندوق خشبي مُطعَّم بالعاج ومُغلَّف بالزّجاج، وُضع على قبريهما عام ١٣٩٥ للهجرة / ١٩٧٥م وقد جُلِبا من الخارج.

ويعلو بناءَ الضّريحين قبّتانِ شامختان نصف دائريّتين، مكسوّتان بالقاشانيّ الأزرق النّاصع، وفي آخرهما كتيبة تحتوي على آياتٍ قرآنيّة محيطة بكلّ قبّة، ويتخلّل قاعدة كلّ قبّة خمسة عشر شبّاكاً تُطلّ على الرّوضة الزّاكية، تُستخدم للتّنوير والتّهوية، وفي أعلى القبّتين رمّانتان من البرونز مطليّتانِ بالذهب كُتِب في أعلاهما «الله».

يذكر أحد سَدَنة مرقد أولاد مسلم أنّ رؤوساً منحوتة كانت فيه نُقلت إلى متاحف بريطانيا خلال الحرب العالميّة الأولى (١٩١٤ - ١٩١٧م)، كما تعرّض ضريحا ولَدَي مسلم إلى الحرق أثناء دخول الإنجليز إلى المسيّب في شهر تمّوز من سنة ١٩١٧م، حين دخلت القوّات البريطانيّة المدينة، وعيّنت بعد ذلك حاكماً إداريّاً لها يُدعى طمسن. [انظر: تاريخ المراقد في دائرة المعارف الحسينيّة للشّيخ الكرباسي]

من لوازم الإيمان اليَقظة وعلامتُها المراقبة، وهي «قرارٌ بالتزام قانون الله تعالى: الشّرعة والمنهاج» تماهياً مع اليقين والحبّ: اليقين به تعالى، وحبِّه سبحانه.

في المناجاة الشّعبانيّة: «وَأَنْ تَجْعَلَنِي مِمَّنْ يُدِيمُ ذِكْرَكَ، وَلا يَنْقُضُ عَهْدَكَ، وَلا يَغْفَلُ عَنْ شُكْرِكَ، وَلا يَسْتَخِفُّ بِأَمْرِكَ. إِلهِي وَأَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزِّكَ الأَبْهَجِ، فَأَكُونَ لَكَ عارِفاً، وَعَنْ سِواكَ مُنْحَرِفاً، وَمِنْكَ خائِفاً مُراقِباً، يا ذا الجَلالِ وَالإِكْرامِ».

وأبرزُ كُتُب المراقبات: كتاب «إقبال الأعمال» لسيّد العلماء المراقبين، السّيّد ابن طاوس، و«المراقبات» للفقيه الكبير الشّيخ الملّكي التّبريزيّ، وفي هديهما: هذا الباب.

مراقبات شهر جُمادى الأولى

السَّلامُ عَلَيْكِ يا والِدَةَ الحُجَجِ عَلى النّاسِ أَجْمَعِينَ

إعداد: «شعائر»

*** من أهمّ مُستحبّات شهر جمادى الأولى زيارةُ السّيّدة الزّهراء، عليها السّلام، في الثّالثَ عشر والرّابعَ عشر والخامسَ عشر منه، وإقامةُ مأتمها استناداً إلى الرّواية بأنّها، عليها السّلام، عاشت بعد أبيها صلّى الله عليه وآله خمسةً وسبعين يوماً.**

*** وفي الخامس عشر منه ذكرى ولادة الإمام زين العابدين، عليه السّلام برواية الشيخ المفيد. (المعروف، كما عند الشيخ بهاء الدين العاملي، أنها في الخامس من شهر شعبان)، فيُستحبّ زيارته عليه السلام فيه، والصّيام والتّطوّع بالخيرات، فضلاً عن كونه آخر الأيّام البيض من الشهر.**

*** وفي اليوم الخامس من جمادى الأولى سنة ٥ للهجرة كانت ولادة الصّدّيقة الصّغرى السّيّدة زينب عليها السلام.**

اليوم الأوّل: دعاء غرّة الشّهر

* روى السّيّد رضيّ الدّين عليّ بن طاوس في (**إقبال الأعمال**) دعاءً يقرَأ في اليوم الأوّل من هذا الشّهر، فقال: «الدّعاء في غرّة جُمادى الأولى: أَللّهُمَّ أَنتَ اللهُ وأنتَ الرّحمنُ الرّحيمُ، وأنتَ المَلِكُ القدُّوسُ، وأنت السَّلامُ المؤمنُ، وأنتَ المُهَيمنُ، وأنتَ العزيزُ، وأنتَ الجبَّارُ، وأنتَ المتكبّرُ، وأنتَ الخالِقُ، وأنتَ البارِئُ، وأنتَ المُصَوِّرُ، وأنتَ العزيزُ الحكيمُ، وأنتَ الأوَّلُ والآخِرُ والظّاهرُ والباطِنُ، لكَ الأسماءُ الحُسنى...».

(الدعاء بتمامه تجده في المصدر، وفي أعداد أشهر جمادى الأولى السابقة من شعائر)

اليوم الثّالث عشر: شهادةُ الصّدّيقة الكُبرى عليها السلام (على رواية)

* قال المحدّث الشيخ عبّاس القمّيّ في (**مفاتيح الجنان**) في كيفيّة زيارة السّيّدة الزّهراء في يوم شهادتها صلوات الله عليها:

«تُصلّي صلاةَ الزّيارة، أو صلاتها عليها السّلام؛ وهي ركعتان:

– تقرأ في كلٍّ منهما بعد (الحمد) سورة (قل هو الله أحد) ستّين مرّة. فإنْ لم تقدر فاقرأ بعد (الحمد) في الأولى (قل هو الله أحد) وفي الثّانية: (قل يا أَيّها الكافرون).

– فإذا سلّمتَ فقُل:

(السَّلامُ عَليكِ يا سَيِّدَةَ نِساءِ العالَمِينَ، السَّلامُ عَلَيْكِ يا والِدَةَ الحُجَجِ عَلى النّاسِ أَجْمَعِينَ، السَّلامُ عَلَيْكِ أَيَّتُها المَظْلومَةُ المَمْنُوعَةُ حَقَّها. أللّهُمَّ صَلِّ عَلى أَمَتِكَ وَابْنَةِ نَبِيِّكَ وَزَوْجَةِ وَصِيِّ نَبِيِّكَ، صَلاةً تُزْلِفُها فَوْقَ زُلْفى عِبادِكَ المُكَرَّمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّماواتِ وَأَهْلِ الأَرَضِينَ).

فقد رُوي أنَّ مَن زارها بهذه الزّيارة واستغفر اللهَ، غفر اللهُ له وأدخلَه الجنّة».

***

* **صلاة الطّاهرة فاطمة صَلَواتُ الله عَلَيها:**

قال الشّيخ الطّوسيّ قدّس سرّه في كتابه (**مصباح المتهجّد**):

«صلاة الطّاهرة فاطمة عليها السّلام: هما ركعتان:

– تقرأ في الأولى (الحمد)، ومائة مرّة (إنّا أنزلناه في ليلة القدر)، وفي الثّانية (الحمد)، ومائة مرّة (قل هو الله أحد)، فإذا سلّمت سبّحت تسبيح الزّهراء عليها السّلام.

– ثمّ تقول: سُبْحانَ ذِي العِزِّ الشّامِخِ المُنِيفِ، سُبْحانَ ذِي الجَلالِ الباذِخِ العَظِيمِ، سُبْحانَ ذِي المُلْكِ الفاخِرِ القَدِيمِ، سُبْحانَ مَنْ لَبِسَ البَهْجَةَ وَالجَمالَ، سُبْحانَ مَنْ تَرَدَّى بِالنُّورِ وَالوَقارِ، سُبْحانَ مَنْ يَرى أَثَرَ النَّمْلِ فِي الصَّفا، سُبْحانَ مَنْ يَرى وَقْعَ الطَّيْرِ فِي الهَواءِ، سُبْحانَ مَنْ هُوَ هكذا لا هكذا غَيْرُهُ».

ثمَّ قالَ: «وَيَنبَغي لِمَن صَلَّى هذهِ الصَّلاة وفَرَغَ مِن التَّسبيح أَن يَكشف رُكبتيه وذراعَيه ويُباشر بجميع مَساجِده الأرض بِغير حاجزٍ يَحجز بَينه وبَينهما، ويَدعو ويَسأل حاجته وما شاءَ مِنَ الدّعاء، ويَقول وهُوَ ساجِد:

(يَا مَنْ لَيْسَ غَيْرَهُ رَبٌّ يُدْعى، يا مَنْ لَيْسَ فَوْقَهُ إِلهٌ يُخْشى، يا مَنْ لَيْسَ دُونَهُ مَلِكٌ يُتَّقى، يا مَنْ لَيْسَ لَهُ وَزِيرٌ يُؤْتى، يا مَنْ لَيْسَ لَهُ حاجِبٌ يُرْشى، يا مَنْ لَيْسَ لَهُ بَوّابٌ يُغْشى، يا مَنْ لا يَزْدادُ عَلى كَثْرَةِ السُّؤالِ إِلّا كَرَماً وَجُوداً، وَعَلى كَثْرَةِ الذُّنُوبِ إِلّا عَفْوا وَصَفْحاً، صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَافْعَلْ بِي كَذا وَكَذا)، ويَسأل حاجَتَه».

اليوم الخامس عشر: ولادةُ الإمام السّجّاد عليه السّلام (على رواية)

* قال الشيخ المفيد في (**مسارّ الشّيعة**): «النّصف منه [جُمادى الأولى] سنة ستّ وثلاثين من الهجرة كان مولد سيّدنا أبي محمّد، عليّ بن الحسين زين العابدين عليهما السّلام، وهو يوم شريف يستحبّ فيه الصّيام والتّطوُّع بالخيرات».

* وحول صيام أيّام ولادات الأئمّة عليهم السّلام، ورد في الحديث عن الإمام الصّادق عليه السّلام: «**إنّ الصّومَ لا يكونُ للمصيبة،**

ولا يكونُ إلّا شكراً للسّلامة..». أي إنّ الصّوم إنّما يستحبّ في الأيّام التي يتجدّد فيها الفرح والسّرور، دون الأيام التي يحدث فيها التّرح والشّرور.

***

❋ صلاة الإمام زين العابدين عليه السّلام ودعاؤه:

(**مفاتيح الجنان**): «صلاة الإمام زين العابدين عليه السّلام أربَع ركعات: كُلّ ركعة بـ (الفاتحة) مَرَّة و(قل هو الله أحد) مائة مَرَّة.

❋ دعاؤه عليه السّلام:

يا مَنْ أَظْهَرَ الجَمِيلَ وَسَتَرَ القَبِيحَ، يا مَنْ لَمْ يُؤاخِذْ بِالجَرِيرَةِ وَلَمْ يَهْتِك السِّتْرَ، يا عَظِيمَ العَفْوِ، يا حَسَنَ التَّجاوُزِ يا واسِعَ المَغْفِرَةِ، يا باسِطَ اليَدَينِ بِالرَّحْمَةِ، يا صاحِبَ كُلِّ نَجْوى، يا مُنْتَهى كُلِّ شَكْوى، يا كَرِيمَ الصَّفْحِ، يا عَظِيمَ الرَّجاءِ، يا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقاقِها، يا رَبَّنا وَسَيِّدَنا وَمَوْلانا، يا غايَةَ رَغْبَتِنا، أَسْأَلُكَ اللّهُمَّ أَنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ».

اليوم الخامس: ولادة الصّدِّيقة الصُّغرى عليها السلام

كانت ولادة عقيلة بني هاشم مولاتنا السيّدة زينب عليها السّلام في اليوم المبارك الخامس من شهر جمادى الأولى، في السّنة الخامسة، وقيل في غرّة شعبان من السّنة السّادسة للهجرة.

***

❋ العقيلة زينب عليها السّلام المتهجّدة العابدة:

أشبَهَت عقيلةُ بني هاشم عليها السّلام أمَّها سيّدةَ نساء العالمين فاطمةَ الزهراء عليها السّلام في عبادتها، فكانت تقضي ليلها بالصّلاة والتّهجّد، ولم تترك نوافلها حتّى في أحلَك الظروف وأصعبها.

نُقل عن ريحانة رسول الله صلّى الله عليه وآله، الإمام الحسين عليه السّلام، أنّه لمّا ودّع أخته زينب عليها السّلام وَداعَه الأخير قال لها: «**يا أُختَاه، لا تَنسِيني في نَافلة اللّيل**».

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السّلام أنّ عمّته السيدة زينب عليها السّلام ما تَرَكت نوافلها الليليّة مع تلك المصائب والمِحن النازلة بها في طريقهم إلى الشام، فلم تَقعُد بها تلك المصائب الراتبة التي تَهدّ الجبالَ عن أن تتهجّد وتُناجي ربّها الكريم.

وروى الجواهري في (مثير الأحزان) عن فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السّلام أنّها قالت: «..**وأمّا عمّتي زينب فإنّها لم تَزَل قائمةً في تلك الليلة** – أي ليلة العاشر من المحرّم – **في محرابها تستغيث إلى ربّها، فما هدأتْ لنا عينٌ ولا سكنتْ لنا رَنّة**».

وفي هذه الأخبار دلالة لا أوضح منها على أنّ السّيّدة زينب عليها السّلام كانت من القانتات اللّائي وَقَفنَ حركاتهنّ وسكناتهنّ وأنفاسهنّ للباري تعالى، فحصلنَ بذلك على المنازل الرّفيعة والدّرجات العالية التي حَكَت برفعتها منازلَ المُرسلين ودرجات الأوصياء عليهم الصّلاة والسّلام.

(مصادر)

موجز في التّفسير

سورة الحشر

سليمان بيضون

*** السّورة التّاسعة والخمسون في ترتيب سوَر المُصحف الشّريف، نزلت بعد سورة البيّنة.**
*** سُمّيت بـ «الحشر» لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ..﴾ في الآية الثّانية منها.**
*** آياتها أربعٌ وعشرون، وهي مدَنيّة، مَنْ قرأها استغفر له كلّ شيء، ويموت شهيداً، كما في النبويّ الشريف.**
في ما يلي موجز في تفسير السّورة المباركة اخترناه من تفاسير: (الميزان) للعلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ، و(الأمثل) للمرجع الدّينيّ الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ، و(نور الثّقلين) للشّيخ عبد عليّ الحويزيّ.

قيل في معنى «الحشر» الوارد في السّورة إنّه يدلّ على تجمّع اليهود للرّحيل عن المدينة، أو حشر المسلمين اليهودَ لطردهم منها، وبناءً عليه، فلا ربط لهذه الكلمة بـ «**يوم الحشر**»، الذي هو يوم القيامة.

محتوى السّورة

* (**تفسير الميزان**): «تشير السّورة إلى قصّة إجلاء بني النّضير من اليهود [عن المدينة المنوّرة] لمّا نقضوا العهدَ بينهم وبين المسلمين، وإلى وعد المنافقين لهم بالنّصر والملازمة، ثمّ غَدْرهم، وما يلحق بذلك من حُكم فَيئهم.

ومن غُرر الآيات فيها الآياتُ السّبعُ في آخرها، يأمر الله، سبحانه، عبادَه فيها بالاستعداد للقائه من طريق المراقبة والمحاسبة، ويذكر عظَمةَ قوله وجلالة قَدْره، بوصف عظَمَة قائله، عزَّ مِن قائل، بما له من الأسماء الحُسنى والصّفات العليا».

* (**تفسير الأمثل**): «هذه السّورة من السّور المُهمّة والمثيرة والمُوقِظة في القرآن الكريم، ولها انسجام قريب جدّاً مع الآيات الأخيرة من السّورة السّابقة [المجادلة]، والتي وعدت حزبَ الله بالنّصر. والنّصرُ الوارد في هذه السورة [على اليهود] يُعَدُّ مِصداقاً بارزاً لذلك النّصر الموعود.

ويمكن تلخيص موضوعات هذه السّورة في ستّة أقسام هي:

الأوّل: يعتبَر مقدّمة للأبحاث المختلفة التي وردت فيها، فتتحدّث الآية الأولى عن تسبيح الموجودات جميعاً لله الحكيم العليم.

الثّاني: من الآية الثّانية إلى الآية العاشرة، وهو يوضح قصّةَ اشتباك المسلمين مع ناقضي العهد من يهود المدينة.

الثّالث: من الآية الحادية عشرة إلى الآية السّابعة عشر، وفيه قصّة منافقي المدينة مع اليهود والتّعاون بينهما.

الرّابع: يشمل مجموعة من التّوجيهات والنّصائح العامّة لعموم المسلمين، وهي تمثّل استنتاجاً للأحداث أعلاه.

الخامس: يشمل الآية الحادية والعشرين، وهو عبارة عن وصف بليغ للقرآن الكريم، وبيان أثره في تطهير الرّوح والنّفس.

السّادس: يبدأ من الآية الثّانية والعشرين إلى الآية الرابعة والعشرين، فيتناول قسماً مهمّاً من أوصاف جلال الذّات الإلهيّة المقدّسة وجمالها، وبعض أسماء الله الحسنى، وهذه الصّفات عونٌ للإنسان في طريق معرفة الله سبحانه».

ثواب تلاوتها

(**تفسير مجمع البيان**): عن النّبيّ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ سورَةَ الحَشْر لَمْ يَبْقَ جَنَّةٌ وَلا نارٌ، وَلا عَرْشٌ وَلا كُرْسِيٌّ وَلا حِجابٌ، وَلا السَّماواتُ السَّبْعُ وَلا الأَرْضونَ السَّبْعُ، وَالهَوامُّ، وَالرِّياحُ، وَالطَّيْرُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوابُّ، وَالشَّمْسُ وَالقَمَرُ، وَالمَلائِكَةُ، إلّا صَلّوا عَلَيْهِ، وَاسْتَغْفَروا لَهُ، وَإنْ ماتَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ ماتَ شَهيداً**».

* وعن الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ إذا أَمْسَى: الرَّحْمَنَ وَالحَشْرَ، وَكَلَ اللهُ بِدَاره ملَكاً شاهِراً سَيْفَهُ حَتّى يُصْبِحَ**».

تفسيرُ آياتٍ منها

(**تفسير نور الثّقلين**):

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ..﴾ الآية:٦.

الإمام الصّادق عليه السلام: «الأَنْفالُ، ما لَمْ يُوجَفْ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلا رِكابٍ، أَوْ قَوْمٌ صالَحوا، أَوْ قَوْمٌ أَعْطَوْا بِأَيْديهِمْ، وَكُلُّ أَرْضٍ خَرِبَةٍ، وَبُطونُ الأَوْدِيَةِ، فَهُوَ لِرَسولِ اللهِ، وَهُوَ لِلإمامِ مِنْ بَعْدِهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشاءُ».

قوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ..﴾ الآية:٧.

أمير المؤمنين عليه السلام: «نَحْنُ، واللهِ، الَّذينَ عَنى اللهُ بِذي القُرْبى، الَّذين قَرَنَهُمُ اللهُ بِنَفْسِهِ وَنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَقالَ: ﴿مَا أَفَاء..﴾ – الآية – مِنّا خاصَّةً، وَلَمْ يَجْعَلْ لَنا سَهْماً في الصَّدَقَةِ، أَكْرَمَ اللهُ نَبِيَّهُ وَأَكْرَمَنا أَنْ يُطْعِمَنا أَوْساخَ ما في أَيْدي النّاسِ».

قوله تعالى: ﴿..وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الآية:٩.

* الإمام الصّادق عليه السلام لـ (جميل بن درّاج): «خِيارُكُمْ سُمَحاؤُكُمْ وَشِرارُكُمْ بُخَلاؤُكُمْ، وَمِنْ صالِحِ الأَعْمالِ البِرُّ بِالإِخْوانِ، وَالسَّعْيُ في حَوائِجِهِمْ، وَفي ذَلِكَ مَرْغَمَةُ الشَّيْطانِ، وَتَزَحْزُحٌ عَنِ النّيرانِ وَدُخولُ الجِنانِ. يا جَميلُ! أَخْبِرْ بِهَذا الحَديثِ غُرَرَ أَصْحابِكَ.

قال جميل: قلت: جُعلتُ فداك، مَن غُرَرُ أصحابي؟ قال عليه السّلام: هم البارّونَ بِالإِخْوانِ في العُسْرِ وَاليُسْرِ.

ثمّ قال: يا جميل: إنَّ صاحِبَ الكَثيرِ يَهونُ عَلَيْهِ. وَقَدْ مَدَحَ اللهُ، عَزّ وَجَلَّ، صاحِبَ القَليلِ، فَقالَ: ﴿..وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ..﴾».

* وعنه عليه السّلام: «الشُّحُّ أَشَدُّ مِنَ البُخْلِ، إنَّ البَخيلَ يَبْخَلُ بِما في يَدِهِ، وَالشَّحيحُ يَشِحُّ بِما في أَيْدي النّاسِ وَعَلى ما في يَدِهِ حَتّى لا يَرى في أَيْدي النّاسِ شَيْئاً إلّا تَمَنّى أَنْ يَكونَ لَهُ بِالحِلِّ وَالحَرامِ، وَلا يَقْنَعُ بِما رَزَقَهُ اللهُ، عَزّ وَجَلَّ».

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ الآية:٢٠.

الإمام الرّضا عليه السلام: «حَدَّثَني أَبي، عَنْ آبائِهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، قالَ: إنَّ رَسولَ اللهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَلا هَذِهِ الآيَةَ ".." فَقالَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَصْحابُ الجَنَّةِ مَنْ أَطاعَني وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ بَعْدي، وَأَقَرّ بِوِلايَتِهِ؛ وَأَصْحابُ النّارِ مَنْ سَخِطَ الوِلايَةَ، وَنَقَضَ العَهْدَ، وَقاتَلَهُ بَعْدي».

قوله تعالى: ﴿..هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ..﴾ الآية:٢٢.

* سُئِل الإمامُ الكاظم عليه السلام عن معنى لفظ الجلالة (الله)، فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ طه:٥.

* عن الإمام الباقر عليه السلام: «الغَيْبُ: ما لَمْ يَكُنْ، وَالشَّهادَةُ: ما قَد كانَ».

قوله تعالى: ﴿..سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الآية:٢٣.

سُئلَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام: ما تفسيرُ «سبحانَ الله»؟

فقال عليه السلام: «هُوَ تَعْظيمُ جَلالِ اللهِ ، عَزّ وَجَلَّ، وَتَنْزيهُهُ عَمّا قالَ فيهِ كُلُّ مُشْرِكٍ، فَإِذا قالَها العَبْدُ صَلّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ».

قوله تعالى: ﴿..لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ..﴾ الآية:٢٤.

عن النّبيّ صلى الله عليه وآله: «للهِ عزَّ وجلَّ تِسْعَةٌ وَتِسْعونَ اسْماً، مَنْ دَعا اللهَ بِها اسْتَجابَ لَهُ، وَمَنْ أَحْصاها دَخَلَ الجَنَّةَ».

يأمرُ الله سبحانه في الآيات السَّبع من آخر سورة الحشر عبادَه بالاستعداد للقائه من طريق المراقبة والمحاسبة.

حرّيةُ الإنسان
لا حرّية أمام كلمة الحق

العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائيّ رحمه الله

يبحث العلّامة السّيّد محمّد حسين الطّباطبائي في الجزء الرّابع من موسوعته القيّمة (تفسير الميزان) مسألةَ حرّية الإنسان في أصالة وجودها في تكوينه، والعوامل الحاكمة عليها والمقيّدة لها، من طبيعية، أو اجتماعية، خالصاً إلى أنّ لا حرية للإنسان في مقابل ربّه عزّ وجلّ، وأنّ ذلك هو ما يعطيه الحرّية أمام الآخرين.

الإنسان بحسب الخلقة موجود ذو شعور وإرادة، له أن يختارَ لنفسه ما يشاء من الفعل، وبعبارة أخرى: له في كلّ فعل يقف عليه، أن يختار جانبَ الفعل، وله أن يختار جانب التّرك، فكلُّ فعل من الأفعال المُمكنةِ الإتيانُ إذا عُرض عليه، كان هو بحسب الطّبع واقفاً بالنّسبة إليه على نقطة يلتقي فيها طريقان: الفعل والتّرك، فهو مضطرّ في التلبُّس والاتّصاف بأصل الاختيار، لكنّه مختارٌ في الأفعال المُنتسِبة إليه، الصّادرة عنه باختياره، أي إنّه مُطلَق العنان بالنّسبة إلى الفعل والتّرك بحسب الفطرة، غيرُ مقيّد بشيء من الجانبَين ولا مغلول، وهو المراد بحرّية الإنسان تكويناً.

لازمُ هذه الحرّية التّكوينية حريةٌ أخرى تشريعية يتقلّد بها في حياته الاجتماعية، وهو أنّ له أن يختار لنفسه ما شاء من طُرق الحياة، ويعمل بما شاء من العمل، وليس لأحد من بني نوعه أن يستعليَ عليه، فيستعبدَه ويتملّكَ إرادته وعمله، فيحمل بهَوى نفسه عليه ما يكرهُه، فإنّ أفراد النّوع أمثالٌ، لكلٍّ منهم ما لغيره من الطّبيعة الحُرّة، قال تعالى:

- ﴿.. وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ..﴾ آل عمران:٦٤.

- وقال: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ..﴾ آل عمران:٧٩.

الأسباب الكونية، والحياة الاجتماعيّة

هذا ما للإنسان بالقياس إلى أمثاله من بني نوعه، وأمّا بالقياس إلى العِلل والأسباب الكونية التي أَوجدت الطّبيعةَ الإنسانية فلا حرّية له قِبالُها، فإنّها تملِكه وتحيط به من جميع الجهات وتقلبه ظهراً لبطن، وهي التي بإنشائها ونفوذ أمرها فعلت بالإنسان ما فعلت، فأظهرتْه على ما هو عليه من البُنيان والخواصّ من غير أن يكون له الخِيَرةُ من أمره فيَقبل ما يحبّه ويَرُدّ ما يكرهه، بل كان كما أُريد [له] لا كما أراد، حتىّ أنّ أعمالَ الإنسان الاختيارية - وهي مَيدان الحرّية الإنسانية - إنّما تطيع الإنسان فيما أذِنت فيه هذه العللُ والأسباب، فليس كلّ ما أحبّه الإنسان وأراده بواقع، ولا هو في كلّ ما اختاره لنفسه بموفَّق له، وهو ظاهر.

وهذه العلل والأسباب هي التي جهّزت الإنسانَ بجهازات تُذَكِّره حوائجَه ونواقص وجوده، وتبعثُه إلى أعمال فيها سعادتُه وارتفاع نواقصه وحوائجه، كـ «الغَاذية» مثلاً، التي تذكّره الجوعَ والعطش، وتهديه إلى الخبز والماء لتحصيل الشّبع والرّي، وهكذا سائر الجهازات التي في وجوده.

ثمّ إنّ هذه العللَ والأسباب أوجبتْ إيجاباً تشريعياً على الإنسان الفرد أموراً ذاتَ مصالح واقعيّة لا يسَعُهُ إنكارُها ولا الاستنكافُ بالاستغناء عنها، كالأكل، والشّرب، والإيواء، والاتّقاء من الحرّ والبرد، والدّفاع تجاه كلّ ما يضادّ منافع وجوده.

ثمّ أفطَرتْه [العلل والأسباب] بالحياة الاجتماعية، فأذعنَ بوجوب تأسيس المجتمع المنزلي والمدني، والسّير في مسير التّعاون والتّعامل، ويضطرّه ذلك إلى الحرمان عن موهبة الحرّية من جهتَين:

إحداهما: أنّ الاجتماع لا يتمّ من الفرد إلّا بإعطائه الأفرادَ المتعاونين له [معه] حقوقاً متقابلة محترمة عنده، ليعطوه بإزائها حقوقاً يحترمونها، وذلك بأنْ يعملَ للنّاس كما يعملون له، وينفعَهم بمقدار ما ينتفعُ بهم، ويُحرَم عن الانطلاق والاسترسال في العمل على حسب ما يَحرمُهم، فليس له أن يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، بل هو حرّ فيما لا يزاحم حرّية الآخرين، وهذا حِرمانٌ عن بعض الحرّية للحصول على بعضها.

والثانية: أنّ المجتمع لا يقوم له صُلبٌ دون أن تجريَ فيه سننٌ وقوانين يتسالم عليها الأفراد المجتمعون أو أكثرُهم، تضمن تلك السّنن والقوانين منافعَهم العامّة بحسب ما للاجتماع من الحياة الرّاقية أو المنحطّة الرّديّة، وتُستحفظ بها مصالحهم العالية الاجتماعية.

لا حرّيةَ لأحدٍ قِبال كلمة الحقّ

من المعلوم أنّ احترام السّنن والقوانين يَسلُب الحرّية عن المجتمعين في مواردها، فالذي يستنّ سُنّة أو يقنّ قانوناً، سواء كان هو عامّة المجتمعين أو المندوبين منهم، أو السّلطان، أو كان هو الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وآله - على حسب اختلاف السّنن والقوانين - يَحرِمُ الناسَ بعض حرّيتهم ليحفظ به البعضَ الآخر منها، قال الله تعالى:

- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ..﴾ القصص:٦٨.

- وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب:٣٦.

فتلخّصَ أنّ:

١) الإنسان إنّما هو حُرّ بالقياس إلى أبناء نوعه فيما يقترحونه لهوًى من أنفسهم، وأمّا بالنّسبة إلى ما تقتضيه مصالحُه المُلزِمة - وخاصّة المصالح الاجتماعية العامّة على ما تهديه إليها وإلى مقتضياتها العللُ والأسباب - فلا حرّية له البتّة.

٢) وأنّ الدّعوةَ إلى سُنّةٍ أو أيّ عمل يوافق المصالحَ الإنسانية من ناحية القانون أو مَن بيده إجراؤه، أو النّاصح المتبرّع الذي يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر متمسّكاً بحجّة بيّنة، [ليست] من التّحكُّم الباطل وسلبِ الحرّية المشروعة في شيء.

ثمّ إنّ العِلل والأسباب المذكورة وما تهدي إليه من المصالح مصاديقُ لإرادة الله سبحانه أو إذنه - على ما يهدي إليه ويبيّنه تعليم التّوحيد في الإسلام - فهو سبحانه المالكُ على الإطلاق، وليس لغيره

■ الدّعوة إلى أيّ عمل يوافق المصالحَ الإنسانية، ليست من التّحكُّم الباطل وسلبِ الحرّية المشروعة في شيء.

إلّا المملوكيّةُ من كلّ جهة، ولا للإنسان إلّا العبوديةُ محضاً، فمالكيّته المطلقة تَسلُب أيّ حرّية متوهّمة للإنسان بالنّسبة إلى ربّه، كما أنّها هي تعطي [الأنسان] الحرّية بالقياس إلى سائر بني نوعه، كما قال تعالى: ﴿..أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ..﴾ آل عمران: ٦٤.

فهو سبحانه الحاكمُ على الإطلاق، والمُطاع من غير قيد وشرط، كما قال: ﴿..إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ..﴾ الأنعام:٥٧.

وقد أعطى سبحانه حقّ الأمر والنّهي والطّاعة لرُسُله، ولأُولي الأمر، وللمؤمنين من الأمّة الإسلاميّة، فلا حرّيةَ لأحدٍ قِبال كلمة الحقّ التي يأتون بها ويدعون إليها، قال تعالى: ﴿..أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ..﴾ النساء:٥٩.

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ..﴾ التوبة:٧١.

لا حرّيةَ لأحدٍ أمام مَن أعطاهم الله تعالى حقّ الأمر والنّهي؛ من الأنبياء والرُّسُل وأُولي الأمر.

احترامُ السُّنَن والقوانين سلبٌ للحرّية عن المجتمعين في موارد بعينها، لأجل حفظها في موارد أهمّ وأخطَر.

العقيدة ليست عملاً اختياريّاً

في سياق أحد أبحاثه القرآنية (ما هو الطريق إلى التحوّل والتكامل في المجتمع الإسلامي؟) يقول العلّامة الطباطبائي رحمه الله:

«عرفتَ أنّ التّوحيد أساسُ جميع النّواميس الإسلاميّة، ومع ذلك كيف يُمكن أن يشرّع حريّة العقائد؟ وهل ذلك إلّا التّناقض الصّريح؟ فليس القول بحرّيّة العقيدة إلّا كالقول بالحرّيّة عن حكومة القانون في القوانين المدنيّة بعينه.

وبعبارة أخرى، العقيدة بمعنى حصول إدراك تصديقيّ ينعقد في ذهن الإنسان ليس عملاً اختياريّاً للإنسان حتّى يتعلّق به منع أو تجويز أو استعباد أو تحرير، وإنّما الّذي يقبل الحظر والإباحة هو الالتزام بما تستوجبه العقيدة من الأعمال؛ كالدّعوة إلى العقيدة، وإقناع الناس بها، وكتابتها ونشرها؛ وإفساد ما عند النّاس من العقيدة والعمل المخالفَين لها، فهذه هي التي تقبل المنع والجواز. ومن المعلوم أنّها إذا خالفت موادّ قانون دائر في المجتمع أو الأصل الذي يتّكىء عليه القانون، لم يكن مناصّ من منعها من قبل القانون، ولم (يستند) الإسلام في تشريعه على غير دين التّوحيد (التّوحيد والنّبوّة والمعاد)، وهو الّذي يجتمع عليه المسلمون واليهود والنّصارى... (أهل الكتاب)، فليست الحرّيّة إلّا فيها، وليست فيما عداها إلّا هدماً لأصل الدّين..».

(تفسير الميزان: ج ٤، ص ١١٧)

مناسبات شهر جُمادى الأولى

إعداد: صافي رزق

٢ جمادى الأولى / ٨ هجريّة

* معركة مؤتة، واستشهاد جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليهما.

٥ جمادى الأولى / ٥ هجريّة

* ولادة الصّدّيقة الصّغرى، السّيّدة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السّلام.

١٠ جمادى الأولى / ٣٦ هجريّة

* حربُ الجمل بين أمير المؤمنين عليه السّلام، والنّاكثين.

١٣ جمادى الأولى / ١١ هجريّة

* شهادة الصّدّيقة الكبرى صلوات الله عليها. (على رواية أنّها عاشت ٧٥ يوماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله)

١٥ جمادى الأولى

* **٣٦ للهجرة**: فتحُ البصرة ونزول النّصر من الله الكريم على أمير المؤمنين عليه السلام ضدّ النّاكثين.
* **٣٨ للهجرة**: ولادة الإمام عليّ بن الحسين، زين العابدين عليه السّلام (على رواية).

٢٧ جمادى الأولى / ٤٥ قبل الهجرة

* وفاة المولى عبد المطّلب بن هاشم جدّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله.

٢٩ جمادى الأولى / ٣٠٥ هجريّة

* وفاة محمّد بن عثمان العمريّ، السّفير الثّاني، في فترة الغَيبة الصُغرى.

أبرز مناسبات جُمادى الأولى

أبرز مناسبات هذا الشّهر:

- اليوم الثّالث عشر (١١ للهجرة): شهادة الصّدّيقة الزّهراء، عليها السّلام، على رواية أنّها عاشت ٧٥ يوماً بعد أبيها، صلّى الله عليه وآله.

- اليوم الخامس عشر (٣٨ للهجرة): مولد الإمام زين العابدين عليه السّلام في المدينة المنوّرة (على رواية).

- اليوم الخامس (٥ للهجرة): ولادة السّيّدة زينب عليها السّلام.

اليوم الثّالث عشر: شهادة الصّدّيقة الكبرى عليها السّلام (على رواية)

«فاطمة عليها السّلام سليلةُ النّبوّة... وصفوة الشّرف والجود، وواسطةُ قلادة الوجود، ونقطة دائرة المفاخر، وقمر هالة المآثر، الزّهرة الزّهراء، والغرّة الغرّاء، العالية في المحلّ الأعلى، الحالّة في المرتبة العلياء، السّامية بالمكانة المكينة في عالم السّماء، المضيئة بالأنوار المنيرة، المستغنية باسمها عن عدّها ورسمها، قرّة عين أبيها، وقرار قلب أُمّها، الحالية بجواهر عُلاها، العاطلة من زخرف دنياها، سيّدة النّساء، جمال الآباء وشرف الأنبياء، يفخر آدم بمكانها، ويفرح نوح بعلوّ شأنها، ويسمو إبراهيم بكونها من نسله، ويتبجّح إسماعيل بها على إخوته إذ هي فَرع أصله.

وكانت ريحانةَ النّبيّ، صلّى الله عليه وآله، من بين أهله بل روحُه وقلبه، فما يجاريها في مفخرٍ إلّا مغلَب، ولا يباريها في مجدٍ إلّا مؤنَّب، ولا يجحد حقّها إلّا مأفون، ولا يصرف عنها وجه إخلاصه إلّا مغبون».

(اللّمعة البيضاء، التّبريزيّ الأنصاريّ)

اليوم الخامس عشر: ولادة الإمام زين العابدين عليه السّلام (على رواية)

«لَمَّا هَدَمَ الْحَجَّاجُ الْكَعْبَةَ فَرَقَ النَّاسُ تُرَابَهَا، فَلَمَّا صَارُوا إِلَى بِنَائِهَا فَأَرَادُوا أَنْ يَبْنُوهَا خَرَجَتْ عَلَيْهِمْ حَيَّةٌ فَمَنَعَتِ النَّاسَ الْبِنَاءَ حَتَّى هَرَبُوا، فَأَتَوُا الْحَجَّاجَ فَأَخْبَرُوه. فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وقَالَ: أَنْشُدُ الله عَبْداً عِنْدَه مِمَّا ابْتُلِينَا بِه عِلْمٌ لَمَّا أَخْبَرَنَا بِه. فَقَامَ إِلَيْه شَيْخٌ فَقَالَ: إِنْ يَكُنْ عِنْدَ أَحَدٍ عِلْمٌ، فَعِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ.

فَبَعَثَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (زين العابدين) صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمَا فَأَتَاه فَأَخْبَرَه مَا كَانَ مِنْ مَنْعِ الله إِيَّاه الْبِنَاءَ، فَقَالَ لَه عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: **يَا حَجَّاجُ، عَمَدْتَ إِلَى بِنَاءِ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ فَأَلْقَيْتَهُ فِي الطَّرِيقِ، وانْتَهَبْتَهُ كَأَنَّكَ تَرَى أَنَّه تُرَاثٌ لَكَ، اصْعَدِ الْمِنْبَرَ وانْشُدِ النَّاسَ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَخَذَ مِنْه شَيْئاً إِلَّا رَدَّه.**

قَالَ: فَرَدُّوه، فَأَتَى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمَا، فَوَضَعَ الأَسَاسَ وأَمَرَهُمْ أَنْ يَحْفِرُوا، فَتَغَيَّبَتْ عَنْهُمُ الْحَيَّةُ وحَفَرُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَوْضِعِ الْقَوَاعِدِ. قَالَ لَهُمْ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: **تَنَحَّوْا.** فَتَنَحَّوْا، فَدَنَا

مِنْهَا فَغَطَّاهَا بِثَوْبِه ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ غَطَّاهَا بِالتُّرَابِ بِيَدِ نَفْسِه، ثُمَّ دَعَا الْفَعَلَةَ، فَقَالَ: **ضَعُوا بِنَاءَكُمْ**. فَوَضَعُوا الْبِنَاءَ، فَلَمَّا ارْتَفَعَتْ حِيطَانُهَا أَمَرَ بِالتُّرَابِ فَقُلِّبَ فَأُلْقِيَ فِي جَوْفِه، فَلِذَلِكَ صَارَ الْبَيْتُ مُرْتَفِعاً يُصْعَدُ إِلَيْه بِالدَّرَجِ».

(عن الكافي للكليني)

اليوم الخامس: مولدُ العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين عليهما السّلام

«تمتلك العقيلة زينب مفاخر حَسَبِيّة ونَسَبِيّة، كما هي أُمّها الزّهراء عليها السّلام. فعلى صعيد النّسب، فإنّ أُمّها فاطمة الزّهراء بنت خاتم الأنبياء، الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وآله، أمّا زينب عليها السّلام فهي ابنة سيّد الأوصياء، أسد الله الغالِب عليّ بن أبي طالب عليه السّلام.

والزّهراء ابنة خديجة الكبرى أُمّ المؤمنين، أمّا زينب، فابنة الزّهراء سيّدة نساء العالمين، الّتي ترعرعتْ في بيت الطّهارة والعِصمة.

الزّهراء تلقّتْ تربيتها في حِجر النّبيّ الأكرم، صلّى الله عليه وآله، وزينب تربّت في حجر الوصيّ الوليّ عليّ بن أبي طالب الذي كان أقرب النّاس إلى الرّسول..» .

(حياة زينب الكبرى، الشّهيد دستغيب)

اليوم العاشر: حربُ الجمل

«قال أبان: سمعتُ سليم بن قيس يقول: شهدتُ يوم الجمل عليّاً، عليه السّلام، وكنّا اثنَي عشر ألفاً، وكان أصحاب الجمل زيادة على عشرين ومائة ألف. وكان مع عليّ، عليه السّلام، من المهاجرين والأنصار نحوٌ من أربعة آلاف ممّن شهد مع رسول الله، صلّى الله عليه وآله، بدراً والحديبية ومشاهده، وسائرُ النّاس من أهل الكوفة إلّا مَن تبعه من أهل البصرة والحجاز ليست له هجرة ممَّن أسلم بعد الفتح. وجلّ الأربعة آلاف من الأنصار.

ولم يُكرِه أحداً من النّاس على البيعة ولا على القتال، إنّما ندبهَم، فانتدب من أهل بدر سبعون ومائة رجل، وجلّهم من الأنصار ممّن شاهد أُحداً والحديبية، ولم يتخلّف عنه أحد.

وليس أحد من المهاجرين والأنصار إلّا وهواه معه «..» والطّاعن عليه والمتبرّئ منه قليلٌ مستتِرٌ عنه، مُظهر له الطّاعة غير ثلاثة رهْط، بايعوه ثم شكّوا في القتال معه وقعدوا في بيوتهم: محمّد بن مسلمة، وسعد بن أبي وقّاص، وابن عمر...».

(كتاب سلَيم بن قيس)

اليوم الثّاني: معركة مؤتة

«غزوة مُؤتة، وكانت في جمادى الأولى سنة ثمان، استعمل رسول الله صلّى الله عليه وآله على الجيش فيها زيد بن حارثة، وقال: (**إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طالِبٍ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَواحَةَ**). هذا ما يقوله جمهور المسلمين كافّة، ولعلّ الصّواب ما يقوله أصحابنا الإماميّة، إنّ الأوّل من هؤلاء الأمراء إنّما هو جعفر، والثّاني إنّما هو زيد، وثالثهم عبد الله بن رواحة، وأخبارنا في هذا متظافرة من طريق العترة الطّاهرة. ويشهد لهذا ما رواه محمّد بن إسحاق في (مغازيه) عن كلّ من حسان بن ثابت وكعب بن مالك الأنصاريَّين من شِعرهما في رثاء جعفر ومدحه إذ استشهد، وكيف كان الواقع من ترتيب رسول الله لهؤلاء الأمراء الثّلاثة، فقد نصّ، صلّى الله عليه وآله، على تأمير زيد، سواء أكان الأوّل منهم، أم كان الثّاني، وسمعه الجيشُ وسائرُ الصّحابة يؤمّره، فلا وجه لطعن الطّاعنين منهم بعد ذلك في تأميره، إلّا إذا جاز الاجتهاد من غير المعصوم، في مقابل النّصّ من المعصوم».

(النّصّ والاجتهاد، السّيّد شرف الدّين)

المَال
آفاتُه من المُهلِكات، وفوائدُه من المُنجيات

إعداد: «شعائر»

في ما يلي مجموعة من الرّوايات الشّريفة محوَرها المال، تتناول جهتَي التّعامل معه وشرور التّعلّق به، تليها كلماتٌ للمولى الشّيخ محمّد مهديّ النّراقيّ من كتابه (جامع السّعادات) حول حالتَي فَقْدِ المال ووجوده، وأنّ في كلَيهما امتحاناً.

ما يُخشى من المال

- رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَخْوَفُ ما أَخافُ عَلى أُمَّتي أَنْ يَكْثُرَ لَهُمُ المالُ فَيَتَحاسَدونَ وَيَقْتَتِلونَ».
- وعنه صلّى الله عليه وآله: «ما ذِئْبانِ ضارِيانِ أُرْسِلا في زَريبَةِ غَنَمٍ، بِأَكْثَرَ فَساداً فيها مِنْ حُبِّ المالِ وَالجاهِ في دينِ الرَّجُلِ المُسْلِمِ».
- وعنه صلّى الله عليه وآله: «إِنَّما أَتَخَوَّفُ عَلى أُمَّتي مِنْ بَعْدي ثَلاثَ خِلالٍ: أَنْ يَتَأَوَّلوا القُرْآنَ عَلى غَيْرِ تَأْويلِهِ، أَوْ يَبْتَغوا زَلَّةَ العالِمِ، أَوْ يَظْهَرَ فيهِمُ المالُ حَتّى يَطْغَوْا وَيَبْطَروا».
- وعنه صلّى الله عليه وآله: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ عِجْلٌ، وَعِجْلُ هَذِهِ الأُمَّةِ الدّينارُ وَالدِّرْهَمُ».

حقّ المال

- الإمام زين العابدين عليه السلام: «أَمّا حَقُّ مالِكَ فَأَنْ لا تَأْخُذَهُ إِلّا مِنْ حِلِّهِ، وَلا تُنْفِقَهُ إِلّا في وَجْهِهِ، وَلا تُؤْثِرَ عَلى نَفْسِكَ مَنْ لا يَحْمَدُكَ، فَاعْمِلْ فيهِ بِطاعَةِ رَبِّكَ، وَلا تَبْخَلْ بِهِ فَتَبُوءَ بِالحَسْرَةِ وَالنَّدامَةِ مَعَ السَّعَةِ».
- الإمام الصّادق عليه السلام: «ما كَثُرَ مالُ رَجُلٍ قَطّ إِلّا عَظُمَتِ الحُجَّةُ لِلّهِ تَعالى عَلَيْهِ، فَإِنْ قَدَرْتُمْ أَنْ تَدْفَعوها عَنْ أَنْفُسِكُمْ فَافْعَلوا، فقيل: بماذا؟ قال: بِقَضاءِ حَوائِجِ إِخْوانِكُمْ مِنْ أَمْوالِكُمْ».

احذروا حبّ المال وكَثرتَه

- رسول الله صلى الله عليه وآله: «قالَ الشَّيْطانُ لَعَنَهُ اللهُ: لَنْ يَسْلِمَ مِنّي صاحِبُ المالِ مِنْ إِحْدى ثَلاثٍ أَغْدو عَلَيْهِ بِهِنَّ وَأَروحُ: أَخْذِهِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ، وَإِنْفاقِهِ في غَيْرِ حَقِّهِ، وَأُحَبِّبُهُ إِلَيْهِ فَيَمْنَعُهُ مِنْ حَقِّهِ».
- الإمام عليّ عليه السلام: «إِذا أَحَبَّ اللهُ سُبْحانَهُ عَبْداً بَغَّضَ إِلَيْهِ المالَ وَقَصَّرَ مِنْهُ الآمالَ؛ إِذا أَرادَ اللهُ بِعَبْدٍ شَرّاً حَبَّبَ إِلَيْهِ المالَ وَبَسَطَ مِنْهُ الآمالَ».
- وعنه عليه السّلام: «كَثْرَةُ المالِ تُفْسِدُ القُلوبَ وَتُنْشِئُ الذُّنوبَ».

قال العلماء

«حبّ المال: وهو من شُعب حبّ الدّنيا، إذ حبُّ الدّنيا يتناول حبّ كلّ حظٍّ عاجل، والمال بعض أجزاء الدّنيا، كما أنّ الجاهَ بعضُها. وبالجملة فللدّنيا أبعاضٌ كثيرة يجمعها كلّ ما للإنسان فيه حظٌّ عاجل، فآفات الدّنيا كثيرة الشّعب والأرجاء، واسعة الأرجاء والأكناف، ولكنّ أعظم آفاتها المتعلّقة بالقوّة الشّهويّة هو المال، إذ كلّ ذي روح محتاج إليه ولا غناءَ له عنه، فإنْ فُقِدَ حصل الفقر الذي يكاد أن يكون كفراً، وإن وُجِد حصل منه الطّغيان الذي لا تكون عاقبة أمره إلّا خُسراً، فهو لا يخلو من فوائد وآفات، وفوائده من المُنجيات وآفاته من المهلكات، وتمييز خيرها وشرّها من المشكلات، إذ مِن فَقْدِه تحصل صفة الفقر، ومن وجوده تحصل صفة الغناء، وهما حالتان يحصل بهما الامتحان».

(النّراقي - جامع السّعادات)

من فتاوى الفقهاء

من أحكام الغيبة، والتّورية، والاستخارة

إعداد: «شعائر»

وليّ أمر المسلمين الإمام الخامنئيّ دام ظلّه

س: إذا أخذ شخص الإذن من آخَر في اغتيابه، فهل يجوز له اغتيابه في مثل هذه الصّورة؟

ج: لا اعتبار بإذن المغتاب في اغتيابه ولا يجوز للمأذون اغتيابه لمجرّد الاذن منه.

س: هل سوء الظّنّ بالنّاس، بحدّ ذاته، أمرٌ محرَّم كأن يحكم الشّخص في قرارة نفسه بأنّ فلاناً يؤدّي أعماله رياءً أو أنّ لديه عُجباً، وهل هناك حلّ شرعيّ لرفع هذه الحالة؟

ج: لا يأثم على ذلك ما دام لم يظهره في أعماله، والمؤمن إذا اهتمّ بتهذيب نفسه ورفع عيوبها، يشتغل عن عيوب النّاس ويتركها.

س: هل تجب صلة الرّحم أم تُستحبّ؟

ج: صلة الرّحم ليست بواجبة، بل قطع الرّحم حرام.

س: ما معنى التّورية؟ ومتى يجب أو يجوز استخدامها؟ هل هي مكروهة أم حرام؟

ج: إذا كان للفظٍ معنيان أحدهما أشيَع من الآخر فتنطق به وتريد الخفيّ، فهي تُسمَّى بالتّورية أي سترتَه وأظهرتَ غيره. وإذا كانت إخباراً على خلاف الواقع فهي كَذِب. وإذا أُريدَ منها المعنى الخفيّ للّفظ فهي تجوز ولا بأس بها شرعاً، والتّورية جائزة في نفسها.

س. ما رأي سماحتكم في أخذ الإجازة المرضيّة من الطّبيب المعالج علماً بأنّنا موظّفين نعمل في إحدى الشّركات الحكوميّة ونتمارض أو نتظاهر بالمرض؟ وما هي كفّارتها علماً بأنّها مدفوعٌ أجرها؟

ج: لا يجوز ذلك إذا كان كذباً أو كان على خلاف المُقرّرات الخاصّة المتّبعة في الشّركة المذكورة، ولا تملك الأجرة مقابلها.

س: ما حكم استخدام الفاكهه أو ما يؤكل في التّجميل؟

ج: لا مانع منه في نفسه إلّا إذا عدّ إسرافاً أو تبذيراً للمال.

(نقلاً عن الموقع الإلكتروني لمكتب الإمام الخامنئيّ دام ظلّه)

المرجع الدّيني الكبير السّيّد السّيستانيّ دام ظلّه

س: إذا كان الشّخص يرضى بذكر عيوبه فهل تجوز غيبتُه؟

ج: الغيبة حرام، ولا يبرّرها رضى المغتاب .

س: هل يجوز ذكر المؤمن بخصلة حسَنة فيه اذا لم يكن يرضى بذلك؟

ج: لا مانع منه إذا لم يكن فيه ضررٌ عليه .

س: حول الخيرة: حيث إنّني أخذت خيرة، وجاءت نهي، وفي وقتٍ لاحق أخذت خيرة أُخرى بنفس النّيّة، وفي نفس الموضوع، وجاءت جيّدة جداً.. فأيّ الخيرتَين أرجح ويجبُ العمل بموجبها؟

ج: لا وجه لتكرار الاستخارة، إلّا إذا تبدّل الموضوع، وعليه فالمعتمَد هو الاستخارة الأولى .

س: يقولون بأنّه ما خاب مَن استشار، فما مدى فاعليّة الخيرة في الشّخص المُتقدّم للزّواج؟ أي إذا تقدّم شخص لفتاة وتمّ التّحكيم بالخيرة وطلعت نهي ..هل يعمل بها؟ وهل تكون إجباريّة لأنّها امتثال لأنّنا قمنا باستشارة الله عزّ وجلّ؟

ج: لا يحرم مخالفتها ولكنّه يتحمّل تبعات ما لا مصلحة في الدّخول فيه .

س: هل يجب على المستمع للإذاعة أو التّلفزيون أن يردّ السّلام على المسَلِّم من المذيعين؟

ج: لا يجب .

س: ما المقصود من صيد اللّهو، وهل ما نحن مبتلون به في زماننا حيث يخرج مجموعة من الشّبّان للصّيد ساعة ثمّ يعودون إلى المنزل سواء أكانوا اصطادوا أم لا؟

ج: لا يحرم الصّيد للّهو والتّسلية.. إلّا أنّ السّفر إذا كان من أجل هذا الصّيد لا يجوز القصر، بل يجب التّمام.

(نقلاً عن الموقع الإلكتروني لشبكة السّراج)

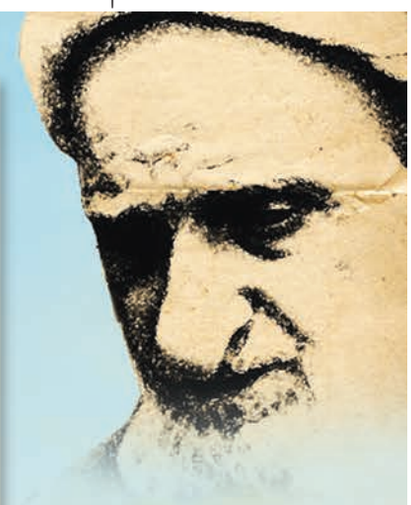

من توجيهات شيخ الفقهاء العارفين:

لا تَنازعوا على بيوت العنكبوت

هذه المقتطفات هي من ترجمة خاصّة بـ «شعائر» اخترناها من كتاب (جرعة وصال) المطبوع بإجازةِ مكتب شيخ الفقهاء العارفين، المرجع الرّاحل الشّيخ محمد تقي بهجت قدّس سرّه. نشير إلى أنّ الكتاب يتضمّن توجيهات معنويّة مختصرَة جرى اقتباسها، بعناية، من كلماته رضوان الله تعالى عليه.

♦ **اِعملوا بما تعلمون**، واحتاطوا في ما لا تعلمون حتّى تتّضح لكم الأمور؛ **فإن لم تتّضح**، فاعلموا أنّكم قد جعلتم شيئاً ممّا تعلمون وراء ظهوركم.

♦ نحن، أنفسنا، مَن نُساهم في توفير أسباب حديث النّفس والغَفلة ونسيان ذِكر الله.. وعند **المراقبة والمحاسبة** يتّضح للمرء أين يكمنُ العَيب.

♦ **طالبُ المعرفة والهداية**، قريبٌ جدّاً من الوصول إلى غايته والعثور عليها، وقريبٌ جدّاً من التّشرّف بالقرب ومعرفة الحقّ؛ لدرجة أنّه يكاد يُقال له: **وَصَلْتَ، فتَشَرَّف بالدُّخول!**

كلّ المصائب رحمة

♦ أَمِنَ الممكن أن يكون للمرء علاقة دينيّة ومعنويّة مع **الله عزَّ وجلَّ وأوليائه**، ثمّ يُخذل في الظّروف الصّعبة، دون أن **يُؤخذ** بيده أو يُرشَد؟!

♦ إنّ الله يقوّي إيمان الّذين تبقى **أقدامُهم ثابتةً** عند الشّدائد، يقوّيه إلى الحدّ الذي لا تتمكّن فيه المصائب من أن تنالَ منهم، فيرحلون عن الدّنيا مُؤمنين ذاكرين، وبذكر الله مُستَأنسين.

♦ انظروا إلى **عبيد الدّنيا** وإلى ما تعلّقت به قلوبهم، وإلى ما يتنازعون عليه فيما بينهم ، فما هو إلّا عالَمٌ من قرطاس وورقٍ مقوّى وبيتِ عنكبوت!..

الرّزق كلّه، في التّوكّل على الله

♦ ينبغي على الإنسان أن **يحدّد موقفه** يوميّاً؛ أَهو من أهل الحقّ وأتباعه، أم هو من أهل الباطل وأشياعه؟!

♦ لنعلم أنّ الأمر كلّه يتلخّص في مسألة واحدة: **العبوديّة لله**. وعبوديّته في إطاعته، وطاعته في **ترك مَعصيته في ما نعتقدُ ونعمل**.

♦ البعض يرى أنّ **التّوكّل** على الله هو رزقُهم، وهؤلاء هم **الأغنياء** حقّاً. فقد أيقنوا بأنّهم ما إن توكّلوا على الله فإنّ رزقهم سيَصلهم؛ وعندما لا يصلهم يعلمون أنّه لم يكن ضروريّاً لهم.

♦ الثّروة والغنى المادّيان ما هما إلّا مقدّمة للإنسان ليعيش مرتاحاً؛ **والمُتوكِّل على الله** يعيش مرتاحاً من دون هاتَين المُقدّمتَين.

الملف

التّوسُّل بالزّهراء عليها السّلام

إجماعُ الأمّة على شَرعيّته وفضيلتِه

اقرأ في الملف

(١)

على أعتاب عَظَمة الصّدّيقة الكُبرى عليها السّلام

إنْ قلتَ «فاطمَة»، فقد قلتَ «رسول الله..»

(٢)

«ونحن وسيلتُه في خَلْقِه..»

التّوسُّل بالزّهراء عليها السّلام

أعدّ هذا الملف: الشّيخ حسين كَوراني

عن سلمان الفارسي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

استهلال

باب استحباب

زيارة فاطمة عليها السلام

"..عن يزيد بن عبد الملك، عن أبيه، عن جده قال:
دخلت على فاطمة عليها السلام فبدأتني بالسلام،
ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة،
قالت: أخبرني أبي، وهو ذا:
أنه من سلم عليه وعلي ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة،
قلت لها: في حياته وحيائك؟ قالت: نعم... وبعد موتنا".

❁ ❁ ❁ ❁

"عن إبراهيم بن محمد بن عيسى العريضي، قال:
حدثنا أبو جعفر عليه السلام ذات يوم قال:
إذا صرت إلى قبر جدتك عليها السلام، فقل:
يا ممتحنة امتحنك الذي خلقك قبل أن يخلقك
فوجدك لما امتحنك صابرة، وزعمنا أنا لك أولياء
ومصدقون وصابرون لكل ما أتانا به أبوك صلى الله عليه وآله
وأتى به وصيه، فإنا نسألك إن كنا صدقناك
إلا ألحقتنا بتصديقنا لهما لنبشر أنفسنا بأنا قد طهرنا بولايتك".

وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٤، ص ٢٦٧

على أعتاب عَظَمة الصّدّيقة الكُبرى عليها السلام

إنْ قلتَ «فاطمة»، فقد قلتَ «رسول الله..»

* هل الحديث عمّا جرى على الزّهراء عليها السّلام، يُنافي الوحدة الإسلاميّة؟
* إنْ كانت الوحدة تعني الوحدة بين محبّي أهل البيت عليهم السّلام وبين أعدائهم الأمويّين الوهّابيّين النّواصب، فالحديث عمّا جرى على الزّهراء عليها السّلام يضربُ هذه الوحدة لأنّها ليست وحدةً إسلاميّة إلّا بالاسم والادّعاء والتّزييف.
* أمّا إنْ كانت الوحدة الإسلاميّة - كما أرادها الله تعالى وأكّدَها سيّدُ النّبيّين صلّى الله عليه وآله وسلّم - وهي التقاء المسلمين ووحدتُهم على حبّ أهل البيت عليهم السّلام، فإنّ كلّ محمّديٍّ صادق يتلهّفُ إلى الحديث عمّا جرى للزّهراء عليها السّلام، لأنّه لا يكتمل دينُ مسلمٍ إلّا بحبّ الزّهراء ومعرفتِها عليها السّلام.

يُجمع المسلمون على عَظَمة الزّهراء عليها السّلام.

وليست عَظَمة الزّهراء الإلهيّة المجمَع عليها، نتيجة مجرّد أنّها بنت رسول الله، وزوجة أمير المؤمنين، وأمّ الأئمّة صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

إنّها، عليها صلوات الله تعالى، من الخمسة أهل الكساء، أي إنّها عليها السّلام في قلب دائرة العظَمة المحمّديّة، رسول الله صلّى الله عليه وآله.

«وقد سُئل الإمام أبو بكر بن داوود: أخديجةُ أفضل أم عائشة؟

فأجاب بأنّ عائشة أقرأَها رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من جبرئيل، وخديجة أقرأَها جبرئيلُ السّلامَ من ربّها على لسان نبيّه!

فقيل: خديجةُ أفضل أم فاطمة؟

فقال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: (**فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي**)، ولا أعدلُ ببضعة رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أحداً. وهو استقراء حَسَن، يشهدُ بذلك أنّ أبا لبابة لمّا ربطَ نفسه وحلفَ أن لا يحلّه إلّا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، فجاءت فاطمة لتحلّه فأبى من أجل قسَمه، فقال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: (**إنَّما فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنّي**) «..»

وَمِنْ شَرَفِها أَنَّ المَهْدِيَّ الّذي يَمْلَأُ الأَرْضَ عَدْلاً مِنْ وُلْدِها «..»

وفضائلُها، رضوان الله عليها، أكثرُ من أن تُحصَى. ذكرَ ذلك كلّه الإمام السّهيلي رحمه الله في كتابه (روضُ الأُنُف)، والله أعلم».

(ابن الدّمشقي، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السّلام: ج ١، ص ١٤٩ - ١٥٢)

مرتبتُها الإلهيّة بين المعصومين

بالرّجوع إلى بحوث العلماء المسلمين العقائديّة، وبشرط التّمييز بين المسلم السّني أو الشّيعي، وبين مدّعي الإسلام من الوهّابيّين والنّواصب، يتّضح غاية الوضوح أنّ مرتبة الصّدّيقة الكبرى عليها السّلام، هي فوق مراتب جميع الأنبياء، ما عدا رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهذا ما هو صريحُ ما تقدّمَ عن أبي بكر بن داود وهو قوله: «ولا أَعْدِلُ ببَضعةِ رسولِ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم أحداً».

ما هو سِرُّ هذه العظَمة؟

* لدى محاولة البحث عن محاور هذه العظَمة الفاطميّة - المحمّديّة، يُمكن تسجيل المحاور التّالية:

١) **اليقين**: بمُقتضى قوله تعالى ﴿..إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..﴾ الحجرات:١٣، يتعيّن أن يكون مقياسُ مرتبة الموحِّد، هو يقينُه بالله تعالى، لأنّ اليقين فوقَ التّقوى بدرجة – كما في الرّواية – أي أنّ التّقوى تتعاظم فتكون يقيناً، وبما أنّ رسول الله ﷺ سيّد المُوقِنين، فمن الطّبيعي أن تكون بضعتُه صلّى الله عليه وآله من اليقين في المقام الأوّل.

٢) **العبادة**: والحديث عن عبادة الصّدّيقة الكبرى، عليها السّلام، محور أبحاثٍ يَعسرُ استقصاؤها، إلّا أنّه يكفي أن نقفَ عند ما ورد من أنّها عليها السّلام، أشبَهتْ في العبادة سيّدَ النّبيّين صلّى الله عليه وآله، وقد عُرف عن الحسن البصريّ قوله: «لم يكن في هذه الأمّة أعبد من فاطمة عليها السّلام».

٣) **العِلم**: أعلمُ الخلق مَن ارتضاهم اللهُ تعالى وأظهرَهم على غَيبه، ومن الواضح أنّ الصّدّيقة الكبرى الزّهراء عليها السلام، هي واسطةُ العِقد المحمّديّة في سادة المعصومين عليهم السلام، وفي ما رُوي عنها عليها السّلام، من كنوز العلم ما يعجزُ كبارُ العلماء ادّعاءَ استيعابِه، بل يَقفون على أعتابه يحاولون استلهامَه، ولو لم يكن إلّا خطبتُها عليها السّلام، في المسجد النّبويّ بعد وفاته، صلّى الله عليه وآله، لكفى بها دليلاً على علمٍ لَدُنِّيٍّ، هو تَجلّي علمِ مدينةِ العلم ونَفْسِه صلّى الله عليهم وآلهم أجمعين.

٤) **تَجلّي الإنسان الكامل**: تحدّث عن هذه الحقيقة المحوريّة المركزيّة، الإمام الخميني قدس سره مبيّناً ما خلاصتُه أنّ الأربعة عشر معصوماً، عليهم الصّلاة والسّلام، يُقال لكلٍّ منهم: «الإنسانُ الكامل»، إلّا أنّ الثّلاثة عشر معصوماً ينطبقُ عليهم هذا الوصفُ بالتّبَع لرسول الله ﷺ، الذي هو وحده الإنسانُ الكامل على الإطلاق، أي بدون اتّباعِ أحدٍ من البشر.

الصّدّيقة الكبرى عليها السّلام في طليعة القادة الإلهيّين، ومن مظاهر هذه القيادة في الدّنيا توسُّلُ الأنبياء بها عليها السّلام.

الزّهراء عليها السّلام «يَرْضَى اللهُ تَعالى لِرِضَاهَا»، لذلك وجب على كلّ مسلم أن يعرفَ ما يُرضيها في العقيدة، والأخلاق الفاضلة، وطاعة الله تعالى، ورسوله وأهل البيت عليهم السّلام.

وعليه فإنّ من المحاور المُغيَّبة في معرفة عظَمة الصّديقة الكبرى الزّهراء، أنّها عليها السّلام، الإنسانُ الكامل بالتّبعيّة لأبيها الذي هو الإنسانُ الكامل على الإطلاق.

٥) القيادة الإلهيّة المعنويّة لَمسيرة البشريّة عبر القرون: أوضحُ معاني أنّ الزّهراء عليها السّلام من سادة المعصومين عليهم السّلام، أنّها في طليعة القادة الإلهيّين الذين حملوا الهُدى الإلهيّ للأجيال.

وقد تجلّت هذه القيادة في الدّنيا في مظاهرَ عديدة، منها توسُّل الأنبياء بها عليهم السلام، حيث ثبتَ أنّ جميعَ الأنبياء قد تَوسّلوا (بمحمدٍ وآل محمّد) صلى الله عليه وآله.

كما رُوي عن الإمام الصّادق قولُه عليه السّلام: «.. وَعَلى مَعْرِفَتِها دارَتِ القُرونُ الأُولى».

وهذا يعني أنّ على معرفتِها عليها السّلام تدورُ القرون الأخيرة إلى يوم القيامة.

ثمّ إنّ التّجلّي الأعظم لقيادتها الإلهيّة للأولياء والأجيال، سيكون عبر شفاعتِها عليها السّلام في يوم القيامة، وما أدراكَ ما شفاعةُ فاطمة!

* ومن النّصوص الوثائقيّة التي تُظَهِّر هذا البُعد من ملامح عظَمة الزّهراء المحمّديّة:

أ) الرّوايات المتعدّدة الموثَّقة حول «اللّوح الأخضر»، الذي رآه الصّحابيّ الجليل جابر بن عبد الله الأنصاريّ في يدها، عليها السّلام، حين قدّم لها التّهنئة بولادة الإمام الحسين عليه السّلام، وقد استنسَخ جابرُ اللّوحَ وفيه أسماءُ قادة البلاد، وسَاسةِ العباد من أبنائها عليها وعليهم السّلام.

ب) الرّوايات المتعدّدة والموثَّقة أيضاً حول «الصّحيفة الفاطميّة»، أو ما عُرف باسم «مصحف فاطمة»، ويعتبرُ الإمام الخمينيّ قدس سره كَثرةَ نزول جَبرئيل عليها (سلام الله تعالى عليها وعلى جبرئيل) أعظمَ مناقبِها عليها السّلام.

الزّهراء عليها السلام هي المقياس

تتوقّف محمّديّةُ كلِّ مسلمٍ على فاطميّته، وقد تقدّم أنّ هذا من المُجمَع عليه بين المسلمين، وهو يعني بكلّ جلاء ومباشرة، أنّ مَن يريد أن يعرف استقامتَه وحُسنَ إسلامه، فإنّ المقياس هو الزّهراء. فهي عليها السّلام «يَرْضَى اللهُ تَعالى لِرِضَاهَا»، لذلك وجب على كلّ مسلمٍ أن يعرفَ ما يُرضيها في العقيدة، والأخلاق الفاضلة، وطاعة الله تعالى، ورسوله وأهل البيت عليهم السّلام، ليكونَ مشمولاً بدعائها وبركاتِها وشفاعتِها صلواتُ الله وسلامه عليها.

هل نعرفُ عَظَمة المعصومين الأربعة عشر عليهم السّلام؟

حول عظَمة الصّدّيقة الكبرى عليها السلام، قال الإمام الخميني قدّس سرّه: «أرى نَفسي عاجزاً حتّى عن التّلفُّظ باسمِها عليها السّلام».

وفي عظمة أهل البيت عموماً، قال وليّ أمر الأُمّة المرجع الدّينيّ القائد السّيّد الخامنئيّ دام ظلّه:

«يرتجفُ بدني حين أسمعُ البعض يذكرون الاسمَ المبارك لأمير المؤمنين عليه السّلام، أو الاسمَ المبارك لوليّ العصر روحي فداه، ثمّ يذكرون اسمي بعدَه.

بدني يرتجف..

أولئك حقائقُ النّور المطلَق، ونحن غَرقى في الظُّلمة.

نحن نباتُ فضاء هذه الدّنيا المعاصرة الملوّث.

أين نحن من أقلّ وأصغرِ تلامذتهم؟!

أين نحن من قَنبرِهم؟!

أين نحن من ذلك الغلام الحبشيّ الذي استُشهد مع الإمام الحسين عليه السّلام؟!

نحن لا نساوي حتّى التّراب تحت قدم هذا الغلام.

إلا أنّنا أناسٌ عرفنا طريقَنا».

«ونحنُ وَسِيلَتُه في خَلْقِه..»

التّوسُّل بالزّهراء عليها السّلام

* لا خلافَ بين المسلمين حول أصل التّوسّل، كما لا خلاف بينهم إطلاقاً حول التّوسّل برسول الله صلّى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السّلام، وخصوصاً التّوسّل بالزّهراء عليها السّلام.
* وبناءً عليه فإنّ إنكار التّوسّل، أمرٌ غريبٌ عن الثقافة القرآنيّة، والسّنّة النّبويّة، والمفاهيم الإسلاميّة الأصيلة.
* لدى تتبُّع أسباب تسلّل هذه البدعة النّكراء - «محاربة التّوسّل» - إلى بعض الأوساط الإسلاميّة المعاصرة، يتّضح أنّ السّبب تلاقُح ماديّة الغزو الثّقافيّ، مع ماديّة المسار الأمويّ - الوهّابيّ الذي تولّد منه تَغييبُ الغَيب، وتجريدُ المعصوم عن بُعده الغَيبيّ.
* والتّوسّل بالزّهراء عليها السّلام، على قِسمين: ١- ضمن التّوسّل بالنّبيّ وآله، صلّى الله عليه وآله. ٢- توسُّلٌ خاصٌّ بها وحدَها عليها السّلام.
* في هذا السّياق تأتي هذه المقاربة للتّوسّل بالزّهراء عليها السّلام.

قالت الزهراء عليها السلام في خطبتها في المسجد النّبويّ:

«..فَاتَّقوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ، وَأَطيعوهُ في ما أَمَرَكُمْ بِهِ، فَإِنَّما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلماءُ، وَاحْمدوا اللهَ الّذي لِعَظَمَتِهِ وَنورِهِ يَبْتَغي مَنْ في السَّماواتِ وَالأَرْضِ إِلَيْهِ الوَسيلَة، وَنَحْنُ وَسيلَتُهُ في خَلْقِهِ، وَنَحْنُ خاصَّتُهُ، وَمَحَلُّ قُدْسِهِ، وَنَحْنُ حُجَّتُهُ في غَيْبِهِ، وَنَحْنُ وَرَثَةُ أَنْبِيائِهِ، ثُمَّ قالَتْ: أَنا فاطِمَةُ ابْنَةُ مُحَمَّدٍ، أَقولُ عَوْداً عَلى بَدْءٍ، وَما أَقولُ ذَلِكَ سَرَفاً وَلا شَطَطاً، فَاسْمَعُوا بِأَسْماعٍ واعِيَةٍ، وَقُلوبٍ راعِيَةٍ..».

(ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٦، ص ٢١١ – ٢١٢)

* وقد أورد ابن أبي الحديد هذا النصّ عن الصّدّيقة الزهراء عليها السلام، نقلاً عن كتاب (السقيفة وفدك) لأبي بكر الجوهري، وهو من العلماء المسلمين السنّة، ولم يصلنا كتابه إلا من خلال ما نقله عنه ابن أبي الحديد في «الفصل الأول» الذي أوضح فيه أنه يتعمّد النقل من كُتب السنّة، حيث قال:

«الفصل الأول: في ما ورد من الأخبار والسِّيَر المنقولة من أفواه أهل الحديث وكُتبهم، لا من كُتب الشيعة ورجالهم، لأنّا مشترطون على أنفسنا ألا نحفل بذلك، وجميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر، أحمد بن عبد العزيز الجوهري في (السّقيفة وفَدَك) وما وقع من الاختلاف والاضطراب عقب وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله. وأبو بكر الجوهري هذا عالمٌ محدِّثٌ كثيرُ الأدب، ثقةٌ وَرِع، أثنى عليه المحدِّثون ورووا عنه مصنّفاته».

(ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٦، ص ٢١٠)

يا سكان كربلاء عليها السلام بنفع في مائه من المواطن، أنسوها

التوسّل مبدأ قرآنيّ أجمعَ عليه الشّيعة والسّنّة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة:٣٥.

يتّضح ممّا تقدّم أنّ التوسّل مبدأ قرآنيّ، وقد أكّدته الروايات المعتبَرة لدى جميع العلماء، ولا يشكّ مسلمٌ في أصل مشروعيّة التوسّل، بل هو من الضرورات العمليّة في سيرة الملتزمين بالشريعة الإسلامية.

جواب السيد الخوئي رحمه الله حول التّوسّل

سؤال ١٣١٣: المتعارف حال النهوض أو القيام أو حال أي عمل الاستنجاد بالنّبيّ صلى الله عليه وآله أو الإمام علي أو أحد الأئمّة، عليهم السلام، فهل يجوز ذلك عن قصد، علماً أنّ الاعتقاد هو أنّهم الباب إلى الله تعالى؟

الخوئي: لا بأس بتوسيطهم والاستشفاع بهم إلى الله تعالى كوسيلة في قضائه هو حوائج المتوسّلين لأنّه تعالى رغّب في التوسّل بقوله تعالى: ﴿..وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ..﴾.

(صراط النجاة: ج ١، ص ٤٦٧)

توسُّل الأنبياء بمحمّدٍ وآل محمّدٍ صلى الله عليه وآله

أورد المرجع الكبير الراحل السيد البروجردي عليه الرّحمة في (جامع أحاديث الشيعة)، عن تفسير الإمام العسكريّ عليه السلام ما يلي:

«وقال (الإمام أبو محمّد العسكري عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ البقرة:٨٩.

قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: وَكانَ اللهُ أَمَرَ اليَهودَ في أَيّامِ موسى وَبَعْدَهُ إِذا دَهَمَهُمْ أَمْرٌ وَدَهَمَتْهُمْ داهِيَةٌ أَنْ يَدْعوا اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبينَ، وَأَنْ يَسْتَنْصِروا بِهِمْ، وَكانوا يَفْعَلونَ ذَلِكَ حَتّى كانَتِ اليَهودُ مِنْ أَهْلِ المَدينَةِ قَبْلَ ظُهورِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وآله بِعَشْرِ سِنينَ يُعاديهِمْ [قبيلتا] (أَسَدٌ) وَ(غَطَفانُ) وَقَوْمٌ مِنَ المُشْرِكينَ وَيَقْصدونَ أَذاهُمْ، يَسْتَدْفِعونَ شُرورَهُمْ وَبَلاءَهُمْ بِسُؤالِهِمْ رَبَّهُمْ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبينَ، حَتّى قَصَدَهُمْ في بَعْضِ الأَوْقاتِ (أَسَدٌ) وَ(غَطَفانُ) في ثَلاثَةِ آلافٍ إِلى بَعْضِ اليَهودِ حَوالي المَدينَةِ، فَتَلَقّاهُمُ اليَهودُ وَهُمْ ثَلاثُمائَةِ فارِسٍ وَدَعَوا اللهَ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ، فَهَزَموهُمْ وَقَطَعوهُمْ، فَقالَ (أَسَدٌ) وَ(غَطَفانُ) بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعالَوْا [لكي] نَسْتَعين عَلَيْهِمْ بِسائِرِ القَبائِلِ، فَاسْتَعانوا عَلَيْهِمْ بِالقَبائِلِ وَأَكْثَروا حَتّى اجْتَمَعوا قَدْرَ ثَلاثينَ أَلْفاً وَقَصدوا هَؤلاءِ [الـ] ثَلاثمائَةٍ في قَرْيَتِهِمْ، فَأَلْجَأوهُمْ إِلى بُيوتِها وَقَطعوا عَنْها المِياهَ الجارِيَةَ الّتي كانَتْ تَدْخُلُ إِلى قَرارِهِمْ، وَمَنَعُوا عَنْهُمُ الطَّعامَ وَاسْتَأْمَنَ اليَهودُ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يُؤَمِّنوهُمْ وَقالوا: لا، إِلّا أَنْ نَقْتُلَكُمْ وَنَسْبِيَكُمْ وَنَنْهَبَكُمْ؛ فَقالَتِ اليَهودُ بَعْضُها لِبَعْضٍ: كَيْفَ نَصْنَعُ؟ فَقالَ لَهُمْ أَمْثَلُهُمْ وَذَوو الرَّأْيِ مِنْهُمْ: أَما أَمَرَ موسى، عَلَيْهِ السَّلامُ، أَسْلافَكُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ بِالاسْتِنْصارِ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ؟ أَما أَمَرَكُمْ بِالابْتِهالِ إِلى اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عِنْدَ الشَّدائِدِ بِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلامُ؟ قالوا: بَلى. قالوا: فَافْعَلوا؛ ثُمَّ ذَكَرَ عَلَيْهِ السَّلامُ أَنَّهُمْ اسْتَسْقَوْا بِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلامُ، فَسَقاهُمُ اللهُ وَاسْتَطْعَمُوا بِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلامُ فَأَطْعَمَهُمُ اللهُ، وَاسْتَنْصَروا بِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلامُ فَنَصَرَهُمُ اللهُ تَعالى.. والخبر طويل».

(السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة: ج ١٥، ص ٢٥٦ – ٢٥٧)

أهمّيّة مبدأ التوسُّل وكَثرة الرّوايات حوله

من كُتب الحديث الموسوعية، كتاب (مستدرك سفينة البحار) للشيخ علي النمازي رحمه الله، وقد أورد فيه حول التوسّل باباً مستقلاً سمّاه «**باب الوسيلة**»، وأبواباً ترتبط به، والتسمية مأخوذة من قوله تعالى المتقدّم هنا: ﴿..وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ..﴾، وذكر الشيخ النمازي في الفهرس عناوين الروايات الواردة فيه، فقال:

«**باب الوسيلة**:

١) تفسير عليّ بن إبراهيم: عن ابن سنان، عن أبي عبد الله في حديث: سُئل النبيّ صلّى الله عليه وآله عن الوسيلة فقال: (هِيَ دَرَجَتي في الجَنَّةِ...) "..."

٢) وفي تفسير (نور الثّقلَين) عن (العيون) في باب ما

جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة. وبإسناده، قال: (**قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: الأَئِمةُ مِنْ وُلْدِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ، مَنْ أَطاعَهُمْ فَقَدْ أَطاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصاهَمْ فَقَدْ عَصى اللهَ، هُمُ العُرْوَةُ الوُثْقَى، وَهُمُ الوَسيلَةُ إِلى اللهِ تَعالى**).

*** باب أنّهم الوسائل بين الخلق وبين الله**

"..."

١) توسّل آدم بالنبيّ وآله. ومن طريق العامّة توسّل إبراهيم بمحمّدٍ وآله. توسّل بني يعقوب بهم.

٢) توسّل يوسف بوجه آبائه.

٣) توسّل بني إسرائيل بهم.

٤) توسّل أهل الحرم بنور رسول الله صلّى الله عليه وآله في زمان جدّه عبد المطّلب لدفع القحط.

٥) توسّلهم به لهلاك أصحاب الفيل ولدفع القحط.

٦) توسّل آدم ونوح وإبراهيم وموسى بقولهم: (**اللَّهُمَّ إِنّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ**). فاستجاب لهم.

*** باب أنّ دعاء الأنبياء استُجيب بالتوسّل والاستشفاع بهم**

"..."

١) ..في الزّيارات المأثورة لأمير المؤمنين عليه السلام: (**أَنْتَ وَسيلَتي إِلى اللهِ، وَبِكَ أَتَوَسَّلُ إِلى رَبّي**). وأمثال ذلك كثيرة في كُتب الزّيارات.

٢) في دعاء عَلْقَمة المرويّ عن الإمام الباقر عليه السلام بعد زيارة عاشوراء: (**فَإِنّي بِهِما أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ في مَقامي هَذا، وَبِهِمْ أَتَوَسَّلُ وَبِهِمْ أَتَشَفَّعُ** – إلخ). «..»

٣) «..» وفي باب بدو أرواحهم، في حديثٍ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، قال: (**نَحْنُ الوَسيلَةُ إِلى اللهِ، وَالوصْلَةُ إِلى رِضْوانِ اللهِ**).

٤) في خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام المفصّلة المروية في (دلائل الطبري) – إلى أن قالت: (**فَاحْمُدوا اللهَ الّذي بِنورِهِ وَعَظَمَتِهِ ابْتَغى مَنْ في السَّماواتِ وَمَنْ في الأَرْضِ إِلَيْهِ الوَسيلَةَ، فَنَحْنُ وَسيلَتُهُ في خَلْقِهِ وَنَحْنُ آلُ رَسولِهِ** – إلخ).

٥) **الرّوايات في التوسُّل بهم وبأحبّائه، تبارك وتعالى، من طُرق العّامة:**

(إحقاق الحقّ)، و(كتاب التّاج) الجامع للأصول الستّة العامّة؛ بعد صلاة الاستسقاء، قال: (يجوز التوسّل إلى الله تعالى بأحبّائه)، ثم ذكر الروايات النبويّة في ذلك، وفضائلَ الخمسة. وشرحَ (الوسيلة) و(المقام المحمود) في الإحقاق».

(الشيخ علي النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار: ج ١٠، ص ٣٠١ – ٣٠٥)

فضلُ النبيّ وأهل بيتِه صلوات الله عليهم على الملائكة، وشهادتهم بولايتهم

أورد المجلسي في (البحار)، عن (كمال الدين) و(العِلل) للصدوق، مختصر رواية طويلة، أوردها الإمام الخميني بتمامها في أواخر كتابه (مصباح الهداية).

قال المجلسي:

«(إكمال الدين)، (عيون أخبار الرضا عليه السّلام)، (عِلل الشرائع): ..» **عن الرّضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام، قال: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ما خَلَقَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، خَلْقاً أَفْضَلَ مِنّي وَلا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنّي. قالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلامُ: فَقُلْتُ: يا رَسولَ اللهِ فَأَنْتَ أَفْضَلُ أَوْ جَبْرَئيلُ؟ فَقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ: يا عَلِيُّ، إِنَّ اللهَ تَبارَكَ وَتَعالى فَضَّلَ أَنْبِياءَهُ الْمُرْسَلينَ عَلى مَلائِكَتِهِ الْمُقَرَّبينَ، وَفَضَّلَني عَلى جَميعِ النَّبِيّينَ وَالْمُرْسَلينَ، وَالفَضْلُ بَعْدي لَكَ يا عَلِيُّ وَلِلْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِكَ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَخُدّامنا وَخُدّام مُحِبّينا، يا عَلِيُّ، الّذينَ يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرونَ لِلّذينَ آمَنوا بِوِلايَتِنا. يا عَلِيُّ، لَوْلا نَحْنُ ما خُلِقَ آدَمُ وَلا حَوّا، وَلا الجَنَّةُ وَلا النّارُ، وَلا السَّماءُ وَلا الأَرْضُ، فَكَيْفَ لا نَكونُ أَفْضَلَ مِنَ**

المَلائِكَةِ وَقَدْ سَبَقْناهُمْ إِلى مَعْرِفَةِ رَبِّنا وَتَسْبيحِهِ وَتَهْليلِهِ وَتَقْديسِهِ؟ "..". فَقُلْتُ: يا رَبِّ وَمَنْ أَوْصِيائي؟ فَنُوديتُ: يا مُحَمَّدُ، أَوْصِياؤُكَ المَكْتوبونَ عَلى ساقِ عَرْشي، فَنَظَرْتُ وَأَنا بَيْنَ يَدَيْ رَبّي، جَلَّ جَلالُهُ، إِلى ساقِ العَرْشِ، فَرَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ نوراً، في كُلِّ نورٍ سَطْرٌ أَخْضَرُ عَلَيْهِ اسْمُ وَصِيٍّ مِنْ أَوْصِيائي، أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ، وَآخِرُهُمْ مَهْدِيُّ أُمَّتي. فَقُلْتُ: يا رَبِّ هَؤُلاءِ أَوْصِيائي مِنْ بَعْدي؟ فَنُوديتُ: يا مُحَمَّدُ، هَؤُلاءِ أَوْلِيائي وَأَوْصِيائي وَأَصْفِيائي وَحُجَجي بَعْدَكَ عَلى بَرِيَّتي، وَهُمْ أَوْصياؤُكَ وَخُلَفاؤُكَ وَخَيْرُ خَلْقي بَعْدَكَ. وَعِزَّتي وَجَلالي لَأُظْهِرَنَّ بِهِمْ ديني، وَلَأُعْلِيَنَّ بِهِمْ كَلِمَتي، وَلَأُطَهِّرَنَّ الأَرْضَ بِآخِرِهِمْ مِنْ أَعْدائي، وَلَأُمَكِّنَنَّهُ (في) مَشارِقِ الأَرْضِ وَمَغارِبِها، وَلَأُسَخِّرَنَّ لَهُ الرِّياحَ، وَلَأُذَلِّلَنَّ لَهُ السَّحابَ الصِّعابَ، وَلَأُرْقِيَنَّهُ في الأَسْبابِ، وَلَأَنْصُرَنَّهُ بِجُنْدي وَلَأُمِدَّنَّهُ بِمَلائِكَتي حَتّى تَعْلُوَ دَعْوَتي وَتُجْمِعُ الخَلْقُ عَلى تَوْحيدي، ثُمَّ لَأُديمَنَّ مُلْكَهُ، وَلَأُداوِلَنَّ الأَيّامَ بَيْنَ أَوْلِيائي إِلى يَوْمِ القِيامَةِ».

(العلامة المجلسي، بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ٣٣٥ – ٣٣٨)

التوسّل مبدأ قرآنيّ، أكّدته الروايات المعتبَرة لدى جميع العلماء، ولا يشكّ مسلمٌ في أصل مشروعيّته.

نماذج من أعمال التوسّل بمحمّد وآله صلّى الله عليه وعليهم في الأدعية

* دعاء رفع القرآن الكريم على الرأس ليلة القدر:

«اللَّهُمَّ بِحَقِّ هذا القُرْآنِ، وَبِحَقِّ مَنْ أَرْسَلْتَهُ بِهِ، وَبِحَقِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مَدَحْتَهُ فِيْهِ، وَبِحَقِّكَ عَلَيْهِمْ فَلا أَحَدَ أَعْرَفُ بِحَقِّكَ مِنْكَ، بِكَ يا اللهُ (عَشر مرّات).

ثمَّ تقول: بِمُحَمَّدٍ (عَشر مرّات)، بِعَلِيٍّ (عَشر مرّات)، بِفاطِمَةَ (عَشر مرّات)، بِالحَسَنِ (عَشر مرّات)، بِالحُسَيْنِ (عَشر مرّات)، بِعَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ (عَشر مرّات)، بِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (عَشر مرّات)، بِجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ (عَشر مرّات)، بِمُوسَى بْنِ جَعْفرٍ (عَشر مرّات)، بِعَلِيِّ بْنِ مُوسى (عَشر مرّات)، بِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ (عَشر مرّات)، بِعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ (عَشر مرّات)، بِالحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ – (عَشر مرّات)، بِالحُجَّةِ (عَشر مرّات)».

(السيد ابن طاوس، إقبال الأعمال: ج ١، ص ٣٤٦ – ٣٤٧)

والدّعاء مشهور جدّاً ولا يَخلو منه مصدر.

* في صلاة نوافل شهر رمضان:

قال الشيخ الطوسيّ في (مصباح المتهجّد) وفي (التهذيب):

«ثمّ تصلّي ركعتَين، فإذا فرغتَ فقل:

سُبْحانَ مَنْ أَكْرَمَ مُحَمَّداً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، سُبْحانَ مَنِ انْتَجَبَ مُحَمَّداً، سُبْحانَ مَنِ انْتَجَبَ عَلِيّاً، سُبْحانَ مَنْ خَصَّ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ، سُبْحانَ مَنْ فَطَمَ بِفاطِمَةَ مَنْ أَحَبَّها مِنَ النّارِ، سُبْحانَ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ بِإِذْنِهِ، سُبْحانَ مَنِ اسْتَعْبَدَ أَهْلَ السَّماواتِ وَالأَرْضينَ بِوِلايَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، سُبْحانَ مَنْ خَلَقَ الجَنَّةَ لِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، سُبْحانَ مَنْ يُورِثُها مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ وشيعَتَهُمْ، سُبْحانَ مَنْ خَلَقَ النّارَ مِنْ أَجْلِ أَعْداءِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، سُبْحانَ مَنْ يُمَلِّكُها مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ، سُبْحانَ مَنْ خَلَقَ الدُّنْيا وَالآخِرَةَ وَما سَكَنَ في اللَّيْلِ وَالنَّهارِ لِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، الحَمْدُ للهِ كَما يَنْبَغي للهِ، اللهُ أَكْبَرُ كَما يَنْبَغي للهِ، لا إِلهَ إِلّا اللهُ كَما يَنْبَغي للهِ، سُبْحانَ اللهِ كَما يَنْبَغي للهِ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ كَما يَنْبَغي للهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَعَلى جَميعِ المُرْسَلينَ حَتّى يَرْضى اللهُ، اللَّهُمَّ من أَياديكَ وَهِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصى، ومن نِعَمِكَ وَهِيَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ تُغادِرَ، أَنْ يَكونَ عَدُوّي عَدُوَّكَ، وَلا صَبْرَ لي عَلى أَناتِكَ، فَعَجِّلْ هَلاكَهُمْ وَبَوارَهُمْ وَدَمارَهُمْ، ثمّ تصلّي ركعتَين».

(الشيخ الطوسي، مصباح المتهجّد: ص ٥٧٥؛
الشيخ الطوسي، تهذيب الأحكام: ج ٣، ص ٩٨)

فمن رضيت عنه رضيت عنه، ومن رضيت عنه رضي الله عنه.

* من أعمال ليلة السبت

قال السيد ابن طاوس، في (جمال الأسبوع):

«ومن عمل ليلة السّبت لمَن يَدْهَمُهُ خوفٌ من سلطانٍ أو من غيره، كما يأتي ذكره بإسنادي إلى جدّي السّعيد أبي جعفر الطوسيّ رضوان الله عليه، قال:

رُوي عن الصّادق (عليه السلام) أنّه قال:

مَنْ دَهَمَهُ أَمْرٌ مِنْ سُلْطانٍ أَوْ مِنْ عَدُوٍّ حاسِدٍ، فَلْيَصُمْ يَوْمَ الأَرْبعاءِ وَالخَميسِ وَالجُمُعَةِ، وَلْيَدْعُ عَشِيَّةَ الجُمُعَةِ لَيْلَةَ السَّبْتِ. وَلْيَقُلْ فِي دُعائِهِ: أَيْ رَبَّاهُ، أَيْ سَيِّدَاهُ، أَيْ سَنَدَاهُ، أي أَمَلاهُ، أَيْ رَجَايَاهُ، أَيْ عِمَادَاهُ، أَيْ كَهْفَاهُ، أَيْ حِصْنَاهُ، أَيْ حِرْزَاهُ، أَيْ فَخْرَاهُ، بِكَ آمَنْتُ وَأَسْلَمْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَلَبابِكَ قَرَعْتُ، وَبِفِنائِكَ نَزَلْتُ، وَبِحَبْلِكَ اعْتَصَمْتُ، وَبِكَ اسْتَغَثْتُ، وَبِكَ أَعُوذُ وبِكَ أَلُوذُ وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ، وإِلَيْكَ أَلْجَأُ وأَعْتَصِمُ وَبِكَ أَسْتَجِيرُ فِي جَمِيعِ أُمُورِي، وأَنْتَ غِيَاثِي وعِمَادِي وَأَنْتَ عِصْمَتِي وَرَجَائِي، وأَنْتَ اللهُ رَبِّي لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَمِلْتُ سُوءاً وَظَلَمْتُ نَفْسِي، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِهِ واغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي، وَخُذْ بِيَدِي وأَنْقِذْنِي، ووفِّقْنِي واكْفِنِي، واكْلأْنِي وارْعَنِي فِي لَيْلِي وَنَهَارِي، وإِمْسَائِي وإِصْبَاحِي، وَمَقَامِي وَسَفَرِي، يَا أَجْوَدَ الأَجْوَدِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الأَكْرَمِينَ، وَيَا أَعْدَلَ الفَاضِلِينَ (الفاصلين)، وَيَا إِلهَ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، وَيَا مَالِكَ يَوْمِ الدِّينِ ويَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا حَيّاً لاَ يَمُوتُ، يَا حَيُّ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ بِمُحَمَّدٍ يَا اللهُ، بِعَلِيٍّ يَا اللهُ، بِفَاطِمَةَ يَا اللهُ، بِالحَسَنِ يَا اللهُ، بِالحُسَينِ يَا اللهُ، بِعَلِيٍّ يَا اللهُ، بِمُحَمَّدٍ يَا اللهُ.

قال الحسن بن محبوب: فعرضتُه على أبي الحسن الرّضا عليه السّلام فزادني فيه: بِجَعْفَرٍ يَا الله، بِمُوسَى يَا الله، بِعَلِيٍّ يَا اللهُ، بِمُحَمَّدٍ يَا الله، بِعَلِيٍّ يَا الله، بالحَسَنِ يَا الله، بِحُجَّتِكَ وخَلِيفَتِكَ فِي بِلاَدِكَ يَا الله، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ وَخُذْ بِنَاصِيَةِ مَنْ أَخَافُهُ (ويسمّيه باسمه) وَذَلِّلْ لِي صَعْبَهُ وَسَهِّلْ لِي قِيَادَهُ وَرُدَّ عَنِّي نَافِرَةَ قَلْبِهِ، وارْزُقْنِي خَيْرَهُ واصْرِفْ عَنِّي شَرَّهُ، فَإِنِّي بِكَ اللَّهُمَّ أَعُوذُ وَأَلُوذُ، وَبِكَ أَثِقُ وَعَلَيْكَ أَعْتَمِدُ وَأَتَوَكَّلُ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ واصْرِفْهُ عَنِّي، فَإِنَّكَ غِيَاثُ الْمُسْتَغِيثِينَ وَجَارُ الْمُسْتَجِيرِينَ وَلَجَأُ اللاَّجِئِينَ وأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

* أضاف السيّد ابن طاوس:

«ومن عملِ ليلة السّبت للفرج عن المسجون، بإسنادي إلى جدّي السعيد أبي جعفر الطوسي رضي الله عنه قال:

وممّا رُوي عن أبي الحسن الكاظم عليه السلام، قال أبو الحسن موسى عليه السلام:

رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَيْلَةَ الأَرْبِعاءِ فِي النَّوْمِ، فَقالَ لِي: يا مُوسى أَنْتَ مَحْبوسٌ مَظْلومٌ، وَكَرَّرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذلك عَلَيَّ ثَلاثاً، ثمّ قال: ﴿..لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ الأنبياء:١١١، أَصبِحْ غداً صائِماً، وَأَتْبِعْهُ بِصِيامِ يَوْمِ الخَميسِ وَالجُمُعَةِ، فَإِذا كانَ وَقْتُ العشائَيْنِ عَشِيَّةَ الجُمُعَةِ، فَصَلِّ بَيْنَ العشائَيْنِ اثْنَتي عَشرَةَ رَكْعَةً، تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ (الحَمْد) مَرَّة، و(قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ) اثْنَتَي عَشرَةَ مَرَّةً، فَإِذا صَلَّيْتَ أَرْبَعَ رَكَعاتٍ، فَاسْجُدْ وَقُلْ فِي سُجودِكَ:

أَللَّهُمَّ يَا سَابِقَ الفَوْتِ وَيَا سَامِعَ الصَّوْتِ وَيَا مُحْيِيَ العِظَامِ بَعْدَ المَوْتِ وَهِيَ رَمِيمٌ، أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ العَظِيمِ الأَعْظَمِ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَتُعَجِّلَ لِيَ الفَرَجَ مِمَّا أَنَا فِيهِ. ففعلتُ ذلك فكانَ ما رأيت».

(السّيد ابن طاوس، جمال الأسبوع: ص ١١١ – ١١٣)

يا وجيهاً عند الله، اشفعْ لنا عند الله

هل هناك فرقٌ بين أن نقول: يا الله، اغفر لنا بشفاعة النّبيّ وأهل بيته، أو بحقّهم، وبين أن نقول: يا وجيهاً عندَ الله اشفعْ لنا عندَ الله؟

يصرّح بعض محاربي التوسّل بشدّة – ويتابعهم بعض المتأثّرين بهم، من مقلّديهم – بأنّهم يقبلون أن تقول: «اللّهمّ بحقّ نبيّك – أو أحد من أهل البيت – اغفر

لنا»، إلّا أنّهم يحاربون بشدّة أن تقول: «**يا وجيهاً عند الله، اشفع لنا عند الله**»!!

فهل هناك فرقٌ موضوعيّ بين الطّريقتَين في طلب المغفرة والشفاعة؟ أم أنّها تعابيرُ شتّى والمعنى واحد، وهذا المعنى هو الجامع المشترك بين كلّ هذه التعابير، وهو بالتّحديد الطلب من المعصوم، سواء كان هذا الطلب طلبَ شفاعة، أو استغفار، أو أيّ حاجة من الحوائج كالرزق، أو الولد، وما شابه ذلك؟

ما هو الفرق بين ﴿يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا..﴾، وبين «يَا رسولَ الله اشفَعْ لنا»؟ ولماذا كلّ هذا النّكير على مَن يقرأ دعاء التوسّل لأنّ فيه: «يا وَجيهاً عِنْدَ اللهِ اشْفَعْ لَنا عِنْدَ اللهِ»؟!!

النتيجة التي ينتهي إليها التدقيق والتحليل، هي أنّه لا فرقَ بين هذه الموارد جميعاً، فإنْ جاز العنوان والمفهوم المنطبق عليها؛ وهو الطَّلب من المخلوق، كانت كلّ مفرداته ومصاديقه جائزة شرعاً وعقلاً، وليس في أيٍّ منها أي شُبهة شرك، والعياذ بالله تعالى.

تتّضح هذه النتيجة بالإجابة على الأسئلة التالية:

- ❖ **ما هو رأيُ القرآن الكريم في ذلك، وهل فيه ما يقطعُ النزاع؟**
- ❖ **وما هو رأي الروايات عن المعصومين عليهم السّلام؟**
- ❖ **وماذا يقول الفقهاء؟**

وللحصول على جوابٍ حاسم، ستكون الوقفة هنا في هذه المحطّات الثلاث المتقدّمة:

١) القرآن الكريم:

حكايةً عن أبناء النبي يعقوب على نبيّنا وآله وعليه السلام، وجوابه لهم، **قال تعالى**: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ يوسف:٩٧-٩٨.

والآيتان واضحتان جداً في الدلالة على جواز الطلب من المعصوم، بدليل أنّ النبيّ يعقوب عليه السلام لم يُنكر عليهم، بل وعدَهم بالاستغفار لهم.

والسؤال الجواب هنا: ما هو الفرق بين ﴿..يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا..﴾، وبين «**يَا رسولَ الله اشفَعْ لنا**»؟ ولماذا كلّ هذا النّكير على مَن يقرأ دعاء التوسّل لأنّ فيه في ختام كلّ فقرة: «**يا وَجيهاً عِنْدَ اللهِ اشْفَعْ لَنا عِنْدَ اللهِ**؟!!».

وإذا لاحظنا أنّ الطلب الذي نقدّمه بلفظ «**يا وَجِيهاً عِنْدَ اللهِ اشْفَعْ لَنا عِنْدَ اللهِ**» إنّما هو بلحاظ أنّ المعصوم لا حولَ له ولا قوّة إلّا بالله تعالى، ولشدّة عبوديّته لله تعالى صار وجيهاً عنده، فسنجد أنّنا أمام ثلاث نتائج مركزيّة:

الأولى: أنّ هذا الطلب في حقيقته طلبٌ من الله تعالى، الذي بيده الحَول والطَّول، وهو المُعطي والمانع، وله القدرة والآلاء والعظَمة والكبرياء.

الثانية: أنّ هذا الطّلب هو تماماً كأن تقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي بِحَقِّ المَعْصوم**»، وأيُّ تفريق بينهما لا يستند إلى أيّ دليل علميّ، بل هو تفريق بلا فارق.

الثالثة: أنّ كلّ عبارات الطلب من المعصوم، وعبارات الطلب من الله تعالى بحقّ المعصوم، هي بمعنى ما يقوله المؤمن للمؤمن: «**أسألُك الدّعاء**». ولا يشكّ متشرّع أبداً في مشروعيّة طلب الدّعاء من المؤمن.

قال تعالى: ﴿..قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ..﴾ الأعراف:١٣٤. وقد جاء في ثلاث آيات متتاليات من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿..قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا..﴾ البقرة: ٦٨ و٦٩ و٧٠.

وعوداً على بدء، ما الفرق بين ﴿..قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ..﴾، وبين «**يَا وَجِيهاً عندَ اللهِ اشفَع لنا عند الله**».

وَمَن غَضِبَت عليه فاطمة عليها السلام غَضِبَ عليه، ومَن غَضِبَ عليه غَضِبَ الله عليه.

٢) الروايات:

والمراد هنا من «**الرّوايات**» ما يشمل «**الدّعاء**» باعتبار أنّ نصوصه مرويّة عن المعصومين عليهم السّلام.

وتنقسم نصوص التّوسّل بالنّبيّ وآله صلّى الله عليه وآله، إلى ثلاثة:

الأوّل: الطّلب من الله تعالى مباشرة بحقّ المعصوم، وهو الأكثر بنسبة كبيرة جداً.

الثاني: الطّلب من المعصوم، وهو كثير، لكنّه لا يبلغ – فيما رأيت – كثرةَ القسم الأول.

الثالث: ما يجمع بين الطّلب من الله تعالى مباشرة، والطلب من المعصوم، بما آتاه الله تعالى.

***

* **من القسم الأول، ما أورده السيد البروجردي رحمه الله تعالى**، في (جامع أحاديث الشيعة: ج ١٥، ص ٢٤٦)، نقلاً عن (عدّة الدّاعي): «عَنْ سَمَاعَةَ: **قَالَ لِي أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلامُ: إِذَا كَانَت لَكَ يَا سَمَاعَةُ حَاجَةٌ فَقُل: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وعَلِيٍّ فَإِنَّ لَهُمَا عِنْدَكَ شَأْناً مِنَ الشَّأْنِ، وقَدْراً مِنَ الْقَدْرِ، فَبِحَقِّ ذَلِكَ الشَّأْنِ وبِحَقِّ ذَلِكَ الْقَدْرِ أَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وكَذَا – فَإِنَّه إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَمْ يَبْقَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ولَا عبدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللهُ قَلبَهُ للإيمانِ إِلَّا وهُوَ محْتَاجٌ إِلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ**».

ومصاديق هذا القسم كثيرة جدّاً بل هي الغالب في نصوص التّوسّل، كما تقدّم قبل قليل.

***

* **ومن القسم الثاني**: وهو الطلب من الله تعالى بواسطة الطلب من المعصوم، الدعاء الذي ورد فيه: «**يا مُحَمَّدُ، يا عَلِيُّ، يا عَلِيُّ يا مُحَمَّدُ**».

ورد هذا التعبير في الدعاء المعروف بـ «دعاء الفرج»، وهو دعاء متكرّر في المصادر، في نصوص مختلفة:

١) فتارةً نجده في دعاء، بعد صلاة تعرَف باسم صلاة المهديّ عليه السلام كما ورد في (وسائل الشيعة: ج ٨، ١٨٥)، نقلاً عن السّيد ابن طاوس في (جمال الأسبوع: انظر: ص ١٨١)، ومنه نقل المحدّث القمّيّ ما أوردَه في (مفاتيح الجنان).

٢) وتارةً نجده مرويّاً بعد زيارة الإمام المهديّ عليه السلام في سامرّاء، وصلاة ركعتَين بعدها، ثمّ قراءة هذا الدّعاء، وممّن روى ذلك الشّيخ بهاء الدّين العامليّ، في (جامع عبّاسيّ، فارسيّ، ص ١٦٨)، وسيأتي نصّ الزيارة والدعاء بتمامه.

٣) وتارة نجده مرويّاً بعد صلاة ركعتَين، ويختم به دعاء طويل، ولا تُذكر قبله فقرات «..**عَظُمَ البلاءُ وبَرِحَ الخَفاءُ..**» كما نجد في النّصّ التالي الذي رواه «الطّبري- الإمامي» في كتابه (دلائل الإمامة، ص ٥٥٢)، وهو طويل يتحدّث في بدايته «أبو الحسين ابن أبي البغل» الآتي بعضُ كلامه، ومنه أنّه كان اختفى من بعض السلاطين، فرأى مَن يظنّه صاحبَ الزمان عجل الله فرجه، وأنّه عليه السّلام قال له: «**يا أَبَا الحُسَيْنِ بْنَ أَبِي البَغْلِ، أَيْنَ أَنْتَ عَنْ دُعاءِ الفَرَجِ؟**

فقلت: وما هو يا سيّدي؟

**فقال: تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وتَقولُ: (يا مَنْ أَظْهَرَ الجَميلَ، وَسَتَرَ القَبيحَ، يا مَنْ لَمْ يُؤاخِذْ بِالجَريرَةِ، وَلَم يَهْتِكِ السِّتْرَ، يا عَظيمَ المَنِّ، يا كَريمَ الصَّفْحِ، يا حَسَنَ التَّجاوُزِ، يا واسِعَ المَغْفِرَةِ، يا باسِطَ اليَدَيْنِ بِالرَّحْمَةِ، يا مُنْتَهى كُلِّ نَجْوى، يا غايَةَ كُلِّ شَكْوى، يا عَوْنَ كُلِّ مُسْتَعينٍ، يا مُبْتَدِئاً بِالنِّعَمِ قَبْلَ اسْتِحْقاقِها، يا رَبّاهُ (عشر مرّات) – يا سَيِّداهُ (عشر مرّات) – يا مَوْلاياهُ (عشر مرّات) – يا غايَتاه (عشر مرّات) – يا مُنْتَهى رَغْبَتاهُ (عشر مرّات) – أَسْأَلُكَ بِحَقِّ هَذِهِ الأَسْماءِ، وَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرينَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ إِلّا ما كَشَفْتَ كَرْبي، وَنَفَّسْتَ هَمّي، وَفَرَّجْتَ عَنّي، وَأَصْلَحْتَ حالي) وَتَدْعو بَعْدَ ذَلِكَ بِما شِئْتَ وَتَسْأَلُ حاجَتَكَ.

ثُمَّ تَضَعُ خَدَّكَ الأَيْمَنَ عَلى الأَرْضِ وَتَقولُ مائَةَ مَرَّةٍ في سُجودِكَ: (يا مُحَمَّدُ يا عَلِيُّ، يا عَلِيُّ يا مُحَمَّدُ، اكْفِياني فَإِنَّكُما كافِياي، وَانْصُراني فَإِنَّكُما ناصِراي).

وَتَضَعُ خَدَّكَ الأَيْسَرَ عَلى الأَرْضِ، وَتَقولُ مائَةَ مَرَّةٍ (أَدْرِكْني) وَتُكَرِّرُها كَثيراً، وَتَقولُ: (الغَوْثَ الغَوْثَ)

حَتَّى يَنْقَطِعَ نَفَسُكَ؛ وَتَرْفَعُ رَأْسَكَ، فَإِنَّ اللهَ بِكَرَمِهِ يَقْضِي حاجَتَكَ إِنْ شاءَ اللهُ (تَعالى)».

***

كلّ عبارات الطَّلب من المعصوم، وعبارات الطَّلب من الله تعالى بحقّ المعصوم، هي بمعنى ما يقوله المؤمن للمؤمن: «أسألُك الدّعاء».

*** وقد رُويت الفقرات الأخيرة باختلافٍ عمّا ورد هنا برواية (دلائل الإمامة)، وممّن روى هذا الاختلاف السيّد ابن طاوس في (جمال الأسبوع) فقد أورد الفقرات الأخيرة كما يلي: «..يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ، اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَايَ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ، انْصُرَانِي فَإِنَّكُمَا نَاصِرَايَ، يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيُّ يَا عَلِيُّ يَا مُحَمَّدُ احْفَظَانِي فَإِنَّكُمَا حَافِظَايَ، يَا مَوْلايَ يَا صَاحِبَ الزَّمَانِ (ثلاث مرّات) الْغَوْثَ الْغَوْثَ الْغَوْثَ، أَدْرِكْنِي أَدْرِكْنِي أَدْرِكْنِي، الأَمَانَ الأَمَانَ الأَمَانَ».**

*** اكفياني فإنّكما كافيان..**

جاء في (صراط النجاة: ج ٦، ص ٣٩٥) جواب المرجع الديني الراحل، الشيخ جواد التبريزي ﷺ على سؤالٍ وُجِّه إليه حولَ ما ورد في هذا الدعاء: «**اكْفِيَانِي فَإِنَّكُمَا كَافِيَان..**» وفي ما يلي نصّ السؤال والجواب:

«**السؤال (١٣٨٦)**: هناك بعض الطَّلبة مَن يشكّك في (دعاء الفرج) وخصوصاً عبارة (**يا محمّد يا عليّ، يا عليّ يا محمّد اِكفياني فإنّكما كافيان، وانصراني فإنّكما ناصران..**)، ما هو الرّد على هؤلاء وهل هذا الدّعاء صحيح أم لا؟

[**الجواب**]: **باسمه تعالى: هذا الدّعاء كبعض الأدعية المعروفة، والمراد بالعبارة المزبورة (اكفياني فإنّكما كافيان) إشارة إلى قوله تعالى ﴿..وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ..﴾، حيث إنّ الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وعليّاً عليه السّلام وسيلةٌ لنا في طلب حاجاتنا من الله تعالى، وأن يغفر لنا ذنوبنا كما كان النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم يستغفر للمُذنبين، والله العالم**».

*** اتّحاد النّبيّ والوصيّ: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾:**

يغفل مَن يحارب هذا الدّعاء عن حقيقة أنّ من أبرز تجلّيات الإعجاز في المفاهيم الإسلامية هذا التناسق البديع في بناء منظومتها الثقافية – الاعتقاديّة بين الأُسس والمفردات.

وفي ما نحن فيه: تتجلّى روعة هذا الإعجاز في أنّ كلّ ما يؤكّد اتّحاد النبيّ والوصيّ يقف في سياق تعزيز الأصل الذي ثبّته القرآن الكريم في باب اتّحادهما، كما في آية المباهلة ﴿.. وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ..﴾ آل عمران:٦١.

وقد مضت سيرة العلماء عبر القرون على ربط هذه المفردات الفرعيّة بهذا الأصل، لأنّها تعزيزٌ له وتدريبٌ للأجيال عليه.

من المفردات التي تلتقي مع «دعاء الفرج» ما ورد حول زيارة الأمير عليه السّلام في يوم المبعث الشّريف، وهو أمرٌ متسالم عليه بين العلماء.

قال السيد ابن طاوس في (إقبال الأعمال: ج ٣، ص ٢٧٤): «**وينبغي أن تزور سيّدنا رسولَ الله ومولانا عليّ بن أبي طالب عليهما السلام في يوم المبعث بالزّيارتين اللّتين ذكرناهما لهما عليهما السّلام في عمل اليوم السابع عشر من ربيع الأوّل من هذا الجزء**».

وفي كلمات العلماء الأعلام، وكبار الفقهاء الكثير ممّا يؤكّد هذه الحقيقة.

وبناءً عليه، فإن عبارات «**يا محمّد يا عليّ، يا عليّ يا محمّد، اكفياني فإنّكما كافيان، وانصراني فإنّكما ناصران**» هي بمعنى ﴿.. وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ..﴾ والمعترضون على هذه الفقرات، يعترضون على كلام الله تعالى، وهم لا يشعرون.

رأي السيّد الخوئي، والشيخ السبحاني

ما يلي، رأي مرجعَين دينيّين، أحدهما السّيّد الخوئي رحمه الله تعالى والثّاني الشّيخ السّبحاني.

سُئل السّيّد الخوئي عن طلب الحاجة من المعصوم مباشرة، فأجاب بجواز ذلك إنْ كان المقصود هو الطّلب من الله تعالى بظاهر الطَّلب من المعصوم.

وهذا نصّ السؤال والجواب:

«**سؤال ١٣٠٦**: هل يجوز طلب الولد أو الرزق أو الحفظ والأمان إلخ... من المعصومين عليهم السلام مباشرة - لا لأنّهم يخلقون أو يرزقون، وإنّما لأنهم الوسيلة إلى الله تعالى والشفعاء إليه بقضاء الحاجات، ولأنهم لا يفعلون شيئاً إلا بإذنه جلّ شأنه، فهم يسألونه فيخلق ويسألونه فيرزق، ولا تردّ لهم مسألة أو دعاء لمنزلتهم منه، جلّ شأنه، ولولايتهم علينا، وقد قال تعالى: ﴿..وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ..﴾ و﴿..يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ..﴾ الإسراء:٥٧؟

الخوئي: لا بأس، بذلك القصد».

(صراط النجاة: ج ١، ص ٤٦٦)

*** وسُئل المرجع الديني المعاصر الشيخ السبحاني:**

«هل يصحّ أن يقول الإنسان: يا رسول الله يا وجيهاً عند الله شفع لي عند الله؟

الجواب هو: إنّ هذا الموضوع كان محلّ اتّفاق وإجماع بين جميع المسلمين إلى القرن الثامن، ولم يُنكره إلّا أشخاص معدودون من منتصف القرن الثامن، حيث خالفوا طلب الشّفاعة من الشّفعاء المأذون لهم، ولم يجوّزوه، في حين أنّ الآيات القرآنية والأحاديث النّبويّة المعتبرة، وسيرة المسلمين المستمرّة تشهد جميعها بجوازه، وذلك لأنّ الشفاعة هو دعاؤهم للأشخاص، ومن الواضح أنّ طلب الدّعاء من المؤمن العادي (فضلاً عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم) أمر جائزٌ ومستحسنٌ، بلا ريب.

ولقد روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ ما يستفاد منه بوضوح بأنّ شفاعة المؤمن هو دعاؤه في حقّ الآخرين، فقد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: (ما مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَموتُ فَيَقومُ عَلى جَنازَتِهِ أَرْبعونَ رَجُلاً لا يُشْرِكونَ بِاللهِ شَيْئاً إِلّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فيهِ).

ومن البديهيّ والواضح أنّ شفاعة أربعين مؤمناً عند الصّلاة على الميّت ليس سوى دعائهم لذلك الميت.

ولو تصفّحنا التّاريخ الإسلامي لَوجدنا أنّ الصحابة كانوا يطلبون الشّفاعة من النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم.

فها هو التّرمذي يروي عن أنس بن مالك أنّه قال: سألتُ النّبيّ أن يشفع لي يوم القيامة فقال: أَنا فاعِلٌ.

قلت: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟

فقال: على الصِّراطِ.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار أنّ حقيقة الاستشفاع ليست سوى طلب الدّعاء من الشّفيع، يمكن الإشارة إلى نماذج من هذا الأمر في القرآن الكريم نفسه:

١) طلب أبناء يعقوب من أبيهم أن يستغفر لهم، وقد وعدهم بذلك ووفى بوعده، يقول تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي..﴾ يوسف:٩٧-٩٨.

٢) يقول القرآن الكريم: ﴿..وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ النساء:٦٤.

٣) يقول في شأن المنافقين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ المنافقون:٥». "..."

(السبحاني، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام)

***

*** ومن القسم الثالث: وهو ما يجمع بين الطلب من الله تعالى مباشرة، وبين الطلب منه تعالى بواسطة الطلب من المعصوم، هذا العمل المرويّ عن الإمام الصّادق عليه السّلام:**

* أورد الحرّ العاملي، في (وسائل الشيعة: ج ٨، ص ١٢٥)، عن الشيخ الطوسي في (الأمالي)، مسنداً، ما يلي:

«.. جاء رجل إلى سيّدنا الصّادق عليه السلام فقال له: يا سيّدي أَشْكُو إليك دَيْناً رَكِبَني، وسُلطاناً غَشمني، فقال: إذا جَنَّكَ اللَّيْلُ فَصَلِّ رَكْعَتَيْن، اقْرَأْ في الأُولى مِنْهُما (الحمد) وآية (الكرسيّ)، وَفي الرَّكْعَةِ الثّانِيَةِ (الحمد) وَآخِرِ (الحَشْرِ): ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ ..﴾ الحشر:٢١ إلى آخر السّورة، ثُمَّ خُذِ الْمُصْحَفَ فَدَعْهُ عَلى رَأْسِكَ وَقُلْ: (بِحَقِّ هَذا القُرْآنِ وَبِحَقِّ مَنْ أَرْسَلْتَهُ، وَبِحَقِّ كُلِّ مُؤْمِنٍ فيهِ، وَبِحَقِّكَ عَلَيْهِمْ فَلا أَحَدَ أَعْرَفُ بِحَقِّكَ مِنْكَ، بِكَ يا اللهُ (عشر مرّات)، ثُمَّ تَقولُ: يا مُحَمَّدُ (عشر مرّات)، يا عَلِيُّ (عشر مرّات)، يا فاطِمَةُ (عشر مرّات)، يا حَسَنُ (عشر مرّات)، يا حُسَيْنُ (عشر مرّات)، يا عَلِيَّ بْنَ الحُسَيْنِ (عشر مرّات)، يا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ (عشر مرّات)، يا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ (عشر مرّات)، يا موسى بْنَ جَعْفَرٍ (عشر مرّات)، يا عَلِيَّ بْنَ موسى (عشر مرّات)، يا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ (عشر مرّات)، يا عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ (عشر مرّات)، يا حَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ (عشراً)، يا الحُجَّة (عشراً)، ثُمَّ تَسْأَلُ اللهَ حاجَتَكَ، قال: فمَضى الرّجل وعاد إليه بعد مدّة وقد قُضي دينُه وصلُح له سلطانُه وعظُم يسارُه».

الاستغاثة توسّل المضطرّ

من أبرز نصوص التوسّل، جملة من الأعمال التي سُمِّيت بـ «الاستغاثة»، ومن الواضح أنّ مَن يستغيث هو متوسّل ألحّت عليه الحاجة إلى حدّ الاضطرار، ومن اللافت في نصوص الاسغاثة تعدّدها في مجال الاستغاثة بالصدّيقة الكبرى عليها السّلام، كما نجد في ما يلي:

الاستغاثة بالزّهراء عليها السّلام

أورد «الشّيخ جواد القيوميّ» في (صحيفة الزّهراء عليها السلام) أربع استغاثات بهذا الاسم: «الاستغاثة بالزّهراء عليها السّلام»

* الاستغاثة الأولى:

«عن الإمام الصّادق عليه السلام: إذا كانَتْ لِأَحَدِكُمُ اسْتِغاثَةٌ إلى اللهِ تَعالى، فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَسْجُدُ وَيَقولُ: يا مُحَمَّدُ يا رَسولَ اللهِ، يا عَلِيُّ يا سَيِّدَ الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ، بِكُما أَسْتَغيثُ إلى اللهِ تَعالى، يا مُحَمَّدُ يا عَلِيُّ، أَسْتَغيثُ بِكُما، يَا غَوْثاهُ بِاللهِ وَبِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفاطِمَةَ، وَتَعُدُّ الأَئِمَّةَ عليهم السلام [والحسنِ والحسينِ، وَعَلِيٍّ وَمُحَمّدٍ وَجَعْفَرٍ وَموسى، وعليٍّ وَمُحَمّدٍ وَعَلِيٍّ وَالحَسَنِ وَالحُجَّةِ الْمُنْتَظَرِ] بِكُمْ أَتَوَسَّلُ إلى اللهِ تَعالى.

فإنّك تُغاثُ من ساعتِك إن شاءَ اللهُ تعالى».

* الاستغاثة الثانية:

«عن الصّادق عليه السّلام: «إذا كانَتْ لَكَ حاجَةٌ إلى الله تَعالى وَتَضيقُ بها ذَرْعاً:

١- فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ.

٢- فَإذا سَلَّمْتَ كَبِّرِ اللهَ ثَلاثاً، وَسَبِّحْ تَسْبيحَ فاطِمَةَ عَلَيْها السَّلامُ.

٣- ثُمَّ اسْجُدْ وَقُلْ مائَةَ مَرَّةٍ: يا مَوْلاتي فاطِمَة، أَغيثيني.

٤- ثُمَّ ضعْ خَدَّكَ الأَيْمَنَ عَلى الأَرْضِ وَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ.

٥- ثُمَّ عُدْ إلى السُّجودِ وَقُلْ ذَلِكَ مائَةَ مَرَّةٍ وَعَشْرَ مَرَّاتٍ.

واذكر حاجتَك، فإنّ الله يقضيها».

* الاستغاثة الثالثة:

«١- تُصلّي ركعتَين.

٢- ثمّ تسجد وتقول: يا فاطمةُ. مائة مرّة.

٣- ثمّ تضع خدّك الأيمن على الأرض وتقول مثلَ ذلك.

٤- ثمّ تضع خدّك الأيسَر على الأرض وتقول مثلَه.

٥- ثمّ اسجد وقل ذلك مائة وعشر مرّات.

ثمّ تقول: يا آمِناً مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ مِنْكَ خائِفٌ حَذِرٌ، أَسْأَلُكَ بِأَمْنِكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَخَوْفِ كُلِّ شَيْءٍ مِنْكَ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تُعْطِيَنِي أَماناً لِنَفْسي، وَأَهْلي وَمالي وَوُلْدي، حَتّى لا أَخافَ أَحداً وَلا أَحْذَرَ مِنْ شَيْءٍ أَبَداً، إِنَّكَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ».

* الاستغاثة الرابعة:

«تقول خمسمائة وثلاثين مرّة: اللّهمّ صلِّ على فاطمةَ وَأَبيها، وَبَعْلِها وَبَنيها، بِعَدَدِ ما أَحاطَ بِهِ عِلْمُكَ».

الاستغاثة بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف

من الروايات التي وردت فيها الاستغاثة بالمهديّ، زيارتُه عليه السلام في سامرّاء، وصلاة ركعتَين ثمّ الدّعاء بعدها بدعاء الفرج، وقد تقدّمت الإشارة إليه، ما رواه الشّيخ بهاء الدّين العامليّ في (جامع عبّاسي، فارسيّ)، ما ترجمته:

«زيارة حضرة صاحب الزّمان عليه السّلام

اِعلم أنّك إن أردت زيارة حضرته عليه السلام في سامرّاء، فاغتسل، والبس ثوباً نظيفاً، وتوجّه إليه في السّرداب، وقل:

السَّلامُ عَلى الحَقِّ الجَديدِ وَالعالِمِ الَّذي عِلْمُهُ لا يَبيدُ، السَّلامُ عَلى مُحْيي الْمُؤْمِنينَ وَمُميتِ الكافِرينَ، السَّلامُ عَلى مَهْديِّ الأُمَمِ وَجامِعِ الكَلِمِ، السَّلامُ عَلى خَلَفِ السَّلَفِ وَصاحِبِ الشَّرَفِ، السَّلامُ عَلى حُجَّةِ الْمَعْبُودِ وَكَلِمَةِ الْمَحْمُودِ، السَّلامُ عَلى مُعِزِّ الأَوْلِياءِ وَمُذِلِّ الأَعْداءِ، السَّلامُ عَلى وَارِثِ الأَنْبِياءِ وَخاتَمِ الأَوْصِياءِ، السَّلامُ عَلى الإمامِ الْمُنْتَظَرِ والغائِبِ الْمُستَتِرِ، السَّلامُ عَلى السَّيْفِ الشّاهِرِ وَالقَمَرِ الزّاهِرِ وَالنُّورِ الباهِرِ، السَّلامُ عَلى شَمْسِ الظَّلامِ وَبَدْرِ التَّمامِ.

السَّلامُ عَلى رَبيعِ الأَيّامِ وَفِطْرَةِ الأَنامِ، السَّلامُ عَلى صاحِبِ الصَّمْصامِ وَفَلّاقِ الهامِ.

السَّلامُ عَلى صاحِبِ الدِّينِ الْمَأْثُورِ وَالكِتابِ الْمَسْطُورِ، السَّلامُ عَلى بَقِيَّةِ اللهِ في أَرضه وَحُجَّتِهِ عَلى عِبادِهِ، والْمُنْتَهي إِلَيْهِ مَواريثُ الأَنْبِياءِ وَلَدَيْهِ مَوْجُودٌ آثارُ الأَصْفِياءِ.

السَّلامُ على الْمُؤْتَمَنِ عَلى السِّرِّ والعلَنِ وَلِيِّ الأُمَمِ، السَّلامُ عَلى الْمَهْدِيِّ الَّذي وَعَدَ اللهُ عَزّ وَجَلَّ بِهِ الأُمَمَ، يَجْمَعُ بِهِ الكَلِمَ وَيَلُمُّ بِهِ الشَّعَثَ وَيَمْلأُ بِهِ الأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلاً وَيُمَكِّنُ لَهُ وَيُنْجِزُ بِهِ وَعْدَ الْمُؤْمِنينَ. أَشْهَدُ أَنَّكَ وَالأَئِمَّةَ مِنْ آبائِكَ أَئِمَّتي وَمَوالِيَّ فِي الحَياةِ الدُّنْيا، وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهادُ، أَسْأَلُكَ يا مَوْلايَ أَنْ تَسْأَلَ اللهَ، تَبارَكَ وَتَعالى، فِي صَلاحِ شَأْنِي وَقَضاءِ حَوائِجي وَغُفرانِ ذُنُوبي وَالأَخْذِ بِيَدي فِي دِينِي وَدُنْيايَ وَآخِرَتِي، وَلكافّةِ إِخْوانِي الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَصَلَّى اللهُ عَلى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ رَسولِ اللهِ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطّاهِرينَ.

* ثم صلّ ركعتَين واقرأ هذا الدّعاء:

اللَّهُمَّ عَظُمَ البَلاءُ وَبَرِحَ الخَفاءُ وَانْكَشَفَ الغِطاءُ وَضاقَتِ الأَرْضُ وَمَنَعَتِ السَّماء، وَإِلَيْكَ يا رَبِّ الْمُشْتَكى وَعَلَيْكَ الْمُعَوَّلُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخاءِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الَّذينَ فَرَضْتَ عَلَيْنا طاعَتَهُمْ فَعَرَّفْتَنا بِذلِكَ مَنْزِلَتَهُمْ، فَرَجْ عَنّا بِحَقِّهِمْ فَرَجاً عاجِلاً كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ مِنْ ذلِكَ، يا مُحَمَّدُ يا عَلِيُّ انْصُراني فَإِنَّكُما ناصِراي وَاكْفِياني فَإِنَّكُما كافِياي [كافيان]، يا مَوْلايَ يا صاحِبَ الزَّمانِ الغَوْثَ الغَوْثَ، أَدْرِكْني أَدْرِكْني أَدْرِكْني».

وَوَيْلٌ لِمَنْ يَظْلِمُ شِيعَتَنَا وَدِينَنَا

دعاء المعراج، و«سريع الإجابة»

يَا مَنْ هُوَ مَلْجَأُ كُلِّ مَقْصِيٍّ مَطْرُودٍ

إعداد: «شعائر»

تزخر المرويّات عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله، وأهل البيت عليهم السلام بأدعية هي كنوز حقيقية في المعارف الإلهيّة، وفنون التّضرّع والاستكانة بين يدَي الله عزّ وجلّ، وحُسن طلب الحوائج منه تبارك وتعالى. ومن تلك الأدعية ما جمعه الشّيخان: الكُليني في كتابه الحديثي (الكافي)، والكفعمي في كتابه (المصباح).

دعاء المعراج

أورد الشّيخ الكفعميّ «دعاء المعراج» في كتابه (المصباح)، وهو مرويٌّ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، وهو ممّا قال فيه صلّى الله عليه وآله: «**الحمدُ لله الّذي مَنَّ عليَّ بهذا الدّعاء**»، بعدما ذكرَ عظيمَ ثواب قارئه وحامله، وأثرَه في تفريج الهمّ والغمّ، وقضاء الدَّين، وغفران الذُّنوب، والحديثُ في عظيم منزلته طويل، لم نذكرْه اختصاراً، وهو:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا مَنْ أَقَرَّ لَهُ بِالعُبُودِيَّةِ كُلُّ مَعْبُودٍ، يَا مَنْ يَحْمَدُهُ كُلُّ مَحْمُودٍ، يَا مَنْ يُطْلَبُ عِنْدَهُ كُلُّ مَفْقُودٍ، يَا مَنْ يَفْزَعُ إِلَيْهِ كُلُّ مَجْهُودٍ، يَا مَنْ سَائِلُهُ غَيْرُ مَرْدُودٍ، يَا مَنْ بَابُهُ عَنْ سُؤالِهِ غَيْرُ مَسْدُودٍ، يَا مَنْ هُوَ غَيْرُ مَوْصُوفٍ وَلَا مَحْدُودٍ، يَا مَنْ عَطَاؤُهُ غَيْرُ مَمْنُوعٍ وَلَا مَنْكُودٍ، يَا مَنْ لَيْسَ بِبَعِيدٍ وَهُوَ نِعْمَ المَقْصُود، يَا مَنْ رَجَاءُ عِبَادِهِ بِحَبْلِهِ مَشْدُودٌ، يَا مَنْ لَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ، يَا مَنْ شِبْهُهُ وَمِثْلُهُ غَيْرُ مَوْجُودٍ، يَا مَنْ كَرَمُهُ وَفَضْلُهُ لَيْسَ بِمَعْدُودٍ (غَيْرُ مَعْدُودٍ)، يَا مَنْ حَوْضُ بِرِّهِ لِلأَنامِ مَوْرُودٌ، يَا مَنْ لَا يُوصَفُ بِقِيَامٍ وَلَا قُعُودٍ، يَا مَنْ لَا تَجْرِي عَلَيْهِ حَرَكَةٌ وَلَا جُمُودٌ، يا اللهُ، يا رَحْمنُ، يَا رَحِيمُ، يَا وَدُودُ، يَا راحِمَ الشَّيْخِ الكَبِيرِ يَعْقُوبَ، يَا غَافِرَ ذَنْبِ دَاوُدَ، يَا مَنْ لا يُخْلِفُ الوَعْدَ وَيَعْفُو عَنِ المَوْعُودِ، يَا مَنْ رِزْقُهُ وَسِتْرُهُ لِلعاصِينَ مَمْدُودٌ، يَا مَنْ هُوَ مَلْجَأُ كُلِّ مَقْصِيٍّ مَطْرُودٍ، يَا مَنْ دَانَ لَهُ جَمِيعُ خَلْقِهِ بِالسُّجُودِ، يَا مَنْ لَيْسَ عَنْ نَيْلِ وُجُودِهِ أَحَدٌ مَصْدُود، يَا مَنْ لَا يَحِيفُ فِي حُكْمِهِ وَيَحْلُمُ عَنِ الظَّالِمِ العَنُودِ، اِرْحَم عُبَيْداً خاطِئاً لَمْ يُوفِ بالعُهُودِ، إِنَّكَ فَعَّالٌ لِمَا تُرِيدُ، يا بَارُّ يَا وَدُودُ، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَبْعُوثٍ دَعَا إلى خَيْرِ مَعْبُودٍ، وعلى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَهْلِ الكَرَمِ والجُودِ، وافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلُهُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»، وسلْ حاجتك تُقضى إن شاء الله تعالى.

الدعاء السّريع الإجابة

وجاء في كتاب (الكافي) للشّيخ الكُليني رحمه الله، تحت عنوان «دعواتٌ موجَزات لجميع الحوائج»، الرّوايةُ التّالية:

«.. عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ الله عليه السّلام ابْتِدَاءً مِنْه: **يَا مُعَاوِيَةُ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَجُلاً أَتَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السّلام فَشَكَا الإِبْطَاءَ عَلَيْه فِي الْجَوَابِ فِي دُعَائِه، فَقَالَ لَه: أَيْنَ أَنْتَ عَنِ الدُّعَاءِ السَّرِيعِ الإِجَابَةِ؟ فَقَالَ لَه الرَّجُلُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: قُل:**

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ الأَعْظَمِ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ النُّورِ الْحَقِّ الْبُرْهَانِ الْمُبِينِ، الَّذِي هُوَ نُورٌ مَعَ نُورٍ ونُورٌ مِنْ نُورٍ ونُورٌ فِي نُورٍ ونُورٌ عَلَى نُورٍ ونُورٌ فَوْقَ كُلِّ نُورٍ، ونُورٌ يُضِيءُ بِه كُلُّ ظُلْمَةٍ ويُكْسَرُ بِه كُلُّ شِدَّةٍ وكُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ وكُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، لَا تَقِرُّ بِه أَرْضٌ ولَا تَقُومُ بِه سَمَاءٌ ويَأْمَنُ بِه كُلُّ خَائِفٍ ويَبْطُلُ بِه سِحْرُ كُلِّ سَاحِرٍ وبَغْيُ كُلِّ بَاغٍ وحَسَدُ كُلِّ حَاسِدٍ، ويَتَصَدَّعُ لِعَظَمَتِه الْبَرُّ والْبَحْرُ ويَسْتَقِلُّ بِه الْفُلْكُ حِينَ يَتَكَلَّمُ بِه الْمَلَكُ فَلَا يَكُونُ لِلْمَوْجِ عَلَيْه سَبِيلٌ، وهُوَ اسْمُكَ الأَعْظَمُ الأَعْظَمُ الأَجَلُّ الأَجَلُّ، النُّورُ الأَكْبَرُ، الَّذِي سَمَّيْتَ بِه نَفْسَكَ واسْتَوَيْتَ بِه عَلَى عَرْشِكَ، وأَتَوَجَّه إِلَيْكَ بِمُحَمَّدٍ وأَهْلِ بَيْتِه، أَسْأَلُكَ بِكَ وبِهِمْ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ، وأَنْ تَفْعَلَ بِي كَذَا وكَذَا».

خوفُ الحكّام من المَهديّ الموعود عجل الله فرجه الشريف

الخليفة كَراكب الأسَد!

الشّيخ علي كوراني العاملي

هذه المقالة للعلّامة المحقّق الشّيخ عليّ كوراني العامليّ تُضيء من خلال المرويّات التّاريخيّة وما نُقل عن الأئمّة المعصومين عليهم السّلام على موقف الحكّام من روايات ظهور الإمام المهديّ المنتظَر، صلوات الله تعالى عليه، وقد اختارتها «شعائر» من كتاب الشيخ الكوراني (سيرة الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام).

وصف أمير المؤمنين عليه السّلام الحاكم بقوله: «**صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الأَسَدِ، يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ وهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ**».

وهذا يوم كانت الخلافة أسداً، أمّا بعد أن تسلّط عليها الجنود الأتراك في سامرّاء وبغداد فصارت ذئباً، لأنّهم كانوا يأتون بعبّاسيٍّ فيُركِّبُونَهُ على ظهر الذّئب، فيكون آمراً في الظّاهر ويظلّ يتلفّت حواليه وفوقه وتحته، متى يَجُرُّونَهُ عن ظهر الذّئب العزيز، ويقتلونه شرّ قتلة!

ولقد كان الخليفة مضافاً إلى خوفه من غضب القادة الأتراك، يخاف من ثورات العلويّين في مناطق الدّولة الواسعة، ويخاف من ثورات غير العلويّين كالزّنج العبيد في البصرة، وابن الصّفّار في إيران!

لكنّ الخوف الأكبر للخليفة كان من ولادة الثّاني عشر من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، لأنّه المهديّ الموعود، الّذي يزيل دولة بني العبّاس، ويُقيم دولة العدل، فهو خطرٌ يفوق في رأيه كلّ الأخطار!

كان الحكّام القرشيّون يعرفون حديث النّبيّ صلى الله عليه وآله عن المهديّ الموعود، ويسألون عن تفاصيله، ويرجون أن لا يكون في عصرهم! «..»

* **قال معاوية لابن عباس**: «وقد زعمتم أنّ لكم مُلكاً هاشميّاً، ومهديّاً قائماً، والمهديّ عيسى ابن مريم، وهذا الأمر في أيدينا حتّى نسلّمه إليه»! رواه في (الملاحم والفتن)، عن الطّبريّ المُؤَرّخ المعروف في كتابه: (عيون أخبار بني هاشم)، الّذي صنّفه للوزير عليّ بن عيسى بن الجرّاح.

* **وقد ثار عبد الرّحمن بن الأشعث، وادّعى أنّه اليمانيّ وزير المهديّ الموعود عليه السّلام. قال البلاذريّ في (التّنبيه والأشراف)**: «خَلَعَ عبدَ الملك وذلك بإصطخر فارس، وخلعَه النّاسُ جميعاً، وسمّى نفسه ناصرَ المؤمنين، وذكر له أنّه القحطانيّ الذي ينتظره اليمانيّة».

وفي (الفتوح لابن الأعثم): «جعل عبدُ الملك بن مروان لا ينام اللّيل من الفكر والغمّ، وربّما هجع ثمّ يستيقظ كالفَزِع المرعوب، وهو يقول: لقد تركني ابنُ الأشعث في هجوع.. وبعث إلى خالد بن يزيد بن معاوية فدعاه، وكان خالد بن يزيد علّامةً بأيّام النّاس عارفاً بكُتب الفِتن، فقال له: ويحكَ يا أبا هاشم، هل تتخوّف علينا من الرّايات السُّود شيئاً، فإنّا نَجِدُ في الكُتُب أنّ ذهاب مُلكنا على أيديهم؟ قال له خالد: وما اسمُ بلد هذا الرّجل الذي خرجَ عليك يا أمير المؤمنين؟ قال: سَجستان، قال خالد: الله أكبر، لا تخَف يا أمير المؤمنين ما لم يأتك الأمرُ من قَعر مَرو»!

مرويّات أبي الفرج الأصفهانيّ

وعندما ضعفت دولة بني أُميّة، حاول الثّوّار عليها من حسنيّين وعبّاسيّين استغلال روايات المهديّ الموعود عليه السّلام، ليجعلوها تنطبق عليهم! فقال لهم كبيرُ الهاشميّين عبد الله بن الحسن المثنّى، كما في (مقاتل الطالبيّين): «قد علمتُم أنّ ابني هذا هو المهديّ فهلمّوا فلنُبايعه. وقال أبو جعفر المنصور: لأيّ شيءٍ تخدعونَ أنفسَكم، ووَاللهِ لقد علمتُم ما النّاس إلى أحدٍ أطولَ أعناقاً ولا أسرعَ إجابةً منهم

إلى هذا الفتى، يريد محمّد بن عبد الله! قالوا: قد واللهِ صدقت، إنّ هذا لهُو الذي نعلم، فبايعوا جميعاً محمّداً ومسحوا على يده!

قالوا: وجاء جعفر بن محمّد عليه السلام، فأوسع له عبد الله بن الحسن إلى جنبه فتكلّم بمثل كلامه، فقال جعفر عليه السّلام: **لا تَفْعَلوا، فَإِنَّ هَذا الأَمْرَ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ! إِنْ كُنْتَ تَرى** - يَعني عبد الله - **أَنَّ ابْنَكَ هَذا هُوَ المَهْدِيُّ فَلَيْسَ بِهِ وَلا هَذا أوانُه، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّما تُريدُ أَنْ تُخْرِجَهُ غَضَباً لله، وَلِيَأْمُرَ بِالمَعْروفِ وَيَنْهى عَنِ المُنْكَرِ، فَإِنّا، وَاللهِ، لا نَدَعُكَ وَأَنْتَ شَيْخُنا وَنُبايِعُ ابْنَكَ**. فغضبَ عبدُ الله، وقال: علمت خلافَ ما تقول! ووَاللهِ ما أطلعكَ اللهُ على غَيبه، ولكن يحملك على هذا الحسد لابني! فقال عليه السّلام: **وَاللهِ، ما ذاكَ يَحْمِلُني، وَلَكِنَّ هَذا وَإِخْوَتَهُ وَأَبْناءَهُمْ دونَكُمْ**، وضرب بيده على ظهر أبي العبّاس، ثمّ ضرب بيده على كتف عبد الله بن الحسن، وقال: **إِنَّها وَاللهِ ما هِيَ إِلَيْكَ وَلا إِلى ابْنَيْكَ وَلَكِنَّها لَهُمْ، وَإِنَّ ابْنَيْكَ لَمَقْتولانِ**»!

جرت المقادير كما قال الإمام الصّادق عليه السّلام، فقَتَل المنصور سيّدَه «المهديّ» الذي كان يُمسك له بركابه، وادّعى المهديّة لابنه، وأشهد النّاس زوراً بأنّه الذي بشّر به النّبيّ صلّى الله عليه وآله!

* **وروى أبو الفرج في (مقاتل الطّالبيّين)، عن عُمَير بن الفضل الخثعميّ، قال**: «رأيت أبا جعفر المنصور يوماً وقد خرج محمّد بن عبد الله بن الحسن من دار ابنه، وله فرسٌ واقفٌ على الباب مع عبدٍ له أسود، وأبو جعفر ينتظره، فلمّا خرج وثب أبو جعفر فأخذ بردائه حتّى ركب، ثمّ سوّى ثيابه على السّرج ومضى محمّد، فقلت وكنت حينئذٍ أعرفه ولا أعرف محمّداً: مَن هذا الذي أعظمتَه هذا الإعظام حتى أخذتَ بركابه وسوّيتَ عليه ثيابه ؟ قال: أَوَمَا تَعرِفُه؟! قلت: لا. قال: هذا محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن، مهديّنا أهل البيت!».

ثمّ جرت الأيّام والمقادير كما قال الإمام الصّادق عليه السّلام، فقَتَل المنصور سيّده مهديّ الحسنيّين، الذي كان يُمسك له بركابه، وادّعى المهديّة لابنه وسمّاه المهديّ، وبنى له قصر الرّصافة، ونصّبه وليّ عهده.

ولم يكتفِ حتّى أشهد النّاس زوراً بأنّه المهديّ الذي بشّر به النّبيّ صلّى الله عليه وآله! فقد روى أبو الفرج في (الأغاني): «عن الفضل بن إياس الهذليّ الكوفيّ أنّ المنصور كان يريد البيعة للمهديّ، وكان ابنه جعفر يعترض عليه في ذلك فأمر بإحضار النّاس فحضروا، وقامت الخطباء فتكلّموا، وقالت الشّعراء فأكثَروا في وصف المهديّ وفضائله، وفيهم مطيع بن أياس، فلمّا فرغ من كلامه في الخطباء وإنشاده في الشّعراء، قال للمنصور: يا أمير المؤمنين، حدَّثنا فلان عن فلان أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله، قال: المهديّ منّا، محمد بن عبد الله، وأمّه من غيرنا، يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً! وهذا العبّاس بن محمّد أخوك يشهد على ذلك!

ثمّ أقبل على العبّاس فقال له: أُنْشِدُكَ الله هل سمعتَ هذا؟ فقال: نعم، مخافةً من المنصور! فأمر المنصورُ النّاس بالبيعة للمهديّ. قال: ولمّا انقضى المجلس وكان العبّاس بن محمّد لم يأنس به قال: أرأيتم هذا الزّنديق إذ كذبَ على الله عزَّ وجلَّ ورسوله، حتّى استشهدَني على كَذِبه فشهدتُ له خوفاً، وشهد كلّ مَن حضر عليَّ بأنّي كاذب!».

صلاة جعفر بن أبي طالب

يُجمع بينها وبين النّوافل وتؤجّل التسبيحات

الفقيه المحدّث الحرّ العاملي قدس سره

«صلاة جعفر» حَبْوةٌ من النّبي صلّى الله عليه وآله لابن عمّه المجاهد ذي الجناحَين، وهي بعضُ جزائه في خدمة الإسلام، خلّدت اسمَه على لسان الأئمّة عليهم السّلام يحثّون على أدائها في شتّى الظروف والأوقات، وفيها الرُخَص التي تجعلها خفيفةَ المؤونة مع ما لها من الأثر الجميل.

ما يلي اقتباس مختصر من كتاب (هداية الأمّة إلى أحكام الأئمّة) للشيخ الحرّ العاملي رضوان الله تعالى عليه.

تُستحبّ في صدر النّهار من يوم الجمعة.

سُئل المهديّ عليه السلام عن صلاة جعفر أيّ أوقاتها أفضل؟ فأجاب عليه السّلام: «**أَفْضَلُ أَوْقاتِها صَدْرُ النَّهارِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ ثُمَّ في أَيِّ الأَيّامِ شِئْتَ، وَأَيِّ وَقْتٍ صَلَّيْتَها مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ فَهُوَ جائِزٌ**».

تُستحبّ في كلّ يوم وليلة سفراً وحضراً ولو في المحمل، لما مرّ.

وسئل المهديّ عليه السّلام عن صلاة جعفر في السّفر، هل تصلّى أم لا؟

فأجاب عليه السّلام: «**يَجوزُ ذَلِكَ**».

وقال الصّادق عليه السلام «**إِنْ شِئْتَ صَلِّ صَلاةَ التَّسْبيحِ بِاللَّيْلِ، وَإِنْ شِئْتَ بِالنَّهارِ، وَإِنْ شِئْتَ في السَّفَرِ**». وروي: «**إذا كانَ مُسافِراً صَلّى في المَحْمَلِ**».

يجوز احتسابها من النّوافل.

سئل الصّادق عليه السلام عن صلاة جعفر: أحتسب بها من نافلتي، فقال: «**ما شِئْتَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهارٍ**».

وقال عليه السّلام: «**تُصَلِّيها في السَّفَرِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَإِنْ شِئْتَ فَاجْعَلْها مِنْ نَوافِلِكَ**».

وقال الباقر عليه السّلام في صلاة جعفر: «**إِنْ شِئْتَ حَسِبْتَها مِنْ نَوافِلِ اللَّيْلِ، وَإِنْ شِئْتَ حَسِبْتَها مِنْ نَوافِلِ النَّهارِ، وَتُحْسَبُ لَكَ مِنْ نَوافِلِكَ وَتُحْسَبُ لَكَ مِنْ صَلاةِ جَعْفَرٍ**».

يجوز تفريقها في مقامَيْن.

قال أبو الحسن الأخير [الهادي] عليه السلام في صلاة جعفر: «**إِنْ قَطَعَهُ عَنْ ذَلِكَ أَمْرٌ لا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، فَلْيَقْطَعْ ثُمَّ لِيَرْجِعْ فَلْيَبْنِ عَلى ما بَقِيَ مِنْها إِنْ شاءَ اللهُ**».

تُستحبّ ليلة نصف شعبان.

سُئل الرّضا عليه السلام عن ليلة النّصف من شعبان، هل فيها صلاة زيادة على سائر اللّيالي؟ فقال: «**لَيْسَ فيها شَيْءٌ مُوَظَّفٌ وَلَكِنْ [إن] أَحْبَبْتَ أَنْ تَتَطَوَّعَ فيها بِشَيْءٍ فَعَلَيْكَ بِصَلاةِ جَعْفَرِ بْنِ أَبي طالِبٍ، وَأَكْثِرْ فيها مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَالاسْتِغْفارِ وَالدُّعاءِ، فَإِنَّ أَبي كان يَقولُ: الدُّعاءُ فيها مُسْتَجابٌ**».

يُستحبّ فعلها مع تجريدها عن التّسبيح لمن كان مستعجلاً ثمّ يقضيه.

قال الصّادق عليه السّلام: «**مَنْ كانَ مُسْتَعْجِلاً يُصَلّي صَلاةَ جَعْفَرٍ مُجَرَّدَةً، ثُمَّ يَقْضي التَّسْبيحَ وَهُوَ ذاهِبٌ في حَوائِجِهِ**».

وقال عليه السّلام: «**إِذا كُنْتَ مُسْتَعْجِلاً فَصَلِّ صَلاةَ جَعْفَرٍ مُجَرَّدَةً، ثُمَّ اقْضِ التَّسْبيحَ**».

من نسيَ التّسبيح في حالة وذكرَه في حالة أخرى قضاه فيها.

سُئل صاحب الزّمان عليه السلام عن صلاة جعفر إذا سَها في التّسبيح في قيامٍ أو قعودٍ أو ركوعٍ أو سجودٍ وذكرَه في حالةٍ أخرى، التّوقيع: «**إِذا سَها في حالَةٍ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ ذَكَرَ في حالَةٍ أُخْرى، قَضى ما فاتَهُ في الحالَةِ الّتي ذَكَرَها**».

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾

أذكر الموت، ووحدتك في قبرك

الفقيه المحدّث الفتّال النّيسابوريّ

لذكر الموت خصوصيّة في استقامة الإنسان وتنبيهه لضرورة التّيقّظ، وإعداد الزّاد لهذه الرّحلة، وأنّ في السّهو عنه خسارة وحَسرة.

من كتاب (روضة الواعظين وبصيرة المتّعظين) للمحدّث الفقيه الشيخ محمّد بن الحسن الفتّال النّيسابوريّ (ت: ٥٠٨ للهجرة)، اخترنا موعظة أوردها تحت عنوان: «مجلس في ذكر القبر».

«قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ ثُمَّ قَالَ: تَكَاثُرُ الْأَمْوَالِ جَمْعُهَا مِنْ غَيْرِ حَقِّهَا، وَمَنْعُهَا مِنْ حَقِّهَا، وَسَدُّهَا فِي الْأَوْعِيَةِ.

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾: حَتَّى دَخَلْتُمْ قُبُورَكُمْ.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: لَوْ قَدْ خَرَجْتُمْ مِنْ قُبُورِكُمْ إِلَى مَحْشَرِكُمْ.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾: قَالَ: وَذَلِكَ حِينَ يُؤْتَى بِالصِّرَاطِ فَيُنْصَبُ بَيْنَ جِسْرَيْ جَهَنَّمَ.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾: قَالَ: عَنْ خَمْسٍ: عَنْ شِبَعِ الْبُطُونِ، وَبَارِدِ الشَّرَابِ، وَلَذَّةِ النَّوْمِ، فَظِلَالِ الْمَسَاكِنِ، وَاعْتِدَالِ الْخَلْقِ).

وَرُوِيَ فِي أَخْبَارِنَا أَنَّ النَّعِيمَ وَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام.

* وَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (أَشْرَفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، عليه السّلام، عَلَى الْمَقَابِرِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ وَيَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ! أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ، وَأَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ، فَهَذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ؟

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوا أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى).

* قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: (مَنْ شَيَّعَ جَنَازَةَ مَيِّتٍ مُؤْمِنٍ حَتَّى تُدْفَنَ فِي قَبْرِهِ، وَكَّلَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنَ الْمُشَيِّعِينَ يُشَيِّعُونَهُ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ قَبْرِهِ).

* وَقَالَ الْبَاقِرُ عليه السلام: (مَنْ شَيَّعَ جَنَازَةَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ أُعْطِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَرْبَعَ شَفَاعَاتٍ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ وَلَكَ مِثْلُ ذَلِكَ).

* قَالَ أَبُو بَصِيرٍ: (قَالَ لِيَ الصَّادِقُ عليه السّلام: أَمَا تَحْزَنُ؟ أَمَا تَهُمُّ؟ أَمَا تَأْلَمُ؟ قُلْتُ بَلَى وَاللهِ!

قَالَ: فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْكَ فَاذْكُرِ الْمَوْتَ وَوَحْدَتَكَ فِي قَبْرِكَ، وَسَيَلَانَ عَيْنَيْكَ عَلَى خَدَّيْكَ، وَتَقَطُّعَ أَوْصَالِكَ، وَأَكْلَ الدُّودِ مِنْ لَحْمِكَ، وَبِلَاكَ وَانْقِطَاعَكَ عَنِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يَحُثُّكَ عَلَى الْعَمَلِ وَيُرَوِّعُكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا).

* وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله، كَانَ فِي جَنَازَةٍ فَانْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّوْبَ دُمُوعُهُ، ثُمَّ قَالَ: (إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فَاسْتَعِدُّوا).

وَقَالَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وآله: (إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ).

* وقيل توفّيت النّوار امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة، وخرج فيها الحسن البصريّ، فقال الحسن للفرزدق: ما أعددتَ لهذا اليوم يا أبا فراس؟ قال: شهادةَ أن (لا إله إلّا الله) منذ ثمانين سنة. فلمّا دُفنت قام على قبرها، فقال:

أَخافُ وَراءَ القَبْرِ إِنْ لَمْ يُعافِني ... أَشَدَّ مِنَ القَبْرِ الْتِهابا وَأَضْيَقا
إِذا قادَنِي يَوْمَ القِيامَةِ قائِدٌ ... عَنيفٌ وَسَوّاقٌ يَسوقُ الفَرَزْدَقا
فَقَدْ خابَ مِنْ أَوْلادِ آدَمَ مَنْ مَشى ... إِلى النّارِ مَغْلولَ القِلادَةِ أَزْرَقا

وأنشد:

وَإِذا وَلِيتَ أُمورَ قَومٍ مَرَّةً ... فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَنْهُمُ مَسؤولُ
وَإِذا حَمَلْتَ إِلى القُبورِ جَنازَةً ... فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَها مَحمولُ
يا صاحِبَ القَبْرِ الْمُنَقَّشِ سَطْحُهُ ... وَلَعَلَّهُ مِنْ تَحْتِهِ مَغْلولُ».

العلّامة الشّيخ محمّد السند في إجابات على أسئلة في السّير والسّلوك

لا يُمكن الاستغناء عن معادلاتٍ أرشدَ إليها الوحي

إعداد: «شعائر»

ما يلي ملخّص حوارات أجرتها الإذاعة العربية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية مع سماحة العلامة المحقق الكبير الشّيخ محمّد السند حفظه الله في عناوينَ شتّى ترتبط بسلوك المؤمن طريقَ تحصيل رضا الله، عزّ وجلّ، والعُمدة فيها التّمسّك بالثّقلين: القرآن والعترة النّبويّة المباركة، من خلال التزام الأحكام الشّرعيّة، والتّدبّر في نصوص الشّريعة المقدّسة، والإخلاص.

س: من القضايا المهمّة التي يكثُر الحديث عنها فيما يرتبط بحركة السّلوك إلى الله تبارك وتعالى، قضيّة الالتزام بالشّريعة، فما هي آثار ذلك، خصوصاً، في حفظ حركة السّالك على الصّراط المستقيم؟

ج: إنّ العروج والتّسامي هما في الحقيقة سيرٌ في منازل غيبيّة وعوامل عظيمة لا يعرف طريقها وسنَنها وأوديتَها إلّا من كان محيطاً بالملكوت، وما هؤلاء إلّا الأنبياء والرّسل وأوصياؤهم عليهم السلام. لأنّ الله، عزّ وجلّ، قد أودعهم هذا العلم المحيط بكيفيّة الوصول والسير والسلوك والعروج إلى تلك المقامات، ومهما بلغ من شأن العارف أو الزاهد أو المتّقي أو الحكيم أو أيّ صاحب مقام من هذه المقامات المعنوية الكبيرة، فإنّ معرفته أو إحاطته لن تصل يوماً ما إلى إحاطة الأنبياء، لا سيّما سيّد الأنبياء والأوصياء، صلّى الله عليه وآله وسلّم وعترته عليهم السلام.

أمّا السالك، أو العارف، أو الزاهد، أو المتّقي، أو الحكيم، أو صاحب اليقين إنّما يتلفّت إلى درب من الدروب، وتغيب عنه بحورٌ ومحيطات كثيرة، ربّما لو لم يتّبع منهاج النّبوة وهَدي الإمامة وملّة الأنبياء لأَهوتْ به تلك المنازل وتلك الرياضات أو تلك السلوكيات إلى حافّة الهاوية من حيث لا يشعر، لأن المؤمن يأخذ دينه من ربّه لا من رأيه، والدّين في الحقيقة يرتبط بالوصول إلى زُلف القربى والحظوة بالقربى الإلهية، ولذلك ورد إلينا في الحديث النّبوي: «**العِلْمُ ثَلاثَةٌ وَما سوى ذَلِكَ فَهُوَ فَضْلٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ** - وهي العقائد والمعارف - **وَسُنَّةٌ قائِمَةٌ، وَفَريضَةٌ عادِلَةٌ**»، وفي الحقيقة توصية الأكابر - وهي توصية نبويّة، وتوصية المعصومين عليهم السلام - هي أنّ مَن لا ينظر في فقه المعارف من الكتاب والسنة، أو في فقه الفروع، أو في فقه السُّنن والآداب - وهو الفقه الأوسط - فسوف ينتابه زَللٌ وانحراف وضلال وابتداع وإحداث في الدّين ما ليس فيه، وكم شوهد ذلك كثيراً على مرّ التجارب.

الصلاة.. الذكر الأكبر

س: ورد في الأحاديث الشّريفة أنّ الصّلاة معراج المؤمن، هل في ذلك إشارةٌ إلى أثَر الصّلاة في السّير والسلوك الى الله تبارك وتعالى؟

ج: إنّ البيان النّبويّ بيانٌ للغايات والثمار التي تُنتجها الصلاة،

وفي الحقيقة إنّه في الصّلاة يتمّ عروجٌ روحيّ عظيم وكبير وشامخ وربّما لا يستشعره المصلّي، فالشّحنة الرّوحية، والجرعات المعنوية التي تتفتّق له في أنحاء من المعارف، وفي الانضباط السّلوكي، وفي الإرادة، هي كلّها من غنائم العروج الرّوحي الذي يتمّ في الصلاة.

أحد مشايخنا العظام، رحمة الله عليه، وهو الميرزا هاشم لاريجاني الآملي يقول: «إنّ هناك عدّة من كبار أهل المعنى والتّقوى والقرب الإلهي قد وصلوا إلى مقامات عبر برنامج الصّلاة». هذه الصّلاة، على المكلّف والمؤمن أن يتّخذها برنامجاً وهندسةَ رُقِيّ، ويراقب النتائج المستثمَرة من هذه الصلاة بلحاظ كلّ يوم وكلّ شهر.. كما ورد التّأكيد أنّ آخر صِلة بين الله تعالى وعبده هي الصّلاة، فاذا قطعَها انقطعت الصِّلة، وإذا وصل هذا الحبل خشيَ منه الشّيطان وجنود إبليس؛ والواقع إنّ هذه الخشية نتيجة لما يستثمره المصلّي من هيئات نورية رادعة عن خروقات الشياطين ووَسوستهم وميولاتهم.. هناك هيئة نفسانية تحدث لدى الإنسان تكون بمنزلة القوّة التي تشدّد على إرادة الانسان في قدرته، وعلى مناعته عن المعاصي والمنكرات... ففوائد الصلاة أمور جمّة. يقول أحد أهل المعنى: «متى غنِمنا من غنائم الصلاة كي نبحث عن غنائم أو مشاهدات أو مكاشفات أُخرى؟».

المؤمن يأخذ دينه من ربّه لا من رأيه.

فالصّلاة أمر عظيم، وشأن كبير وفيها يتمّ الذّكرُ الأكبر، ﴿..وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ..﴾ العنكبوت:٤٥، وفّقنا الله وجميع المؤمنين للتعالي إلى معارج أكثر فأكثر بتوسّط الصلاة وبرنامج الصلاة.

س: هل للأنس بالقرآن الكريم، وتلاوته، وتدبّره، من آثار في القرب من الله تبارك وتعالى، وفي السّير والسّلوك إليه عزّ وجلّ؟

ج: ورد في الحديث أنّ القرآن مأدبة الله تعالى، والجالس على تلك المأدبة ينتهل من ألوان الأطعمة النّورانية والإلهية، وكلّما طال جلوسه زاد في الحقيقة نهلاً وانتفاعاً من تلك المأدبة، وفي الحقيقة إنّ قراءة القرآن، بالآداب التي أوصى بها أئمّة أهل البيت عليهم السلام (وهي: أن يعظ القارئ نفسه ويزجرها عندما يصل إلى موعظة قرآنية، ويردّدها مرّة بعد أخرى لتنفذ تلك المعاني إلى أعماق قلبه ويحصل على الرقّة وانكسار القلب، أو عندما يصل إلى آيات مبشّرات أيضاً، كذلك يتدبّرها ويقرأها مليّاً) هذه كلّها أمور، توجب صقلاً تربوياً نورانياً في النفس، كذلك عندما يصل إلى حُكمها يتدبّر، فبالتالي سيشاهد ألواناً من الأطعمة النّورية والمعارف الكثيرة، وتلقائياً سيتربّى عُلوياً وخُلُقياً بنظام القرآن وتوصياته، فكلّما ازداد قراءةً وتدبّراً وإمعاناً كلّما انصبغ بأنوار القرآن أكثر فأكثر، وكان سابحاً في هداية القرآن تلقائياً لا شعورياً، فيعبّأ العقل الباطن والذّاكرة لدى الإنسان بمعادلات وبرامج ونُظم قرآنية، ثمّ يجعل القرآن محاسِباً مراقباً له، وبالتالي يحاسب نفسه: إنّ هذه هي الوصيّة القرآنية كيف لا أعمل بها.. وبالتالي سيكون هناك نوع من محاكمة الضمير للإنسان اتّجاه المسؤوليات التي يُوصي وينادي بها القرآن الكريم في مقام العمل.

التمسّك بأهل البيت عليهم السلام ومعرفتهم

س: أهل البيت، عليهم السلام، هم الثّقل الآخر الذي يعصم من الضّلال، كما في الحديث المتواتر عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، كيف يُسهم التّمسك بأهل البيت وولايتهم في سير وسلوك أهل المعرفة إلى الله عزّ وجلّ؟

ج: في الحقيقة هناك إشاراتٌ قرآنية كبيرة وعظيمة إلى أنّ التّسليم والعبودية - وهما من الصّفات والمنازل العظيمة التي يرمي إليها

السّالك - لا يحصلان إلّا بالتّسليم لولاية الله عزّ وجلّ، المُتجلّية في ولاية الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وفي ولاية الأوصياء، عليهم السلام، من بعده، فها هو القرآن الكريم يبيّن لنا مثال إبليس الذي أخفق في هذا المنزل العظيم، وهو منزل العبودية ومنزل التّسليم، ومنزل الانقياد والانصياع للباري تعالى، فهو، رغم دعواه التّسليم بتوحيد ذات الله عزّ وجلّ، وبالمعاد، فإنّه أخفق في مقام آخر من مقامات التّوحيد والعبودية والتّسليم لأمر الله، عزّ وجلّ، في ولاية الخليفة الذي نصّبه الله، عزّ وجلّ، خليفةً له في الأرض، فمن ثمّ إنّ من أكبر المقامات وأكبر العقبات التي تواجه السّائر في تهذيب النّفس والسّالك في تنوير الرّوح هو طواعيته للأوامر الإلهية وللحاكمية الإلهية المتجلّية والمتمثلة في ولاية وليّ الله، فهذه الولاية في الحقيقة هي نوع من التجلّي والظّهور لولاية الله عزّ وجلّ وولاية نبيّه، صلّى الله عليه وآله، فالإخفاق في هذه الولاية يمثّل إخفاقاً في مقام عظيم من مقامات التّوحيد.

لا يصحّ الاستغناء عن السّعي في كسب العلم بذريعة أنه إلهام أو نور يُقذَف في القلب.

توصيات للأذكار

س: ما هو الفارق والمميِّز بين الأذكار الشّرعية والأذكار غير الشّرعية، باعتبار أنّ توصيات الشّريعة وأهل المعرفة تؤكّد الالتزام بالأذكار التي وردت في الشّريعة المقدّسة؟

ج: طبعاً، عموم ذكر الله تعالى مشروعٌ كما ورد في الأدعية «**يا مَن ذِكرُه حُلو**»، فعموم ذكر الله، عزّ وجلّ، أمر مشروع، وراجح،

سماحة العلّامة المحقق الشّيخ محمّد السند

وزهيّ، وزاهٍ، ومُبهج، وبالنّسبة إلى خصوصيّات الأذكار الواردة بأنماط وقوالب وأُطر خاصّة في الشّريعة - في القرآن الكريم، أو من قِبل النّبيّ الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم، أو من أهل بيته عليهم السلام - لا ريب أنّ لها خصوصياتٍ وتأثيرات خاصّة تختلف سواء من حيث المجيء بها في وقت معيّن، بشاكلة معيّنة، وبألفاظ معيّنة، وبشرائط مذكورة معيّنة.

مثلاً: لدينا روايات تحثّ على الإتيان بتسبيحات فاطمة الزّهراء، سلام الله عليها، عقيب الصّلاة، بأن لا يتكلّم المصلّي بعد تسليمه وفراغه من الصّلاة (صلاة الفريضة أو بقيّة الصلوات). إذا أتى بتسبيحة الزهراء عليها السلام بانَ لها بالغُ التّأثير الخفيّ الذي لا يعلم كنوزَه إلّا الله، عزّ وجلّ، ولكن شريطة أن يأتيَ به من دون أن يتحدّث مع أحد، وقبل أن يتلفّت يمنةً ويُسرة بعد تسليمه من الصلاة.

طبعاً، قد تتّخذ الأذكار قوالب أخرى، يعني نفس العبادات هي أذكار، إذا أخذتْ قوالب أخرى كقالب الصلاة، والاعتكاف، والحجّ، والعمرة، إذا أخذتْ الأذكارُ قوالب أخرى، تلك القوالب قد يكون فيها أُطر وضوابط وتحديدات شرعيّة تختلف عن بقية قوالب الأذكار، فلا بدّ أن يؤتى بها حسب المقرّرات الشّرعية.

الكلام بالنّسبة إلى عموم الذّكر اللساني، أو الذّكر القلبي، أو التوجّه القلبي، ذاك بابه مفتوح لا يقتصر على نمط دون نمط، كلّ هذه الأنماط مشروعة، مشروعة بعمومات الحثّ على ذكر الله تعالى، وشاملة لها حسب التّوصية الشّرعية، وإذا أردنا الخواصّ الخاصّة لكلّ تأثير، فإنّ الواقفين على بيانات الشّرع العديدة والرّوايات المتواترة المستفيضة المختلفة نوعاً وأنماطاً، يعلمون أنّ لكلّ مقام ومنزل أو خاصّية يريد الإنسان أن يصل إليها، هناك ذكر كالمفتاح الأكبر لذلك الغرض، وقد التقينا بجملة من أهل المعنى ممّن مضَوا، رحمهم الله، كانوا قد وُفِّقوا وسُدِّدوا إلى كيفيّة التّفطّن إلى تلك الأذكار، وقفوا عليها من خلال الرّوايات والبيانات الشّرعية الواردة في الكتاب والسّنّة بلُطف خفي.

العلم الموروث: كسب وإلهام

س: ما هو العلم الموروث الذي يهتمّ به كثيراً أهلُ السّير والسّلوك، وهو الذي يُشير إليه المروي عن أئمّة الهدى عليهم السلام، ومضمونه: «مَن عملَ بما علِم أورثَه اللهُ علمَ ما لم (لا) يعلم»؟

ج: في الحقيقة هناك جدليّة معروفة بين نظريّتَين؛ نظريّة ربّما تحسَب أنّ العلم ليس إلّا من الباطن، باطن الرّوح، باطن الملكوت، يُفاض على القلب، وأنّه ليس للعلم الكسبي أيّ شأن ولا دور، وإنّما الشّأن والمقام كلّه نابعٌ، ومنبعه بالتّالي الرّوح والقلب، وما يفاض على الرّوح والقلب من إلهامات وتسديدات وما شابه ذلك، أو مكاشفات.

في قبال هذا القول هناك قول آخر يتنازع القولَ الأوّل، مفادُه أنّ العلمَ دارُه الكسب، ولا بدّ منه، وإلّا لَدخلنا في فوضى من الخَبط والتّخليط والهلوسة وما شابه ذلك.

ولكنّ الصّحيح أنّ هناك قولاً ثالثاً جامعاً بين إيجابية كِلا القولين، ويتفادى المؤاخذة على كلٍّ من القولَين، القول الثّالث هو أنّ للكسب دوراً ومجالاً، وللإلهامات دوراً ومجالاً، ولا يُمكن الاستغناء بأحدهما عن الآخر في التّكامل.

> **متى غنِمنا من الصّلاة كي نبحث عن مشاهدات أو مكاشفات أُخرى؟**

مثلاً: في القرآن الكريم قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة:٢. الكتاب هو القرآن الكريم، وهو بيان وهدى ونور للنّاس أجمعين، إلّا أنّه سبحانه وتعالى خصّه في سورة البقرة للمتّقين، لماذا؟ لأنّ المعاني النّورانية للقرآن لا تُفاض أو لا يُلتفت إليها إلّا بعد شرط طهارة الرّوح الإنسانية، توسُّط التّقوى، المتّقي يحاول أن يحافظ ويوقي روحه عن التلوّث بظلمات المعاصي، فإذاً توقية المتّقي روحه عن التلوّث بظلمات المعاصي يؤمّن للرّوح التلألؤ، وبالتّالي قوّة بصيرة لدرك معاني الكتاب، فالكتاب، مع أنّه كتاب يُقرأ ومصحف يُتلى، فلا بدّ من التدبّر في تلك المعاني ولا بدّ فيها من موضع، وهذا جمع للجَنبتين، الجَنبة الكسبية: القراءة المحسوسة، وجَنبة ضرورة طهارة الرّوح لفيض الإلهامات من المعاني، فإذاً، هذا منهاج جامع ليس فيه هلوسة ادّعاءات الإلهام، أو ادّعاءات النّبوّات، أو من يهلوس ويدّعي مقامات عديدة من دون ضابطة، ولا هو سجن للمعرفة فقط مجرّد القراءة ولقلقة اللسان، بل هو جامع بين موازين محسوسة من بيانات القرآن الكريم الذي هو من أمّهات وأُسس ومنابع المعرفة، أو الحديث النّبوي وحديث المعصومين عليهم السلام، ولكن بضميمة هذا أيضاً ضميمة الطّهارة والتقوى لكي تكون الرّوح مؤهّلة لأن تلتفت إلى معانٍ نورانية وحقائق نورانية للآيات القرآنية وللأحاديث الشّريفة.

تحديدُ الكبائر في الأخبار
كلُّ كبيرٍ صغيرٌ بالإضافة إلى الشِّرك باللهِ تعالى

الفقيه المحقّق الشيخ ضياء الدّين العراقي رحمه الله

وردَت الرّوايات المتعدّدة في تحديد الكبائر من الذّنوب، إنْ لجهة تَمييزها عن غيرها ممّا عدّه بعض العلماء من الصّغائر، أو لجهة حصرها بناءً على كونها ممّا أوعدَ الله تعالى عليها النّار في القرآن الكريم، أو سوى ذلك من الاعتبارات.

في ما يلي مقتطف من بحث الفقيه الشيخ ضياء الدّين العراقيّ الوارد في كتابه (شرح تبصرة المتعلّمين - كتاب القضاء)، نُورده بتصرّف.

أوسعُ شيء ورد في تحديد الكبائر: صحيحةُ عبد العظيم الحَسنيّ، قال: حدّثني أبو جعفر الثّاني [الإمام الجواد] عليه السلام، قال: «سَمِعْتُ أَبي يَقولُ: سَمِعْتُ أَبي موسى بْنِ جَعْفَرٍ عليه السلام يَقولُ: دَخَلَ عَمْرو بْنُ عُبَيْدٍ عَلى أَبي عَبْدِ اللهِ عليه السلام، فَلَمَّا سَلَّمَ وَجَلَسَ، تَلا هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ ..﴾ النّجم:٣٢، ثُمَّ أَمْسَكَ.

فَقالَ لَهُ أَبو عَبْدِ اللهِ: **ما أَسْكَتَكَ؟**

قالَ: أُحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ الكَبائِرَ مِنْ كِتابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فقال: **نَعَمْ يا عَمْرو، أَكْبَرُ الكَبائِرِ:**

١- الإشْراكُ بِاللهِ. يَقولُ اللهُ: ﴿.. إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ..﴾ المائدة:٧٢.

٢ - وَبَعْدَهُ الإيَاسُ مِنْ رَوْحِ الله؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿..إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ يوسف:٨٧.

٣ - ثُمَّ الأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللهِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿..فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ الأعراف:٩٩.

٤ - وَمِنْها عُقوقُ الوالِدَيْنِ؛ لِأَنَّ اللهَ سُبْحانَهُ جَعَلَ العاقَّ جَبّاراً شَقِيّاً.

٥ - وَقَتْلُ النَّفْسِ الّتي حَرَّمَ اللهُ إِلّا بِالحَقِّ. لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿..فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ..﴾ النساء:٩٣.

٦ - وَقَذْفُ المُحْصَنَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿..لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور:٢٣.

٧ - وَأَكْلُ مالِ اليَتيمِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿..إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ النّساء:١٠.

٨ - وَالفِرارُ مِنَ الزَّحْفِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ الأنفال:١٦.

٩ - وَأَكْلُ الرِّبا؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ..﴾ البقرة:٢٧٥.

١٠ - وَالسِّحْرُ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿..وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ..﴾ البقرة:١٠٢.

١١ - وَالزِّنا؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿.. وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ الفرقان:٦٨-٦٩.

١٢ - وَاليَمينُ الغَموسُ الفاجِرَةُ [سُمّيت غَموساً لأنّها تغمِسُ صاحبَها في الإثم، ثمّ في النار. وفَعول للمبالغة]؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ..﴾ آل عمران:٧٧.

١٣ - وَالغُلولُ [الغلول: الخيانة في المَغنَم، والسّرقة من الغنيمة قبل القِسمة]؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿..وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ..﴾ آل عمران:١٦١.

١٤ - وَمَنْعُ الزَّكاةِ المَفروضَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿..فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ..﴾ التوبة:٣٥.

١٥ - وَشَهادَةُ الزّورِ.

١٦ - وَكِتْمانُ الشَّهادَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ: ﴿..وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ..﴾ البقرة:٢٨٣.

١٧ - وَشُرْبُ الخَمْرِ؛ لأنّ الله عزَّ وجلَّ نَهى عَنْها كَما نَهى عَنْ عِبادَةِ الأَوْثانِ.

١٨ - وَتَرْكُ الصَّلاةِ مُتَعَمِّداً، أَوْ شَيْئاً مِمّا فَرَضَ اللهُ عزَّ وجلَّ، لِأَنَّ رَسولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قالَ: مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ مُتَعَمِّداً فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ اللهِ وَذِمَّةِ رَسولِهِ.

١٩ - وَنَقْضُ العَهْدِ.

٢٠ - وَقَطيعَةُ الرَّحِمِ؛ لِأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقولُ ﴿..لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ الرّعد:٢٥.

قالَ: فخرجَ عمرو بنُ عبيد ولَه صراخٌ من بُكائه وهو يقول: هلكَ مَن قالَ برأيه ونازعَكم في الفضلِ والعلم».

أكبرُ المعاصي سَبع

وقد استفاضَ حَصرُ عدد الكبائر في سَبع. كما تقدّم في حديث عبيد بن زرارة عن الإمام الصّادق، قال: «هُنَّ فِي كِتَابِ عَلِيٍّ سَبْعٌ: الْكُفْرُ بِاللهِ، وقَتْلُ النَّفْسِ، وعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وأَكْلُ الرِّبَا بَعْدَ الْبَيِّنَةِ، وأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْماً، والْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ، والتَّعَرُّبُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ.

قَالَ [الرّاوي]: فَقُلْتُ: فَهَذَا أَكْبَرُ الْمَعَاصِي؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْتُ: فَأَكْلُ دِرْهَمٍ مِنْ مَالِ الْيَتِيمِ ظُلْماً أَكْبَرُ أَمْ تَرْكُ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: تَرْكُ الصَّلَاةِ. قُلْتُ: فَمَا عَدَدْتَ تَرْكَ الصَّلَاةِ فِي الْكَبَائِرِ. فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَوَّلُ مَا قُلْتُ لَكَ؟

قَالَ: قُلْتَ: الْكُفْرُ. قَالَ: فَإِنَّ تَارِكَ الصَّلَاةِ كَافِرٌ..». [مرّ في الرّقم ١٨ من الحديث الأوّل أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عدَّ ترك الصّلاة متعمّداً بمنزلة البراءة من ذمّة الله وذمّة رسوله صلّى الله عليه وآله]

لكن يُحمل هذا العدد على أنّها أكبرهنّ. كما في حديث أبي الصّامت عن الصّادق عليه السّلام، قال: «أَكْبَرُ الكَبَائِرِ سَبْعٌ: الشِّرْكُ بِاللهِ العَظيمِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الّتي حَرَّمَ اللهُ إلّا بالحَقّ، وأَكْلُ أَموالِ اليَتامى، وَعُقوقُ الوالدَين، وَقذْفُ المحصَناتِ، والفِرارُ من الزَّحْف، وإنكَارُ مَا أنزلَ اللهُ...»، وفي ذيلِ الحديث ما يؤوّل هذه السّبع إلى إنكار حقوقِهم عليهم السّلام، فراجع.

وفي حديث ابن أبي عمير عن بعض رجاله عن الصّادق عليه السّلام، قال: «وَجَدْنا في كتابِ عَلِيٍّ عليه السّلام، الكبائرَ خَمْسَةٌ». وفي بعضها ثمان. وفي آخَر: تسع، وهذا الاختلافُ في التّعداد أيضاً دليلٌ على نسبيّة الكبيرة؛ من كبيرٍ إلى أكبر.

> لا اختلافَ بين التّعديدات الواردة في الرّوايات، فكلُّ صغيرٍ من الذّنوب كبيرٌ بالإضافة إلى ما هو أصغر منه.

رأيُ الشيخ الصدوق

ومن ثمَّ لا اختلاف حقيقةً بين التّعديدات الواردة في الرّوايات. ويشهد له التّعبيرُ في بعضها بـ «السَّبع المُوبقات»، أو «السَّبعِ الموجبات»، أي المُوجبات للخروج عن الإيمان كما في حديث نعمان الرّازيّ، قال: «سمعتُ أبا عبد الله عليه السّلام: مَنْ زَنى خَرَجَ مِنَ الإيمان»، أو «.. سُلِبَ الإيمان»، أو «.. فارقَه روحُ الإيمان». وقال محمّد بن الحكيم: «سألت أبا الحسن موسى عليه السّلام: الكبائر تُخرِج من الإيمان؟ فقال: نَعَمْ، وَما دونَ الكَبائِرِ. قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لا يَزْني الزّاني وَهُوَ مُؤْمِنٌ».

ولْنختم المقالَ بما قاله النّاقدُ الخبير بمَواقع الحديث؛ شيخُ المحدّثين الصّدوق عليه الرّحمة، قال: «الأخبار في الكبائر ليست بمختلفة، وإنْ كان بعضُها وردَ بأنّها خمس، وبعضها بسبع، وبعضها بثمان، وبعضها بأكثر، لأنّ كلّ ذنبٍ بعد الشّرك كبيرٌ بالإضافة إلى ما هو أصغرُ منه. وكلُّ صغيرٍ من الذّنوب كبيرٌ بالإضافة إلى ما هو أصغر منه. وكلّ كبيرٍ صغيرٌ بالإضافة إلى الشّرك بالله العظيم».

المُلاَّ هادي السّبزواريّ في (شرح الأسماء الحُسنى)

خواطر الظّنون.. أقسامُها وشروحها

أعدّت «هيئة تحرير شعائر» هذا النّصّ الّذي يبحث في واحدٍ من أبرز المداخل المعرفيّة في عالم السّير والسّلوك إلى الله تعالى، وقد اخترناه لأهمّيّته من كتاب الفيلسوف الإلهيّ المَولى هادي السّبزواريّ الموسوم بـ (شرح الأسماء الحسنى).

لقد ارتأينا أن نقدّم النّصّ تحت العنوان نفسه الذي ورد في الكتاب المشار إليه في معرض شرحه «دعاء الصّباح» لأمير المؤمنين عليه السلام، الفقرة المتعلّقة بخواطر الظّنون: «يَا مَن قَرُبَ مِنْ خَوَاطِرِ الظُّنُونِ وَبَعُدَ عَنْ مُلاحَظَةِ العُيُونِ».

وفي ما يلي شرح المَولى السّبزواريّ.

«شعائر»

الخاطر (هو) ما يرِد على القلب من الخطاب، أو الوارد الذي لا تَعَمُّلَ للعبد فيه. وما كان خطاباً فهو على أربعة أقسام:

١) ربانيّ، وهو أوّل الخواطر: ويُسمّى نَقْر الخاطر ولا يُخطئ أبداً، وقد يُعرَف بالقوّة والتّسلّط وعدم الاندفاع.

٢) وملَكيّ، وهو الباعث على مندوبٍ أو مفروض، وبالجملة كلّ ما فيه صلاح، ويُسمّى إلهاماً.

٣) ونفسانيّ، وهو ما فيه حظٌّ للنّفس ويُسمَّى هاجساً.

٤) وشيطانيّ، وهو ما يدعو إلى مخالفة الحقّ؛ قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ..﴾ البقرة:٢٦٨. وقال النّبيّ صلّى الله عليه وآله: «**لَمَّةُ الشَّيْطانِ تَكْذيبٌ بِالحَقِّ وَإيعادٌ بِالشَّرِّ**»، ويُسمّى وسواساً.

ويعيّر [الخاطر] بميزان الشّرع، فما فيه قُربة فهو من الأوّلَين، وما فيه كراهة، أو مخالفة شرعاً فهو من الآخرَين.

ويشتبَه في المباحات، فما هو أقرب إلى مخالفة النّفس فهو من الأوّلَين، وما هو أقرب إلى الهوى وموافقة النّفس فهو من الآخرَين.

والصّادقُ الصّافي القلب، الحاضر مع الحقّ سهلٌ عليه الفرقُ بينها بتيسير الله وتوفيقه، كذا قيل.

معنى الظّنّ

والظّنّ يُراد به:

١) الاعتقادُ الرّاجح.

٢) وقد يراد به اليقين، كقوله تعالى: ﴿..يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ..﴾ البقرة:٤٦، وقوله تعالى: ﴿..فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ..﴾ الأنبياء:٨٧، كما ذكر المحقّق العلّامة شيخنا بهاء الدّين العامليّ، رحمه الله، في الحديث السّابع عشر من كتابه (الأربعين): «فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ..﴾ الأنبياء:٨٧، فقال الرّضا عليه السّلام: **ذَلِكَ يونُسُ بْنُ مَتّى عَلَيْهِ السَّلامُ، ذَهَبَ مُغاضِباً لِقَوْمِهِ فَظَنَّ - بِمَعْنى اسْتَيْقَنَ - أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ، أَنْ لَنْ نُضَيِّقَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ..**» الحديث.

وقد يقال إنّه [أي الظّنّ] من الأضداد، فيُطلَق على الرّاجح والمرجوح، وعلى الثّاني حُمل قوله تعالى: ﴿..إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا..﴾ الجاثية:٣٢، ﴿..وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ النّجم:٢٨، و﴿..إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ..﴾ الحجرات:١٢.

أقول: المراد بالظّنّ هنا العلم والإدراك المطلَق من باب عموم المجاز، أو عموم الاشتراك، أو تسمية العامّ باسم الخاصّ. وإنّما عُبِّر عنه بالظّنّ لوجهَين:

أحدهما: التّأسّي بالحديث القدسيّ، قال تعالى:«**أَنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدي بِي**»، ولذا قيل: فليُحسِن العبدُ ظنّه بربّه.

وثانيهما: أنّ العلوم من حيث هي مضافة إلينا، ينبغي أن تُسمَّى بالظّنون لشباهتها بها، لا سيّما ما يتعلّق منها بالمبدأ؛ فإنّ العقل وإن أمكنه اكتناهُ الأشياء، إلّا أنّه لا يمكنه اكتناهُ واجب الوجود، وإنّما هي إيقانات، بل حقّ اليقين بما هي مضافة إلى الله المُلقي.

وفي التّعبير بالظّنّ عن الظّان، الذي هو العقل، إشارةٌ إلى اتّحاد العاقل بالمعقول على ما هو مذهب بعض المحقّقين، وليست الإضافة من قبيل جرد قطيفة وأخلاق ثياب، لا سيّما على نسخة «**خَطَرات الظّنون**»، ولا بيانيّة، بل لاميّة وفقاً لقوله: «**ملاحَظة العُيون**».

واتّحاد العاقل والمعقول معناه الصّحيح الحقيق بالتّصديق أمران:

المعقول كالظهور والإشراق

أحدهما: أنّ المعقول بالذّات لا بالعرَض ظهورٌ وإشراقٌ من العاقل بلا تَجافٍ لذاته من مقامه، وظهورُه وإشراقُه المعنويّ لا يُباينه: ﴿**وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا**﴾ نوح:١٤. فكلّ معقولٍ شأنٌ من شؤون العاقل، وللعاقل في كلّ شأنٍ من شؤونه شأن، ولذاته شأنٌ ليس للشّؤون فيه شأن، فالمعقولات مفاهيمها مجالِي إشراق النّفس، ووجودها فيضُ النّفس المنبسط على كلٍّ بحسبه، كما أنّ وجود المفاهيم والمهيّات الإمكانيّة في الخارج إشراقُ الله وفيض الله المنبسط على كلٍّ بحسبه: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**..﴾ النور:٣٥.

وثانيهما: أنّ العاقل في مقامه الشّامخ جامعٌ لوجود كلّ معقول بالذّات بنَحوٍ أعلى وأبسط، فهو مقامُ رتقِها وهي مقامُ فَتْقِه، وهو مقام إجمالها وهي مقام تفصيله... وهو كالعقل البسيط، وهي كالعقول التّفصيليّة.

ثمّ إنّ قرب الحقّ تعالى من الخواطر الرّبّانيّة واضح، فإنّها خطاباتُه وكلماته مع قلوب أرباب القلوب وكلام المتكلّم، ولا سيّما الكلمات التّامّات المجرّدات مأخوذة لا بشرط لا يباينه.

وأمّا قربه من الخواطر الأخرى، سيّما الملَكيّة، فلأنّ وجود تلك الخواطر مضافٌ إلى الله تعالى بالوجوب، فإنّ نسبة الشّيء إلى فاعله بالوجوب وإلى قابله بالإمكان. وأيضاً نسبة حقيقة الوجود إلى الوجود الصّرف بالحقيقة، وإلى المهيّة بالمجاز، وأيضاً إليه أوّلاً وبالذّات، وإليها ثانياً وبالعرَض.

الخاطر هو ما يرِد على القلب من أقسام الخطاب الأربعة: الربانّي، والملَكيّ، والنفسانيّ، والشيطانيّ، فما فيه قُربة فمن الأوّلَين، وما فيه كراهة أو مخالفة شرعاً فمن الآخرَين.

يراد بالظّنّ الاعتقادُ الرّاجح، وقد يراد به اليقين، وقد يقال إنّه من الأضداد، فيُطلَق على الرّاجح والمرجوح.

لطائف التّمييز بين الوَحدة والكَثرة

قال أمير المؤمنين عليٌّ عليه السّلام: «**ما رَأَيْتُ شَيْئاً إلّا ورَأَيْتُ اللهَ قَبْلَهُ..**»، وهذا القرب ليس قربَ شيءٍ من شيء، وإنّما هو قربُ شيء بحقيقة الشّيئيّة من فَيئ من حيث هو فَيئ؛ ثمّ إنّ كون الوجود بشراشره حتّى وجود الشّيطان والشّيطانيّ، ووجود النّفس اللّوّامة والأمّارة، والنّفسانيّ، من الله تبارك وتعالى، إذ إلهُ الكلّ واحد، والقول بالثّنويّة، والقول بالأقانيم الثّلاثة، والقول بالتّخميس من بعض الأقدمين كلّها باطل: ﴿..ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ يوسف:٣٩، لا ينافي كون بعض الخواطر من الشّيطان ومن النّفس وتَسميتها وساوس وهواجس، لأنّ مهيّتها وحدودها ونقايصها منهما، إذ السِّنخِيّة بين العلّة والمعلول معتبرَة؛ فالوجود معلولُ الوجود، والعدم معلولُ العدم، والمهيّة معلولٌ كَلازم المهيّة من حيث هي، فالطّيّباتُ للطّيّبين والخبيثاتُ للخَبيثين، والحكمُ للعنصر الغالب.

العَدَم بين الكلّيّ والجزئيّ

فلاجتلاب العَدَم في النّظام الكلّيّ والنّظام الجزئيّ إلى هذه الآثار، واستهلاك الوجود فيها بحيث إنّها تكاد تلتحق بالأعدام أو بالمهيّات المطلقة الغير المعتبر فيها الوجود، لا يليق إلّا بالانتساب إلى المبادى المحدودة السّرابيّة، ولا يستشعرُ ذلك الغافل المحجوب والمشرك بالجهة الوجوديّة النّورانيّة التي من الله تعالى فيها، حتّى لا يُسمّى وسواساً أو هاجساً، والشّرافة والخسّة والتّفاضل بسبب الاستشعار وعدمه.

فالخير بيديه [تعالى]، ولو كان وجوداً مستهلكاً في النّاقصات والسّيّئات. والشّرّ ليس إليه، ولو كان الحدود والتّعيّنات في الكاملات والحسنات، فله الحمد. ومن يجد خيراً في نفسه فليَحمد الله، ومن يجد شرّاً فلا يلومنَّ إلّا نفسه. وفي الدّعاء: «**إلَيْهِ يَرْجِعُ عَواقِبُ الثَّناءِ**».

وفي الكتاب الإلهيّ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ..﴾ النّساء:٧٩.

وفي الحديث القدسيّ: «**يا ابْنَ آدَمَ! أَنا أَوْلى بِحَسَناتِكَ مِنْكَ وَأَنْتَ أَوْلى بِسَيِّئاتِكَ مِنّي**».

وليُعمّم الخير والحسَنة حتّى يشملا الجهة النّورانيّة والوجهَ الوجوديّ في كلّ شيءٍ، فإنّهما من الله، كما قال تعالى: ﴿..قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ..﴾ النّساء:٧٨.

وليعمّم الشّرّ والسّيّئة حتّى يشملا الجهة الظّلمانيّة والوجه العدميّ وشيئيّة المهيّة، فإنّها من النّفس والشّيطان.

العاقل في مقامه الشّامخ جامعٌ لوجود كلّ معقول بالذّات بنَحوٍ أعلى وأبسط، وهو مقام إجمالها وهي مقامُ تفصيلِه.

الظّنّ يُراد به الاعتقادُ الرّاجح، وقد يراد به اليقين، وقد يقال إنّه من الأضداد، فيُطلَق على الرّاجح والمرجوح.

أمُّ المؤمنينَ أمُّ سَلَمَة الشّاهدة والشّهيدة

أوّل مدافع عن الزهراء عليها السلام

ماتت كمداً بعد قتل الحسين عليه السلام

سليمان بيضون

هي أفضل زوجات النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعد أمّ المؤمنين خديجة رضوان الله عليهما، وقد شهد لها رسول الله صلّى الله عليه وآله بحُسن العاقبة.

كانت أمّ سلمة مجاهدةً بالكلمة والموقف، منذ الانقلاب على الأعقاب مروراً بفتَن النّاكثين والقاسطين والمارقين. وقد روت الأحاديث الولائيّة، وشهدت على نزول آية التّطهير وجُلّ مناقب العترة الطّاهرة. وأجمع الرّواة والمحدّثون الثّقات على أنّها كانت مستودعاً لأسرار الإمامة، ومنها حفظُها تربةَ سيّد الشّهداء عليه السلام قبل استشهاده. هنا نبذة من سيرتها الشّريفة، مقتبسة من عدّة مصادر.

هند بنتُ أبي أُميّة، حُذَيفةَ بنِ المُغيرة، من قريش، من أشرف نساء العرب نسَباً، وأكرمهنّ أصلاً، وأبعدهنّ نظراً، وأحزمهنّ رأياً، وذات حلمٍ ورأي وأنَاة، تزوّجها عبدُ الله بن عبد الأسد، من بني مخزوم، وأمّه بَرّة بنتُ عبد المطّلب، فهو ابن عمّة النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم. وأنجبَت له من الذّكور: سَلَمة وعُمَر، وقيل: عَمرو. ومن الإناث: دُرّة، وزينب.

كانت أمّ سلَمة وزوجُها من أوائل المُلّبين لدّعوة النبي صلّى الله عليه وآله في مكّة، فتعرّضا مع سائر المسلمين في تلك المرحلة إلى الإيذاء الشّديد من قبل عُتاة القرشيّين، وكانا ممّن هاجر إلى الحبشة فراراً بدينهما، ثمّ عادا بعد مدّة إلى مكّة مُستجيرَين بأبي طالب رضوان الله تعالى عليه، إلى أن كانت الهجرة إلى المدينة، فكانت أمّ سلَمة وزوجها من السّابقين لها، فخرجا من مكّة، إلّا أنّ رجالاً من قومها منعوها من الخروج، وأخذ قوم زوجها منها ولدها، وذلك في قصّة ترويها هي كما يَنقل ابن هشام في (السيرة النبوية)، فتقول:

«لمّا أجمع أبو سَلَمة الخروج إلى المدينة، رحّل بعيراً له وحَمَلني وحَمَل معي ابني سَلَمة، ثمّ خرج يقود بعيرَه، فلمّا رآه رجالٌ مِن بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسُك غَلَبْتَنا عليها، أرأيتَ

الحرم النّبوي الشريف

صاحبتَنا هذه علامَ نُترك تسير بها في البلاد؟ ونَزَعوا خِطام البعير من يده وأخذوني. وغَضِبَتْ عند ذلك بنو عبد الأسد وأهوَوا إلى سلَمة، وقالوا: لا واللهِ، لا نترك ابنَنا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا. فتجاذبوا ابني سلَمة حتّى خَلَعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد رَهطُ أبي سلَمة، وحَبَسني بنو المغيرة عندهم، وانطلق زوجي أبو سلَمة حتّى لحق بالمدينة، ففُرِّق بيني وبين زوجي وبين ابني».

تستمرّ أمّ سلمة في بيان محنتها، فتقول:

«فكنتُ أخرُج كلَّ غداةٍ فأجلس بالأبطَح، فما أزال أبكي حتّى أُمسي، سنةً أو قريبَها.. حتّى مرّ بي رجلٌ من بني عمّي من بني المغيرة، فرأى ما بي فرحمَني، فقال لبَني المغيرة: ألا تُخرجون

هذه المسكينة ؟! فَرَّقتُم بينها وبين زوجها وبين ابنها. فقالوا لي: الحَقي بزوجِك إنْ شئتِ. وردّ عليّ بنو عبد الأسد عند ذلك ابني، فرَحّلْتُ بعيري ووَضَعتُ ابني في حِجْري، ثمّ خَرَجتُ أُريد زوجي بالمدينة..».

زواجُها من رسول الله صلّى الله عليه وآله

جاء في (الطّبقات الكبرى) لابن سعد: «قالت أمّ سلمة لأبي سلَمة: بَلَغَني أنّه ليس امرأةٌ يموت زوجها وهو من أهل الجنّة، ثمّ لم تتزوّج بعده، إلاّ جمَعَ اللهُ بينهما في الجنّة، وكذا إذا ماتتِ امرأةٌ وبقيَ الرجل بعدَها، فتعالَ أعاهدْكَ ألّا تتزوّج بعدي ولا أتزوّج بعدك. قال: أتُطيعيني؟

قلت: ما استأمرتُك إلّا وأنا أريد أن أطيعَك. قال: فإذا مِتُّ فتزوّجي. ثمّ قال: أللّهمّ ارزُق أمّ سلَمة بعدي رجلاً خيراً منّي

جانب من مقبرة البقيع

لا يُحزنها ولا يؤذيها. فلمّا مات أبو سلَمة، قلت: مَن هذا الفتى الذي هو خيرٌ لي من أبي سلَمة؟..».

وكان أبو سلَمة من مجاهدي طليعة جيشِ الإسلام في المدينة، فأصابه سهمٌ ترك له جرحاً بليغاً، فلبث مدّة ثمّ قضى شهيداً.

ولمّا انقَضَت عِدّة أمّ سلمة أرسل إليها أبو بكرٍ يخطبها فأبَتْ، ثمّ أرسل إليها عمر يخطبها فأبَت، ثمّ أرسل إليها رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يخطبها، فقالت: مرحباً برسول الله صلّى الله عليه وآله. وكان ذلك في شوّال سنة ٤ للهجرة النبويّة المباركة.

في البيت النبويّ

احتلّت أمّ سلمة مكانة مرموقة في بيت النّبي صلّى الله عليه وآله، استحقّتها بخصائصها الإيمانية، وعقلها الوافر، فكانت محور كثير من الوقائع التي جرت في هذا البيت المبارك، وهذه عائشة بنت أبي بكر تشهد لها بذاك المقام، وقد جاءت تدعوها للخروج للطّلب بدم عثمان فتقول لها: «.. أنت أوّل مهاجرة من أزواج النّبي صلّى الله عليه وآله، وأنت كبيرةُ أمّهات المؤمنين، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقسم لنا من بيتك، وكان جبرئيلُ أكثر ما يكون في منزلك».

كما عرفت أمّ سلَمة مقام أمّ المؤمنين السيدة خديجة رضوان الله تعالى عليها، ففي وقت كانت زوجات أُخَر يتذمّرن من ذكر رسول الله الدائم لها، حيث كان صلّى الله عليه وآله يردّد: «**وَأَيْنَ مثلُ خَديجَة؟ صَدَّقَتْنِي حِينَ كَذَّبَنِي النّاسُ، ووازَرَتْنِي عَلَى دِيْنِ اللهِ، وَأَعَانَتْنِي عَلَيْهِ بِمَالِهَا**..»، تقول له أمّ سلمة: «فديناك بآبائنا وأمّهاتنا، إنّك لم تذكر من خديجة أمراً إلّا وقد كانت كذلك، غير أنّها قد مضت إلى ربّها فهنّأها الله بذلك، وجمع بيننا وبينها في جنّته».

راوية للحديث

تصدّر اسمُ أمِّ سلَمة معاجم الحديث تروي عن رسول الله، صلّى الله عليه وآله، وهي التي عاشت في بيتِه وشهدت كثيراً من أحواله، وسمعت من كلامه صلّى الله عليه وآله في شؤون مختلفة، وهذه منقبة كبيرة من مناقبها، رضوان الله تعالى عليها.

قال ابن حَجَر في (التّهذيب): «رَوَت أمّ سلَمة عن النبيّ، صلّى الله عليه وآله، وعن أبي سلَمة بن عبد الأسد، وفاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله. وعنها روى: ابناها عمر وزينب، ومُكاتِبُها بَنهان، وأخوها عامر بن أبي أُميّة ..»، وعدّ ابن حجر نحواً من ثلاثين راوياً عنها.

وقال الذهبيّ في (الأعلام): «يبلغ مُسند أمّ سلمة ٣٧٨ حديثاً».

وكانت رواياتها من عيون الأحاديث النبوية، التي ركّزت على أُسُس الإسلام ودعائمه، ومؤكّداتِ وصايا النّبيّ صلّى الله عليه وآله، ومن ذلك:

- ذكر الحاكم النيسابوريّ عن أبي ثابت مولى أبي ذرّ، أنّ أمّ سلَمة قالت له: «سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول: **عَلِيٌّ مَعَ**

القُرْآنِ، وَالقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ.. لَنْ يَفْتَرِقا حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوْضَ».

- وروى الشّيخ الطّوسيّ عن أبي ثابت، قال: «سمعتُ أمَّ سلَمة رضيَ الله عنها تقول: سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله في مرَضه الذي قُبِض فيه يقول - وقد امتلأتِ الحجرة من أصحابه: **أَيُّها النّاسُ، يُوشِكُ أَنْ أُقْبَضَ قَبْضاً سَريعاً فَيُنْطَلَقَ بي، وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمُ القَوْلَ مَعْذِرَةً إِلَيْكُمْ، أَلا وَإِنّي مُخَلِّفٌ فيكُمْ: كِتابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعِتْرَتي أَهْلَ بَيْتي.** ثمّ أخذ بيَد عليٍّ عليه السّلام فرفعَها وقال: **هَذا عَلِيٌّ مَعَ القُرْآنِ، وَالقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، خَليفَتانِ بَصيرانِ، لا يَفْتَرِقانِ حَتّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوْضَ فَأَسْأَلُهُما: ماذا خُلِّفْتُ فيهِما؟!».**

- وروى الشّيخ الطّوسيّ أيضاً عنها أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال - وهو آخِذٌ بكفّ عليٍّ عليه السّلام: «**الحَقُّ بَعْدي مَعَ عَلِيٍّ، يَدورُ مَعَهُ حَيْثُ دارَ**».

- وروى الشّيخ الصّدوق بسنده عنها أنّها قالت: «سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول: **عَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ وَالأَئِمَّةُ مِنْ وُلْدِهِ سادَةُ أَهْلِ الأَرْضِ، وَقادَةُ الغُرِّ المُحَجَّلينَ يَوْمَ القِيامَةِ**».

والعشرات من الرّوايات على هذا النَّسَق الشريف.

أمّ سلَمة وحديث الكساء

أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطّبراني، وابن مَردَويه عن أمّ سلَمة رضيَ الله عنها: «أنّ رسول الله، صلّى الله عليه وآله، كان في بيتها عليه كِساءٌ خَيبريٌّ، فجاءت فاطمة عليها السّلام، فقال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله: **ادْعِي زَوْجَكِ وَابْنَيْكِ حَسَناً وحُسَيناً.** فدَعَتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على رسول الله صلّى الله عليه وآله: ﴿... إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهِبَ عنكمُ الرجسَ أهلَ البيتِ ويُطهِّرَكم تطهيراً﴾ الأحزاب:٣٣. فأخذ النبيّ صلّى الله عليه وآله بفضل إزاره فغَشّاهم، ثمّ أخرج يده من الكساء، وأومأ بها إلى السّماء، ثمّ قال: **اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتي وَخاصَّتي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهيراً** ـ قالها ثلاث مرّات. قالت أم سلَمة: يا رسولَ الله، وأنا معكم؟ قال صلّى الله عليه وآله: **أَنْتِ إِلى خَيْرٍ، أَنْتِ إِلى خَيْرٍ**».

شهادةُ الإمام الحسين عليه السّلام

روى الطّبرانيّ، وابن عساكر، والهيثميّ أنّ أمّ سلَمة رضوان الله عليها قالت: «كان الحسن والحسين يلعبان بين يدَيِ النبيِّ صلّى الله عليه وآله في بيتي، فنزل جبرئيل عليه السّلام فقال: **يا مُحمّد، إنّ أُمّتَك تَقتلُ ابنَك هذا مِن بَعْدِكَ** - وأومأ جبرئيل بيده إلى الحسين - فبكى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله، ووضَعه على صدره، [وكان بيَدِه تُربَة فجعلَ يشمُّها وهو يقول: **وَيْحَ كَرْبٍ وَبَلاء**، وناولَها أمّ سلَمة] ثمّ قال: **وَديعَةٌ عِنْدَكِ هَذِهِ التُّرْبَةُ.** قالت: وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: **يا أُمَّ سَلَمَةَ، إِذا تَحَوَّلَتْ هَذِهِ التُّرْبَةُ دَماً، فَاعْلَمي أَنَّ ابْني قَدْ قُتِلَ**».

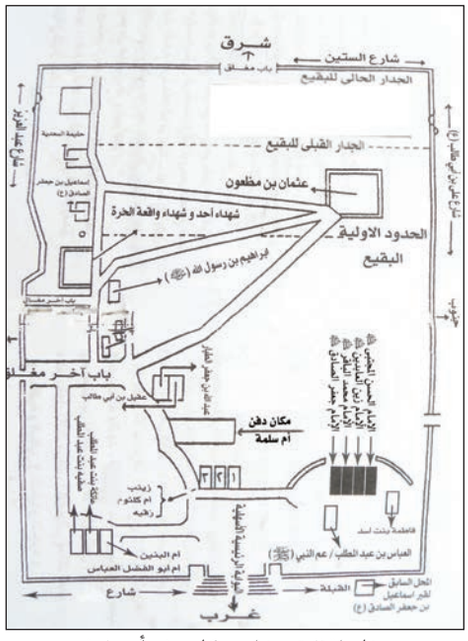

خارطة للبقيع تظهر مكان دفن أم سلمة

قال الراوي: فجعَلَتْها أُمُّ سلمة في قارورة، ثمّ جعلَتْ تنظر إليها كلَّ يوم وتقول: «إنّ يوماً تُحوَّلين دماً، لَيَوْمٌ عَظِيم»!

وقال الذهبيّ: «السّيّدة المُحجّبة الطاهرة، هند بنت أبي أُميّة بن المغيرة، من المهاجرات الأُوَل، وكانت آخِرَ مَن مات مِن أُمّهات المؤمنين، عُمِّرت حتّى بلَغَها مقتلُ الحسين الشّهيد، فوجمتْ لذلك وغُشِيَ عليها وحَزَنت عليه كثيراً، فلم تَلْبثْ بعده إلّا يسيراً، وانتقلت إلى الله».

الإخلاص للصّدّيقة الكبرى عليها السّلام

عاشت أمّ سلَمة أحداثَ صدر الإسلام بوعيٍ وبصيرة، وشهدتْ ما كان بعدَ رسول الله صلّى الله عليه وآله، وصدعتْ بكلمة

الحقّ في وقتٍ سكتَ عنه الكثيرون، فقد روى الطبري الإمامي في (الدلائل) موقفاً لها تخاطب فيه أبا بكر بعد أن منع السيّدة الزّهراء، عليها السّلام، ميراثها من أبيها صلّى الله عليه وآله في فدك، تقول له: «ألِمِثْلِ فاطمةَ يُقال هذا؟! وهيَ – واللهِ – الحوراءُ بين الإنس، والآنَسُ للنّفس، تَرَبَّت في حُجور الأنبياء، وتناوَلَتْها أيدي الملائكة، ونَمَتْ في المَغارس الطّاهرات، ونَشأتْ خيرَ مَنشأ، ورُبِّيتْ خيرَ مَرْبى. أتزعُمونَ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله حَرَّم عليها ميراثَه ولم يُعْلِمْها؟! وقد قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء:٢١٤، فأنذرَها، وجاءت تطلبُه وهي خيرةُ النّسوان، وأمّ سادة الشبّان، وعديلةُ ابنة عِمران، وحليلة ليث الأقران، تمّتْ بأبيها رسالاتُ ربّه، فوَاللهِ لقد كان يُشفق عليها من الحَرّ والقَرّ، فيُوسِّدُها بيمينه ويدُثِّرها بشماله. رُوَيداً! فرسولُ اللهِ صلّى الله عليه وآله بمَرأى لأعينكم، وعلى الله تَردون، فواهاً لكم! وسوف تعلمون».

من مواقفها في الفِتن

– عن ثابت مولى أبي ذر، قال: «كنت مع عليّ بن أبي طالب عليه السّلام يومَ الجمَل، فلمّا رأيتُ عائشة دخلَني بعضُ ما يدخل النّاس [أي من الشكّ في مشروعيّة قتالها] فكشفَ الله عنّي ذلك عند صلاة الظّهر، فقاتلتُ مع أمير المؤمنين عليه السّلام. فلمّا فرغ ذهبتُ إلى المدينة فأَتيتُ أمّ سلَمة، فقلت: إنّي والله ما جئتُ أسألُ طعاماً ولا شراباً، ولكنّي مولًى لأبي ذر. فقالت: مرحباً.

فقصصتُ عليها قصّتي. فقالت: أين كنتَ حين طارت القلوبُ مطائرها؟ قلت: إلى حيث كشفَ اللهُ ذلك عنّي عند زوالِ الشّمس.

قالت: أحسنت. سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول: **عَلِيٌّ مَعَ القُرآنِ وَالقُرآنُ مَعَ عَلِيّ، لَنْ يتفرّقا حتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوض**».

– وبعد شهادة أمير المؤمنين عليه السّلام، واتّساق الدنيا لمعاوية، أخذ الانحرافُ يتّسع بشكلٍ خطير، فقد عيّن معاويةُ المُغيرةَ بن شُعبة والياً على الكوفة، وأوصاه قائلاً له: «قد أرَدتُ إيصاءَك بأشياء كثيرة، فأنا تاركُها اعتماداً على بصرك، ولستُ تاركاً إيصاءَك بخصلةٍ واحدة: لا تَترُكْ شتمَ عَلِيٍّ وذمَّه، والتّرحُّمَ على عثمان والاستغفار له، والعيبَ لأصحاب عليٍّ والإقصاءَ لهم، والإطراءَ لشيعة عثمان والإدناءَ لهم».

وتتصدّى أمُّ سَلَمة الغيورة على إمامها لهذا الهتك لحرمة الله تعالى فتكتب إلى معاوية: «إنّكم تَلعَنونَ اللهَ ورسولَه على منابركم؛ وذلك أنّكم تلعنون عليَّ بن أبي طالب ومَن أحَبّه، وأنا أشهد أنّ اللهَ أحبَّه ورسولَه».

– وروى الحاكم النيسابوريّ: «قال أبو عبدالله الجدليّ: حَجَجتُ وأنا غلام، فمَرَرتُ بالمدينة وإذا الناس عُنقٌ واحد، فاتّبعتُهم، فدخلوا على أمّ سلَمة، فسمعتُها تقول: يا شبيب بن رِبعيّ.. يُسَبّ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في ناديكم؟! قال: وأنّى ذلك؟! قالت: فعليُّ بن أبي طالب؟ قال: إنّا لَنقولُ أشياءَ نريد عَرَض الدّنيا. قالت: فإنّي سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول: **مَن سَبَّ عليّاً فقد سَبَّني، ومَن سَبَّني فقد سَبَّ اللهَ تَعَالى**».

– وروى ابن عساكر في (تاريخ دمشق) أنّ زيد بن أرقم قال: «دخلتُ على أمّ سلَمة فقالت: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة. قالت: أنت من الذين يُسَبُّ فيهم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله؟ قلت: لا واللهِ يا أمّ المؤمنين، ما سمعتُ أحداً فينا يَسبُّ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله. قالت: بلى واللهِ! إنّهم يقولون: فعلَ اللهُ بِعَلِيّ، وصنعَ به وبمَن يحبُّه، وقد كان واللهِ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يحبُّه، وكان أحبَّ النّاسِ إليه».

وفاتها

روى الحاكم النيسابوري أنّ أمّ سلَمة أوصتْ أن يصلّي عليها سعيد بن زيد، خشيةَ أن يصلّي عليها مروانُ بن الحكم.

وتقدّم قول الذّهبيّ أنّ أمّ سلمة عُمِّرت حتّى بلَغَها خبر شهادة الإمام الحسين عليه السلام، فوجمتْ لذلك وغُشِيَ عليها وحَزَنت عليه كثيراً، فلم تَلْبثْ بعده إلاّ يسيراً حتى توفّيت. لذا فإنّ وفاتها كانت عام ٦١ أو ٦٢ للهجرة عن عمرٍ ناهز الرابعة والثمانين من الأعوام أمضَتها هجرةً وجهاداً ونصرةً للحقّ وأهله، فدُفنت بالبقيع بالمدينة المنوّرة رضوان الله تعالى عليها.

الحوار في القرآن
مبدأ الرّحمة في الاختلاف

الشّيخ عارف هنديجاني فرد*

من الحقائق الكبرى في عالم التّكوين، هو ما أرشدتْ إليه الكُتب المقدّسة، وعبّرتْ عنه في مجال الخلق والإبداع، حيث التّنوّع والتّعدّد والاختلاف في كلّ ما خلقه الله تعالى، سواء في عالم النّبات، أو في عالم الحيوان، أو في عالم الإنسان؛ فالله تعالى شاء أن تكون الموجودات والكائنات على ما هي عليه من الصّنعة والإبداع والتّنوّع والاختلاف، ولو شاء الله تعالى لجعل النّاس أُمّةً واحدة، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً..﴾ هود:١١٨، فالكلّ منه، والكلّ إليه يرجع، وهذا ما عبّرت عنه الوثيقة التي أصدرها المجمع الفاتيكانيّ عام ١٩٦٥م، والتي أشارت إلى «أنّ البشر هم أُسرةٌ واحدة أصلها الله الواحد وغايتها الله الواحد نفسه، فهم جميعاً من أصلٍ واحد... ولهم جميعاً غاية قصوى واحدة وهي الله تعالى..».

فالتّنوّع في عالَم الوجود هو من الحقائق الثّابتة، وكلّ موجود على هذه الأرض ينطق بهذه الحقيقة ويُعبّر عنها ويتعايش معها، وهذا ما كشفت عنه تعاليم الأنبياء والرّسل، بدءاً من النّبيّ آدم، عليه السّلام، وانتهاءً بالرّسول محمّد ﷺ، الذي جاء بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ..﴾ الحجرات:١٣.

إنّ مقاربةً للحوار في مجال هذه الحقيقة الوجوديّة، لا بدّ أن تُؤسّس لرؤية كاشفة في مجال التّفاعل والتّحاور والتّعارف بين البشر إلى أيّ دينٍ انتموا، وفي أيّ زمان كانوا، فهم من أصلٍ مادّيٍّ واحد، ومن روحٍ واحدة، أُسكنوا هذه الأرض لتكون لهم غاية واحدة هي الله تعالى، وقد بُعث الأنبياء والرّسل للنّاس ليرشدوهم إلى حقائق هذا الكون، بحيث ينطلقوا منها ويعملوا وفاقاً لها بعد إثارة دفائن عقولهم، وأداء التّبليغ إليهم...

فالنّبوّة في كلّ زمانٍ ومكانٍ كانت تضطلع بهذه المهمّة، وتقوم بهذا الدّور لتحقّق للإنسان ما يكفيه لإنارة طريقه وإرشاده إلى سُبُل كماله. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّه لم تأتِ رسالة، ولم يُبعث رسول في حياة البشريّة، إلّا لتأكيد هذه الحقيقة وتظهيرها ليعرف الإنسان أن تعدّده وتنوّعه واختلافه إنّما هو شرط أساسيّ في نهوض البشريّة، وفي تحقيق كمالاتها الإنسانيّة.

وانطلاقاً من ذلك، نرى أنّه لا بدّ للحوار من أن ينطلق من حقيقة التّنوّع والاختلاف في عالم الإنسان، وهو اختلاف مبرّر ومشروع في ضوء ما تنطق به حقائق التّكوين والتّشريع، ولعلّ من أكثر الأسئلة إلحاحاً عند الباحثين. كان السّؤال التّالي: هل هذا التّنوّع في باب الاعتقادات، هل ينسجم مع طبيعة الخلق الإنسانيّ؟ هل ينسجم مع أهداف الخلق وغاياته، أم أنّه لا ينسجم مع هذه الأهداف وهذه الغايات؟

والحقّ هو أنّنا إذا قارنّا هذه الظّاهرة في تنوّع البشر الاعتقاديّ، وتعدّد البشر الاعتقاديّ، مع ظاهرة التّنوّع والتّعدّد الشّاملة لكلّ مظاهر الخلق المادّيّ في جميع الأكوان، فينبغي أن نراها ظاهرةً طبيعيّةً تنسجم مع أهداف الخلق، وأهداف الوجود في هذا العالم.. إنّ فلسفة التّعدّديّة، هي الابتلاء، والامتحان، والتّكامل، وقد بيّنا أنّ التّكامل معلولٌ للاستباق، كما قال الله تعالى: ﴿..فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ..﴾ البقرة:١٤٨، والهدف الأقصى هو الله تعالى.

* باحث وعالم دين - قمّ المقدّسة

وصيّة الإمام أبي الحسن الكاظم عليه السلام
أعلمُ الناس بأَمر الله، أحسنهم عقلاً

إعداد: «شعائر»

من ذخائر علوم الوحي الإلهيّ وصيّةُ الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر الكاظم عليه السّلام لهشام بن الحكم الكنديّ (ت: ١٩٩ للهجرة)، وهو من من كبار متكلّمي الإماميّة.

وردت هذه الوصيّة في كتاب (تُحَف العقول عن آل الرّسول صلّى الله عليه وآله) للشّيخ الحسن بن عليّ بن شعبة الحرّانيّ، (القرن الرابع) تحت عنوان: (وصيّته عليه السلام لهشام وصفتُه للعقل)، وفي (كتاب العقل والجهل) من (أصول الكافي) ، للشّيخ محمّد بن يعقوب الكلينيّ (ت: ٣٢٩ للهجرة).

ما يلي فقرات من هذه الوصيّة الجليلة المرصّعة بمكارم الأخلاق عن رواية (تحَف العقول).

عن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالَى بَشَّرَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ فِي كِتابِهِ فَقالَ ﴿..فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الزمر:١٧-١٨.

* يا هِشامَ بْنَ الْحَكَمِ! إنَّ اللهَ، عَزَّ وَجَلَّ، أَكْمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ، وَأَفْضَى إِلَيْهِمْ بِالْبَيانِ، وَدَلَّهُمْ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالْأَدِلَّاءِ، فَقالَ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ البقرة:١٦٣، ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البقرة:١٦٤.

* يا هِشامُ! قَدْ جَعَلَ اللهُ، عَزَّ وَجَلَّ، ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ بِأَنَّ لَهُمْ مُدَبِّراً، فَقالَ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ النّحل:١٢، وَقالَ: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزّخرف:١-٣. "..."

* يا هِشامُ! ثُمَّ وَعَظَ أَهْلَ الْعَقْلِ وَرَغَّبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، فَقالَ: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الأنعام:٣٢، وَقالَ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ القصص:٦٠. "..."

دليلُ العاقل

* يا هِشامُ! لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلٌ وَدَلِيلُ الْعاقِلِ التَّفَكُّرُ، وَدَلِيلُ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ؛ وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ، وَمَطِيَّةُ الْعاقِلِ التَّواضُعُ، وَكَفى بِكَ جَهْلًا أَنْ تَرْكَبَ ما نُهِيتَ عَنْهُ. "..."

* يا هِشامُ! لَوْ كانَ فِي يَدِكَ جَوْزَةٌ وَقالَ النَّاسُ فِي يَدِكَ لُؤْلُؤَةٌ، ما كانَ يَنْفَعُكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّها جَوْزَةٌ، وَلَوْ كانَ فِي يَدِكَ لُؤْلُؤَةٌ وَقالَ النَّاسُ إِنَّها جَوْزَةٌ، ما ضَرَّكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّها لُؤْلُؤَةٌ.

* يا هِشامُ! ما بَعَثَ اللهُ أَنْبِياءَهُ وَرُسُلَهُ إِلَى عِبادِهِ إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللهِ، فَأَحْسَنُهُمْ اسْتِجابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً لِلهِ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلًا، وَأَعْقَلُهُمْ أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ.

* يا هِشامُ! ما مِنْ عَبْدٍ إِلَّا وَمَلَكٌ آخِذٌ بِناصِيَتِهِ؛ فَلا يَتَواضَعُ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ وَلا يَتَعاظَمُ إِلَّا وَضَعَهُ اللهُ.

* يا هِشامُ! إِنَّ لِلهِ عَلَى النّاسِ حُجَّتَيْنِ، حُجَّةً ظاهِرَةً وَحُجَّةً باطِنَةً، فَأَمَّا الظّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِياءُ وَالْأَئِمَّةُ، وَأَمَّا الْباطِنَةُ فَالْعُقُولُ.

* يا هِشامُ! إِنَّ الْعاقِلَ الَّذِي لا يَشْغَلُ الْحَلالُ شُكْرَهُ، وَلا يَغْلِبُ الْحَرامُ صَبْرَهُ.

هكذا يُهدَم العقل

* يَا هِشَامُ! مَنْ سَلَّطَ ثَلَاثاً عَلَى ثَلَاثٍ فَكَأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ؛ مَنْ أَظْلَمَ نُورَ فِكْرِهِ بِطُولِ أَمَلِهِ، وَمَحَا طَرَائِفَ حِكْمَتِهِ بِفُضُولِ كَلَامِهِ، وَأَطْفَأَ نُورَ عِبْرَتِهِ بِشَهَوَاتِ نَفْسِهِ، فَكَأَنَّمَا أَعَانَ هَوَاهُ عَلَى هَدْمِ عَقْلِهِ، وَمَنْ هَدَمَ عَقْلَهُ أَفْسَدَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ.

* يَا هِشَامُ! كَيْفَ يَزْكُو عِنْدَ اللهِ عَمَلُكَ وَأَنْتَ قَدْ شَغَلْتَ عَقْلَكَ عَنْ أَمْرِ رَبِّكَ، وَأَطَعْتَ هَوَاكَ عَلَى غَلَبَةِ عَقْلِكَ. "..."

* يَا هِشَامُ! نُصِبَ الْخَلْقُ لِطَاعَةِ اللهِ، وَلَا نَجَاةَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ، وَالطَّاعَةُ بِالْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالتَّعَلُّمُ بِالْعَقْلِ يُعْتَقَدُ، وَلَا عِلْمَ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ، وَمَعْرِفَةُ الْعَالِمِ بِالْعَقْلِ.

* يَا هِشَامُ! قَلِيلُ الْعَمَلِ مِنَ الْعَاقِلِ مَقْبُولٌ مُضَاعَفٌ، وَكَثِيرُ الْعَمَلِ مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَالْجَهْلِ مَرْدُودٌ.

* يَا هِشَامُ! إِنَّ الْعَاقِلَ رَضِيَ بِالدُّونِ مِنَ الدُّنْيَا مَعَ الْحِكْمَةِ، وَلَمْ يَرْضَ بِالدُّونِ مِنَ الْحِكْمَةِ مَعَ الدُّنْيَا، فَلِذَلِكَ رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ.

* يَا هِشَامُ! إِنْ كَانَ يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ، فَأَدْنَى مَا فِي الدُّنْيَا يَكْفِيكَ، وَإِنْ كَانَ لَا يُغْنِيكَ مَا يَكْفِيكَ، فَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يُغْنِيكَ.

* يَا هِشَامُ! إِنَّ الْعُقَلَاءَ تَرَكُوا فُضُولَ الدُّنْيَا فَكَيْفَ الذُّنُوبُ، وَتَرْكُ الدُّنْيَا مِنَ الْفَضْلِ، وَتَرْكُ الذُّنُوبِ مِنَ الْفَرْضِ. "..."

* يَا هِشَامُ! إِنَّ اللهَ، جَلَّ وَعَزَّ، حَكَى عَنْ قَوْمٍ صَالِحِينَ أَنَّهُمْ قَالُوا ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ آل عمران:٨، حِينَ عَلِمُوا أَنَّ الْقُلُوبَ تَزِيغُ وَتَعُودُ إِلَى عَمَاهَا وَرَدَاهَا [الرَّدى: الهلاك]. إِنَّهُ لَمْ يَخَفِ اللهَ مَنْ لَمْ يَعْقِلْ عَنِ اللهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ عَنِ اللهِ لَمْ يُعْقَدْ قَلْبُهُ عَلَى مَعْرِفَةٍ ثَابِتَةٍ يُبْصِرُهَا وَيَجِدُ حَقِيقَتَهَا فِي قَلْبِهِ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ كَذَلِكَ إِلَّا مَنْ كَانَ قَوْلُهُ لِفِعْلِهِ مُصَدِّقاً وَسِرُّهُ لِعَلَانِيَتِهِ مُوَافِقاً، لِأَنَّ اللهَ لَمْ يَدُلَّ عَلَى الْبَاطِنِ الْخَفِيِّ مِنَ الْعَقْلِ إِلَّا بِظَاهِرٍ مِنْهُ وَنَاطِقٍ عَنْهُ.

خصالُ العاقل

* يَا هِشَامُ! كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، عليه السّلام يَقُولُ: مَا مِنْ شَيْءٍ عُبِدَ اللهُ بِهِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ، وَمَا تَمَّ عَقْلُ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ خِصَالٌ شَتَّى:

١- الْكُفْرُ وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونَانِ. ٢- وَالرُّشْدُ وَالْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولَانِ. ٣- وَفَضْلُ مَالِهِ مَبْذُولٌ.

٤- وَفَضْلُ قَوْلِهِ مَكْفُوفٌ. ٥- نَصِيبُهُ مِنَ الدُّنْيَا الْقُوتُ. ٦- وَلَا يَشْبَعُ مِنَ الْعِلْمِ دَهْرَهُ.

٧- الذُّلُّ أَحَبُّ إِلَيْهِ، مَعَ اللهِ، مِنَ الْعِزِّ مَعَ غَيْرِهِ. ٨- وَالتَّوَاضُعُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرَفِ. [التكبّر]

٩- يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْمَعْرُوفِ مِنْ نَفْسِهِ. ١٠- وَيَرَى النَّاسَ كُلَّهُمْ خَيْراً مِنْهُ، وَأَنَّهُ شَرُّهُمْ فِي نَفْسِهِ، وَهُوَ تَمَامُ الْأَمْرِ. "..."

لَمْ يَدُلَّ اللهُ تعالى عَلَى الْبَاطِنِ الْخَفِيِّ مِنَ الْعَقْلِ، إِلَّا بِظَاهِرٍ مِنْهُ وَنَاطِقٍ عَنْهُ.

دَلِيلُ الْعَاقِلِ التَّفَكُّرُ، وَدَلِيلُ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ.

أمين عام حزب الله وقائد الإنتصارات، في الخطاب المنعطف

سماحة السيّد نصرالله: العالَم.. ساحة مقاومة

شكّلت خطبة سماحة الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله في ذكرى شهداء القنيطرة فاتحة لزمن كامل جديد في تاريخ المنطقة.

مثل هذه القراءة لم تقتصر فقط على البيئة الثقافية والسياسية المؤيدة للمقاومة، وإنما شملت أيضاً الخصوم والأعداء على اختلاف مواقعهم.

الجانب الجوهري في الخطبة هو البُعد الاستراتيجي المتمثّل بسعي حلف المقاومة إلى إجراء تغييرات نوعية في منظومة الصراع مع العدو، وتبديل قواعد الاشتباك التي تحكم قوانين المواجهة مع الحلف المعادي وفي مقدّمه الكيان الصهيوني.

لقد كانت العملية البطولية للمقاومة في مزارع شبعا النموذج الأوّلي الذي يفتح على الزمن الجديد، ثم تلاها الهجوم الاستراتيجي في منطقة الجنوب السوري لتحريره من المجموعات التكفيرية المتحالفة مع جيش الاحتلال الصهيوني، واسقاط أهدافها بإقامة الحزام الأمني على حدود الجولان مع فلسطين المحتلّة.

وعلى أيّ حال، فإنّ الإنجازات التي تتحقّق إنّما تشكّل الترجمة العملية للوعد الصادق المتجدّد الذي أعلنه سيّد المقاومة بما يتعدّى جنوب لبنان، ليصل إلى كلّ ساحات المواجهة مع العدوّ.

ولا شكّ بأنّ مشهد المواجهة اليوم، إنّما يدخل في سياق المسار الانتصاري للمقاومة، وذلك عبر ثلاثة أطوار متلازمة:

الطور الأول: إحداثُ مثلٍ نموذجي على مستوى الوطن، قوامه: إمكان تحقيق إنتصارات على عدو كان الى لحظة وقوعه في هزيمتين متتاليتين (اندحار عام ٢٠٠٠ وحرب تموز ٢٠٠٦) يُنظر اليه من كثيرين من أبناء المنطقة ونُخبها بوصف كونه عدواً لا يُغلب.

الطور الثاني: وهو متواصل مع الأول، ويقوم على إحداث تحوُّل على مساحة القارة العربية الإسلامية كان أدنى إلى ما يشبه «جيولوجيا معنوية». مؤدّى هذا التحوّل تبدُّل في القناعات، وانقلاب في المفاهيم، وثورة على هزائم فكرية وأيديولوجية ونفسية كانت منحت الدولة اليهودية الغاصبة في فلسطين على مدى نصف قرن، وضعاً أسطورياً من الغلبة والاقتدار.

اللقاء التاريخي لجميع فصائل المقاومة الفلسطينية للتبريك للمقاومة الإسلامية بعملية «مزارع شبعا» والدعوة إلى «جبهة مقاومة شاملة».

الطور الثالث: إحداث تحول في البنية الفكرية والثقافية والتربوية والأخلاقية على مدار مساحة العالم الإسلامي والعالم. عنوان هذا التحول حضورية الغيب في الفكر والسياسة والحرب، وبالتالي صيرورتُه قوة معنوية وروحية.

وأما حصائد الشهادة في وجدان الآخذين بفضيلتها فواضحة: الشهادة الواعية المدركة، الموصول صاحبُها بالله وصلاً لا تباين فيه، فإنها بهذه الصفات حياة محض فلا يتخللها موت. الشهادة بهذا النعت وتلك الكيفية، هي السلاح المطلق الذي حين يحل في ميدان المواجهة تهتز معه القواعد التقليدية للإستراتيجيا والتكتيك، وتختل حسابات القوى، ويصير يُرى إلى موازين الحرب وإتجاهاتها المحتملة، لا على أسس ومقاييس معلومة في علم الحروب، وإنما على تقدير المجهول.

لقد احرزت المقاومة عبر الشهادة معرفة سر القوة لديها، لكن محطَّ الأسرار، او ما نسمية في الفلسفة السياسية بـ «منطقة السر الإستراتيجي» في عمل المقاومة، إنما تتجلى بإرادة الجهاد المستمدة من تأييد الحق تعالى وتسديده. ثم ليسري في حقول المواجهة محفوظاً بعالم الغيب، ومؤيداً بقضائه وقدره. فإذا رمى المجاهدون في ميادين المرابطة فتكون رَمْيَة الرماة حالئذٍ حضوراً للغيب في موازين الحرب. فتكون الحصيلة نصراً مفعولاً بالله.

تغيير قواعد الاشتباك
خيارُ العقلاء الشّجعان

د. أمين حطيط*

في اللحظة التي أعلن فيها السيّد حسن نصر الله قرار المقاومة المتعلّق بقواعد الاشتباك مع العدو «الإسرائيلي»، خُلطت الأوراق واضطُرّ كلّ معنيٍّ أو ذو علاقة ما بالصراع مع العدو، للبحث في تداعيات القرار ونتائجه، فضلاً عن أهمّية اتّخاذه في هذه الفترة بالذات.

وقبل البحث في المسائل تلك، نرى من الفائدة بمكان التذكير بأنّ القرار1701 الصادر عن الأمم المتّحدة إثر الحرب «الإسرائيليّة» على لبنان في عام 2006م، كان مرجعاً لفئتَين من قواعد الاشتباك:

الأولى: قواعد الاشتباك أو السلوك الميداني لقوات «اليونيفيل» ذاتها.

والثانية: قواعد الاشتباك الناظمة لتصرّف القوى المتحاربة التي خاضت الحرب، وجاء القرار١٧٠١ ليوقف الأعمال القتالية التي كانت قائمة في سياقها.

أمّا بالنسبة للفئة الثانية، فنذكر أنّ قواعد الاشتباك أو قواعد السلوك الميداني تُعتمد لتكون ناظمة لتصرّف قوى خاضت مواجهة عسكرية لم تنتهِ إلى تدمير أحد الطرفَين أو استسلامه، كما أنّها لم تُفضِ إلى حلٍّ سلميٍّ للصراع، ما يعني اضطرار المتحاربين للبقاء في الميدان محتفظين بسلاحهم، دونما اللّجوء إليه في عملٍ عدائيٍّ ضدّ الآخر حتّى لا تندلع الحرب مجدّداً. أمّا إذا غامر أحدهما بعملٍ هجوميّ، فيكون للآخر أن يبادر إلى ممارسة حقّ الدفاع المشروع عن النفس ضمن الضوابط القانونيّة.

في الممارسة، ظهر جلياً أنّ «إسرائيل» لم تحترم القرار ١٧٠١، ولم تتقيّد بقواعد الاشتباك المبنيّة عليه. لكنّ الأخطر في اعتداءات «إسرائيل» وتجاوزها لقواعد الاشتباك برمّتها، هو ممارستها لعمليّات الاغتيال ضد المقاومة من كلّ مستويات المسؤوليات والاختصاص للمستهدفين، فضلاً عن أعمال التجسّس البشري أو التقني أو المركّب، كما واستهداف مصالح المقاومة في لبنان وخارجه. مارستْ كلّ ذلك معتقدة بأنّ المقاومة لن تجرؤ على الردّ لسببَين:

١) سبب ذاتي عائد لوضعها بعد أن دخلتْ في الحرب الدفاعيّة عن محور المقاومة في سورية، ما شغَلها وأضعفها بحسب الظنّ «الإسرائيلي».

٢) سبب داخلي لبناني تثق «إسرائيل» عبرَه بقوّة ضغط أطراف سياسية لبنانية لمنع المقاومة من الردّ خشية «أن يتضرّر لبنان بردّ فعلٍ إسرائيلي تدميري عنيف».

حيال هذا المشهد، وجدت المقاومة نفسها أمام خيارَين لا ثالث لهما:

الأوّل: تخطّي قواعد الاشتباك التي تقيّدها ومعاملة «إسرائيل» بالمثل.

الثاني: الاستمرار وحدها بالتقيّد بقواعد الاشتباك والبقاء مع الأيدي المكتوفة أمام جرائم «إسرائيل».

أمام هذين الخيارَين كان منطقياً أن تختار المقاومة خيار «العقلاء الشجعان»، ولهذا اتّجهت إلى اعتماد السلوك الناجع من أجل ردع «إسرائيل» عن جرائمها، وحماية لبنان وشعبه وجيشه ومقاومته من اعتداءاتها. ولم يكن في هذا الخيار تجاوزٌ للقواعد القانونية المكرّسة في القانون الدولي، لا بل إنّنا نرى فيه تطبيقاً وممارسة لحقّ الدفاع المشروع عن النفس.

لقد أدّى هذا القرار الجريء والذكي والعاقل، وفور اتّخاذه، إلى إحداث زلزال لدى «إسرائيل» وحُماتها، ولم تكن مسارعة أميركا إلى تبرئة «إسرائيل» من المسؤولية المركزية أو القيادية في اغتيال الشهيد عماد مغنية إلّا نتيجة مباشرة لتداعيات هذا القرار، من دون أن يكون هذا الأمر نهاية المطاف، حيث سنشهد الكثير من السلوكيات التي ستشكّل في مجموعها منظومة رادعة لـ«إسرائيل» عن الإجرام بحقّ لبنان، وتكون المقاومة في قرارها قد ضربت «ضربة معلّم» لا بدّ من الإقرار لها بفعاليّتها في اتّجاهات ثلاثة، حيث أنّها حمت المقاومة وأقامت فوق قيادتها وكوادرها ومجاهديها مظلّة أمان فاعلة، وأثّرت في حرب الاستنزاف الخلفيّة التي تستهدفها ومحورها، ووسّعت نطاق تطبيق معادلة الردع بعد تثبيتها.

* عميد متقاعد وباحث في الفكر الاستراتيجي، والموضوع مختصر من مقالته الأصليّة.

قواعد الاشتباك

جوزف الهاشم*

وَلَربَّما انْتَفَعَ الفتى بعدوِّهِ والسُّمُّ أحياناً يكونُ شفَاءَ

بيتٌ من الشّعر، هو ما سمعناه بلغة النّثر في الاحتفال الخطابي الذي يصف فيه سيّد المقاومة عمليّة شهداء القنيطرة بأنّها عمليّة «جميلة»، بالرّغم من عُمق ما بلغت من أسىً على الصعيد العاطفي.

وبصرف النّظر عن الخصائص الاستشهاديّة في «الذّات الشيعيّة الدينيّة»، فلا أظنّ أنّ الناحية «الجماليّة» التي عناها السّيّد حسن نصر الله في عمليّة القنيطرة، تقتصر على عمليّة الردّ الظافر عليها من مزارع شبعا، بقدر ما يصحّ أن تنبثق منها أبعادٌ جمالية أخرى، أقلّها:

١- تجميل قواعد الاشتباك على الصّعيد اللّبناني.

٢- تحقيق خطى متقدّمة في مجال الحوار السنّي - الشّيعي.

٣- تعزيز وحدة الموقف الوطني والإسلامي والعربي في مواجهة الجماعات التكفيريّة التي وصفها السيّد عن حقّ، بأنّها «الحليف الطّبيعي لإسرائيل».

هذا يعني أنّ السّيد، بما يمتلك من شكيمة الأقوياء، وحِبْر العلماء، مؤهّلٌ هو دون غيره لتفعيل هذه «الجماليّات» بوحيٍ من الخطّ الرّساليّ الذي طيّبه أهلُ البيت عليهم السّلام بالتّضحيات الجلائل، وبما يعنيه الشّعار [حديث أمير المؤمنين عليه السلام]: «...**لأُسْلِمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ**».

أنا أعرف أنّ التاريخ الأمويّ يُعيد نفسه مع هذا المولود الذي اسمه «دولة إسلاميّة في العراق والشام» بما يحمل ذلك التاريخ من انحرافات دينيّة لم تتهيّب تشويه المعنى القرآنيّ وتزوير الحديث النّبويّ.

وهذا يعني أنّ الرسالة بكلّ حيثيّاتها الرّوحيّة والإنسانيّة باتت... تجنح نحو... التشويه، وتُستغلّ ضحيّة (مزْجها) العنيف بأغراض سلطة تكفيريّة جائرة.

إنَّ ذلك الالتباس الإسلاميّ الخلافيّ، الذي يخبو في ثنايا التاريخ، يظلّ مادّة ملتهبة تفجّرها الأيدي الخارجيّة في صغائر العقول وأهواء النّفوس، ولم تُفلح الدّعوات الهاديات التي أطلقها روّاد الإصلاح في العصر الحديث، فضاعت صرخة جمال الدين الأفغاني، ومحمّد عبده... في متاهات التّخلّف والتعصّب والجهل، «وظلّ الإسلام محجوباً بالمسلمين»... «وبالصّراع الذي تغذّيه دول الاستعمار بين السّنّة والشّيعة».

أنا لا أخشى القول: إنَّ هذا الواقع الشّديد الخطورة، يكاد يشبه ذلك السياق التاريخي الذي تدرّج متضخّماً في مرحلة ما قبل كربلاء، ولكنّني أخشى أن يصل معي الاستنتاج الى قيام عاشوراء جديدة لتصحيح المسار الدّيني.

ولكن، ماذا لو أنَّ السّيد الذي هو اليوم في طليعة الوجوه الإسلاميّة العربيّة وأقواها تفوّقاً، قد تمكّن من ترويض قرون الفتنة وتطبيع قواعد الاشتباك، أَفَلا يَعِدُنا هذا بانتصارٍ إلهيٍّ في لبنان؟ يكون به وحده الانتصار التّاريخي للعرب والمسلمين؟

* وزير لبناني سابق.

دوائر ثقافية

موقف	تلاوة الرّأس الشّريف آيات من القرآن	الشّيخ الصّدوق قدس سره
فرائد	مهالك سوء الظنّ بالآخرين	إعداد: «شعائر»
قراءة في كتاب	«موت الغرب»	تقديم: محمود إبراهيم
بصائر	أوّل الدّين معرفته	السيّد محمّد تقي النّقوي رحمه الله
بصائر	فضلٌ في العفو، وعدلٌ في العقاب	السّيّد عبد الله شبّر رحمه الله
مصطلحات	نفي الصّفات	الشّيخ محمّد جواد مغنيّة رحمه الله
مفكّرة	حكم ولغة / تاريخ وبلدان/ خصال	إعداد: جمال برو
إصدارات	عربية. أجنبية. دوريات	إعداد: ياسر حمادة

تلاوةُ الرأس الشريف آيات من القرآن الكريم
مُنكِرُ كرامات المعصوم، سيُنكِر أحكام الدين

الشّيخ الصّدوق قدس سره

هذا الموقف مقتطف من مقدّمة كتاب (الهداية) للشّيخ الصّدوق قدّس سرّه، وقد جاء في سياق عرض نماذج من منهجه وقوّة استدلاله في المناظرة. وفيه يستدلّ الصدوق قدّس سرّه على صحّة رواية تلاوة الرّأس الشّريف للإمام الحسين عليه السّلام آيات من سورة الكهف، بل يُقرّر أنّ منكرَها ونظائرها «قادرٌ على إنكار الشّرائع، ومعاجز الرّسول صلّى الله عليه وآله، وجميع أمور الدِّين والدّنيا، لأنّ هذه قد وصلت إلينا بمثل هذه الأسانيد والطّرق، وثبت صحّة ما فيها».

ورد في كتاب (مجالس المؤمنين) للسيد نور الله التستري (الشهيد سنة ١٠١٩ للهجرة) ما أجاب به الشّيخ الصّدوق رحمه الله، بشأن قراءة رأس الإمام الحسين عليه السلام سورة الكهف وهو على الرّمح. قال:

«وفي غد ذلك اليوم [اليوم الذّي جرت فيه مناظرة في مجلس ركن الدولة ابن بويه الديلمي، وهي مناظرة طويلة فيها مسائل اعتقاديّة دقيقة، تكشف عن عمق إحاطة الشّيخ الصّدوق رحمه الله، الله بآيات الكتاب والأحاديث والتّاريخ وسائر العلوم الإسلاميّة، وحسن أسلوبه في الاحتجاج] جلس ركن الدّولة على كرسيّ السّلطنة، وذكرَ الشّيخ وبالغ في الثّناء عليه.

فقال أحد الحاضرين: «إنّ الشّيخ يقول إنّ رأس الإمام الحسين عليه السلام لمّا رُفع على الرّمح، كان يتلو سورة الكهف».

فقال الملك: «ما سمعتُ هذا منه، وسأبعث إليه وأسأله»، فكتب إلى الشّيخ في ذلك.

ولمّا قرأ الشّيخ السّؤال، أجاب:

«رووا هذا الخبر عمّن سمع رأس الحسين عليه السّلام يتلو آياتٍ من سورة الكهف، ولم يصِلنا ذلك عن أحدٍ من الأئمّة عليهم السّلام، **لكنّي لا أُنكرُه بل أراه حقّاً**، فإذا جاز في يوم القيامة لأيدي المجرمين وأَرْجُلِهم أن تتكلّم، وهو ما ورد في القرآن: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ يس:٦٥، فيصحّ أن ينطق رأسُ الحسين ويلهج لسانه بالقرآن، وهو خليفةُ الله، وإمام المسلمين، وسيِّد شباب أهل الجنّة، وجدُّه محمّدٌ المصطفى، وأبوه عليٌّ المرتضى، وأمّه فاطمةُ الزّهراء، بل إنكارُه إنكارٌ لقدرةِ الله وفضلِ صاحب الرّسالة.

والعجَب لِمَن يُنكر صدور مثل هذا عمَّن بكَته الملائكة ومطرت السّماءُ دماً لأجله، وناحَ عليه أهلُ الجِنان.

فمَن أنكرَ أمثالَ هذه الأخبار على صحّتها وقوّة سندِها، فهو قادرٌ على إنكار الشّرائع، ومعاجز الرّسول صلى الله عليه وآله، وجميعِ أمور الدِّين والدّنيا، لأنّ هذه قد وصلت إلينا بمثل هذه الأسانيد والطُّرُق، وثبت صحّةُ ما فيها».

فرائد

مهالكُ سوء الظّنّ بالآخرين

«إنّ جميع الأحلام التي نراها في النّوم هي تمثّلات الملَكات والخيالات التي استقرّت في النّفس، وإنّ أكثر ما نراه في منامنا من الحيوانات الوحشيّة هو بسبب سوء ظنّنا بالآخرين، فإذا أزال الشّخص سوء الظّنّ من ذهنه، فسوف تقلّ كوابيسُه، ولن يرى ما يُقلقه بعد ذلك، وحينها سيكون كثيراً ما يرى الحقائق على صورة منامات جميلة، فيصير نومه عبارة عن مصيدة للاصطياد، ويذهب بنومه إلى اقتناص الحقائق والمعارف، ويرى الإمام المعصوم عليه السلام، ويأخذ الشّفاء لعشَرات المرضى، ويحلّ مشاكل مئات الأشخاص. ولكنْ – للأسف – فإنّ من كثرة ما مُلئت أذهاننا من سوء الظّنّ، فإذا مرض شخصٌ، لا يستطيع الأشخاص الّذين اجتمعوا من حوله أن يجدوا له العلاج».

(شرح مراتب الطّهارة، الشيخ داود صمدي الآملي)

معنى «جنّة النّعيم»

قال العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله في معنى «جنّة النّعيم»:

«المُراد من جنّة النَّعِيم الّتي ورد ذكرها في القرآن ".." جنّة الولاية التي هي مقامُ المُخلَصين والمُقرّبين من أولياء الله، والواصلين إلى مقام التّوحيد الذّاتيّ، والفانين في العوالم الرّبوبيّة وصفات الجمال والجلال الإلهيّة؛ هي جنّة أولئك الّذين أودعوا كلّ شوائب وجودهم في وادي النّسيان، وأسلموا كلّ وجودهم للحقّ».

(الشّمس السّاطعة، الطّهرانيّ)

لأنوارِهَا الأملاكُ كان سجودُها

«.. ولله درّ الشّيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ عليه الرّحمة، إذ يقول:

فَفي مَهْدِهِ الأمـلاكُ لاذَتْ وَقَبْرُهُ ... مُلُوكُ الورى تَعنو لَدَيْهِ وَصِيدُها

تُعَفِّرُ في أبْوَابِـهِ جَبَهَاتِها ... وَتَلْثمُهُ أفواهُها وخدودُها

مِنَ الْخَمْسَةِ الـلاَّئي لِجَبْهَـةِ آدَمَ ... لأنْوارِهَا الأمْلاكُ كانَ سُـجودُها

أبو التِّسْـعَةِ الغُرِّ الّذينَ وُجُودُهُمْ ... أَضاءَتْ بِهِ الدّنيا وَقامَ وُجودُها»

(المجالس العاشورائيّة، الشّيخ عبد الله آل درويش)

على كلّ مسلمٍ أن يُحاسب نفسَه

قال الإمام الصّادق عليه السّلام: «يا ابْنَ جُنْدَبٍ، حَقٌّ عَلى كُلِّ مُسْلِمٍ يَعْرِفُنا، أَنْ يَعْرِضَ عَمَلَهُ في كُلِّ يَوْمٍ وليلةٍ عَلى نَفْسِهِ فَيَكونَ مُحاسِبَ نَفْسِهِ، فَإِنْ رَأَى حَسَنَةً اسْتَزادَ مِنْها، وَإِنْ رَأى سَيِّئَةً اسْتَغْفَرَ مِنْها لِئَلَّا يُخْزَى يَوْمَ القِيامَةِ. طوبى لِعَبْدٍ لَمْ يَغْبِطِ الخاطِئينَ على ما أُوتوا مِنْ نَعيمِ الدُّنْيا وَزَهْرَتِها. طُوبى لِعَبْدٍ طَلَبَ الآخِرَةَ وَسَعى لَها. طوبى لِمَنْ لَمْ تُلْهِهِ الأَماني الكاذِبَةُ».

ثمّ قال عليه السّلام: رَحِمَ اللهُ قَوْماً كانوا سِراجاً وَمَناراً، كانوا دُعاةً إِلَيْنا بِأَعْمالِهِمْ وَمَجْهودِ طاقَتِهِمْ، لَيْسَ كَمَنْ يُذيعُ أَسْرارَنا».

(تحَف العقول، ابن شعبة الحَرّانيّ)

(موت الغرب) لباتريك بوكانن

المآل الحتمي لحضارة بلا روح*

تقديم: محمود إبراهيم

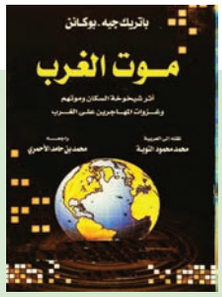

الكتاب: موت الغرب

المؤلف: باتريك جيه. بوكانن

ترجمة: محمّد محمود التوبة

الناشر: «مكتبة العبيكان»، بيروت ٢٠١٤م

منذ ستينيّات القرن الماضي، انطلق سيلٌ من الكتابات المستقبليّة تحدّث فيها المفكّرون والاستراتيجيّون في أوروبا عن زمنٍ مظلم سوف تواجهه الحضارة الغربيّة في ختام القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين. كان ذلك قبل سقوط الاتّحاد السوفياتي قبل نحو عقد من الزّمن. غير أنّ الأمر لا يتوقّف على الانهيارات السّياسيّة التي تتعرّض لها الدّول والمؤسّسات، بل هي تطاول عمق التّشكيل المجتمعيّ الّذي يعيش أزماته العميقة على كلّ المستويات.

ربّما كان الكتاب الّذي صدر مؤخراً تحت عنوان «موت الغرب» للكاتب الأميركي المعروف باتريك بوكانن، هو أحد أبرز حلقات السّلسلة التي تحلّل مستقبل الغرب على قاعدة الانحدار نحو موته المحتوم. وسيتبيّن لنا من خلال قراءة هذا الكتاب كيف توغّل الكاتب إلى عمق البناء الاجتماعيّ في دول الغرب بجناحيها (الأوروبي والأنكلوساكسوني)، ليلاحظ الأسباب الحقيقيّة لذلك التّوقّع المثير للجدل.

هنا استعراض لمحتوى الكتاب:

في هذا الكتاب، ينبّه باتريك بوكانن إلى أن الموت الذي يلوح في أفق الغرب هو في الواقع مَوتان:

١) موت أخلاقي، بفعل الثورة الثقافية التي قلَبتْ القيَم التربوية والأُسَرية والأخلاقية التقليدية.

٢) موت ديموغرافي – بيولوجي يظهر بوضوح على شاشات الكمبيوتر وفي السجّلات الحكومية التي تشير كلّ يوم إلى اضمحلال القوى البشرية في الغرب، وإصابة ما تبقى منها بشيخوخة لا شفاء منها إلا باستقدام المزيد من المهاجرين الشبان، أو بالقيام بثورة ثقافية مضادة تعيد القيَم الدينية والأخلاقية إلى المكان الذي شغلته خلال سنوات النموّ والازدهار.

والموتُ المقبل مريعٌ بشكلٍ خاصّ، لأنه وباءٌ من صنع أيدي الغربيين أنفسهم، ما يجعله أسوأ بكثير من الوباء الأسود الذي قتل ثلث سكان أوروبا في القرن الرابع عشر. فالوباء الجديد لا يقتل إلا الشباب، ما يحول الغرب عموماً وأوروبا بشكل خاصّ إلى قارة للعجائز.

والقصة ليست مجرّد تخمينات أو وجهات نظر، إنّما هي حقيقة واقعة تصدم لفرط وضوحها خاصة عندما تبدأ الأرقام بالحديث. فوفقاً للإحصاءات الحديثة، هبط معدل الولادة إلى ١,٤ طفل، علماً أن الحاجة تدعو إلى معدل ٢,١ طفل لمجرد تعويض وفيّات السكان الموجودين الآن، من دون الحديث عن زيادة عددهم.

وإذا بقيت معدلات الولادة الحالية على ما هي عليه فإنّ سكّان أوروبا البالغ عددهم ٧٢٨ مليون نسمة، بحسب إحصاء عام ٢٠٠٠، سيتقلصون إلى ٥٦٦ مليوناً عام ٢٠٥٠، ثم إلى ٢٠٧ ملايين في نهاية هذا القرن.

في المقابل، وفي الوقت الذي تموت فيه أوروبا، يشهد العالم الثالث انفجاراً سكانياً لم يسبق له مثيل، بمعدل ٨٠ مليوناً كلّ عام، ومع حلول عام ٢٠٥٠ سيبلغ مجمل نموّه السكاني أربعة مليارات إضافية من البشر.

* نقلًا عن مواقع الكترونية – بتصرّف

وهكذا يصبح كابوس الغرب حقيقة وتصبح أوروبا بكل بساطة مِلكاً للعالم الثالث بعد وقتٍ ليس بالبعيد. وبالنسبة للمؤلّف، فإنّ الأرقام تصبح مخيفة أكثر عند تناولها لتشخيص مرض النقص السكّاني على مستوى الدول والأمم بعد ٥٠ عاماً من الآن.

ففي ألمانيا سيهبط التعداد السكاني من ٨٢ مليونا إلى ٥٩ مليون نسمة، وسيشكّل عدد المسنّين ممّن تجاوزوا الـ ٦٥ عاماً أكثر من ثلث السكان، أمّا إيطاليا فستشهد تقلّص عدد سكّانها البالغ ٥٧ مليوناً إلى ٤١ مليوناً فقط، مع نسبة مسنّين تصل إلى ٤٠ في المائة من التّعداد العام للسكّان، وفي إسبانيا ستكون نسبة الهبوط أكثر من ٢٥ في المائة، وستشهد روسيا تناقص قواها البشرية من ١٤٧ مليوناً إلى ١١٤ مليون نسمة، ولا تتخلّف اليابان كثيراً في اللّحاق بمسيرة الموت السكّاني؛ فقد هبط معدل المواليد اليوم إلى النصف مقارنة بعام ١٩٥٠، وينتظر اليابانيون تناقص أعدادهم من ١٢٧ مليون نسمة إلى ١٠٤ ملايين عام ٢٠٥٠.

لكن لماذا توقّفت أمم أوروبا وشعوبها عن الإنجاب، وبدأت تتقبّل فكرة اختفائها عن هذه الأرض بمثل هذه اللامبالاة؟

الموت الأخلاقي يمهّد للفناء البيولوجي

يرى المؤلّف أنّ الجواب يكمن في النتائج المميتة لانتصار «الثورة الثقافيّة» في الغرب، وأنّ الموت الأخلاقي الذي جرّته هذه الثورة على الغربيّين هو الذي صنع موتهم البيولوجي، فانهيار القيمة الأساسية الأولى في المجتمع وهي الأُسرة، وانحسار الأعراف الأخلاقية الدينية التي كانت فيما مضى تشكّل سدّاً في وجه منع الحمل والإجهاض والعلاقات خارج إطار المؤسّسة الزوجية، إضافة إلى تبرير، لا بل تشجيع الفاحشة، كلّ هذا يدمّر بشكل تدريجي الخليّة المركزية للمجتمع وأساس استمراره؛ وهي الأُسرة.

وتبدو لغة الأرقام هنا أكثر هولاً، فقد ارتفع الرقم السنوي لعمليات الإجهاض في الولايات المتحدة، من ستة آلاف حالة سنوياً عام ١٩٦٦ إلى ٦٠٠ ألف عام ١٩٧٣ وهو العام الذي سُمح فيه بالإجهاض، واعتبرت عملية قتل الأجنّة حقّاً للمرأة يحميه الدستور! وبعد عشر سنوات وصل الرقم إلى مليون و٥٠٠ ألف حالة إجهاض في العام الواحد. أما نسبة الأطفال غير الشرعيّين فهي تبلغ اليوم ٢٥ في المائة من العدد الإجمالي للأطفال الأمريكيين، ويعيش ثلث أطفال أمريكا في منازل دون أحد الأبوَين، من ناحية ثانية بلغ عدد حالات الانتحار بين المراهقين الأمريكيين ثلاثة أضعاف ما كانت عليه عام ١٩٦٠، أما عدد مُدمني المخدّرات فهو لا يقلّ عن ستة ملايين شخص في الولايات المتحدة وحدها.

لقد تناقصت إلى حدٍّ كبير أعداد الشبّان والشابّات الراغبين في الزواج، في مجتمع متفلّت من أبسط الضوابط الأخلاقيّة، لا بل الضوابط التي تفرضها الطبيعة البشريّة السَّويّة. وهكذا تبدو صورة الغرب، اليوم، في أحلك أزمِنَتها، وهو ما يقرّره كبار الخبراء، ويعمل على التّنبيه من عواقبه مفكّرون ورجال الدّين وعدد من الحكومات، قبل فوات الأوان.

الموت الأخلاقي الناجم عن «الثورة الثقافية» في الغرب، أفضى إلى انهيار مفهوم الأُسرة، ما يمهّد لتناقص مريع في تعداد سكّانه، وتحويله إلى دار للعجائز.

«أوّلُ الدّينِ معرفتُه»

المعرفة الواجبة على جميع النّاس

السيد محمّد تقي الحسيني النّقوي رحمه الله

«أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُه، وكَمَالُ مَعْرِفَتِه التَّصْدِيقُ بِه، وكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِه تَوْحِيدُه، وكَمَالُ تَوْحِيدِه الإِخْلَاصُ لَه، وكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَه نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْه..»، كلامٌ لأمير المؤمنين عليه السّلام سائرٌ على الألسُن، وردَ في بداية الخطبة الأولى من (نهج البلاغة)، يذكر فيها ابتداءَ خلق السّماوات والأرض على ما عرفّها الشّريف الرّضيّ جامع (النّهج).

النّصّ الآتي إضاءة على العبارة الأولى من المقطع المشار إليه، اختصرناه عن كتاب (مفتاح السّعادة في شرح نهج البلاغة)، وهو في ٧ مجلّدات لمؤلّفه المعاصر السّيّد محمّد تقي الحسيني النّقوي.

إنّما خُصّت المعرفة بأوّل الدّين لأنّه لولا المعرفة لم يكن دينٌ حقيقة؛ إذ الدّين هو الالتزام بالأحكام الشّرعيّة والنّواميس الإلهيّة، ممتثلاً لأوامره تعالى، فإذا لم يعرف اللهَ، كيف يلتزم بدينه؟ مضافاً إلى أنّ الغاية القصوى من إيجاد الخلق المعرفة، كما أشار اليه سبحانه في كتابه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذّاريات:٥٦، أي ليَعرِفُون.

وإنّما قلنا: «أي ليَعرفون»، لإجماع المفسّرين على ذلك؛ كيف لا وهو أمرٌ يحكم به العقل وصريحُ الوجدان.

وحيث انجرّ الكلام إلى المعرفة والبحث عنها، فلا بأس بالإشارة إلى كيفيّتها، ولنقدّم فيه رواية وردت عن المعصوم عليه السّلام، ثمّ نعقّب عليها بما يليق في المقام، فنقول:

«..عن الفتح بن يزيد، عن أبي الحسن [الكاظم] عليه السلام، قال: سألتُه عن أدنى المعرفة، فقال: **الإِقْرَارُ بِأَنَّه لَا إِلَه غَيْرُه، ولَا شِبْهَ لَه ولَا نَظِيرَ، وأَنَّه قَدِيمٌ مُثْبَتٌ مَوْجُودٌ غَيْرُ فَقِيدٍ، وأَنَّه لَيْسَ كَمِثْلِه شَيْءٌ**».

قال صدر الدّين الشّيرازيّ قدّس سرّه، في شرحه على أصول (الكافي)، عند شرح هذا الحديث: «... وقد أشرنا إلى أنّ للإيمان مراتب، والّذي كُلِّف به من العقائد جميعُ المكلّفين؛ قويّهم وضعيفهم - وعليه يتوقّف صحّةُ أعمالهم: كصَومهم، وصلاتهم، وزكاتهم... وبدونه لا ينتفعون بالطّاعات، ولا يُثابون بترك السّيّئات، ولا يقع لهم النّجاة من العذاب يوم الجزاء والحساب - هو أنْ يعتقدوا أنّ لهم إلهاً واحداً لا شريكَ له في مُلكه، وأنّه دائمٌ لا يزول، وأنّه قادرٌ على كلّ شيء، فعّالٌ لما يريد، عالِمٌ بالجُزئيّات، فيَسمع ويرى، ويُجيب الدّعوات ويقضي الحاجات، وأنّه أرفعُ وأجلّ من كلّ شيءٍ، فليسَ كمثله شيء، وهو السّميعُ البصير. فهذه عقائدُ يجب على كلّ بالغٍ عاقل أن يعتقدَها، إذ لا يصعبُ على أحدٍ منهم دَرْكُها ولا حاجةَ إلى تقرير الأدلّة الكلاميّة، بل الغرائزُ مجبولةٌ على الإذعان بها والقبول عند إلقاء المُلقي إيّاها عليهم وتلقينِهم بها، لولا بِدَعُ المبتدعين ووساوسُ المُضلّين، فيَقعُ الاحتياج عند ذلك إلى مَن يحرسُ هذه العقائد ويحفظها عن تحليل أهل البلاغ، ولو بمقدّماتٍ جدّيّة ومسلّماتٍ عند الخصم».

ثمّ قال قدّس سرّه: «وأمّا معرفةُ هذه الأنوار من العلم بالله، وتوحيد ذاته وصفاته، وكيفيّة علمه وقدرته وسَمْعِه وبصره ومشيّته وإرادته، بنور البصيرة، ومشاهدة الباطن، فهي أمرٌ وراءَ اعتقاد العامّي وإيمان الكلاميّ، وليس ذلك ممّا يشير لكلّ أحدٍ ويقع في وسع كلّ مكلّف، بل هو نورٌ من أنوار فضل الله يختصّ به مَن يشاء من عباده». انتهى.

أقول: ما ذكره قدّس سرّه في شرح الحديث حريٌّ بأن يُكتَب بالنّور على الأحداق، لا بالحبر على الأوراق، ولا غَرْوَ فإنّ هذه التّحقيقات وأمثالها ممّا يليق بجنابه، فظهر أنّ النّاس مأمورون بالمعرفة؛ كلّ واحد منهم بحسب ما يليقُ بحاله.

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ..﴾
فضلٌ في العَفو، وعدلٌ في العقاب

العلّامة السّيّد عبد الله شبّر

المقالة التّالية للعلّامة السّيّد عبد الله شبّر من كتابه (السّلوك إلى الله) تتناول أهمّيّة تذكُّر مراحل ما بعد الموت؛ من القبر إلى الحساب. فإذا أحسن المرء استحضار هذه المواقف أفلحَ في سلوكه وأعدّ العدّة ليومٍ لا ينجو فيه إلّا مَن أتى الله تعالى بقلبٍ سليم.

المعاد، وأصلُه مكان العَوْد، أو زمانُه. والمرادُ به أنَّ الله سبحانه يُعيدُ أبداننا بعد موتها مع أرواحها كهيئتها للجزاء على الأعمال. ولولا المعاد لكان التّكليف عَبَثاً وذهبت مظالمُ العِباد، وتَساوى أهل الصّلاح والفساد. وقد تظافرت به الآيات، وتواترت به الرّوايات فيجبُ الإقرارُ به. وكلُّ ما أخبر به النّبيّ الصّادق صلّى الله عليه وآله فهو حقّ. والموت عَيانٌ لا يحتاجُ إلى بيان: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ..﴾ آل عمران:١٨٥، وهو مصلحةٌ للمؤمن وللكافر كما في الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام.

وليس الموتُ أمراً يَعدمنا، بل هو الحياة الحقيقيّة كما قال صلّى الله عليه وآله: «**خُلِقتُمْ لِلبَقاءِ لا لِلفَناءِ**»، وفي المرتضويّ: «**النَّاسُ نِيامٌ، فَإذا مَاتُوا انْتَبَهُوا**».

من القبر إلى الحساب

* **المُساءَلةُ في القبر**، وثوابُه، وعذابُه حقٌّ لإخبار النبيّ صلّى الله عليه وآله والمعصوم عليه السّلام بها، فيَجبُ الإذعانُ بذلك كلّه. قال تعالى: ﴿..وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون:١٠٠. والبرزخ هي الحالةُ التي تكون ما بين المَوت والبعث. وتكون الرّوحُ في هذه المدّة في بدنها المثاليّ، الّذي يرى الإنسانُ نفسَه فيه في النّوم. فالنّوم أخُ الموت، وفي النّبويّ الشّريف: «**وَالَّذي بَعَثَني بِالحَقِّ لَتموتُنَّ كَما تَنامونَ، ولَتُبعَثُنَّ كَما تَستَيقِظونَ**».

وأكثر ما يكون عذابُ القبر من سوء الخُلُق، والنّميمة، والاستخفاف بالتَّطَهُّر من البَول. وهو للمؤمنين كفّارةُ ما بقيَ عليهم من الذّنوب التي لا تُكفّرها الهموم، والغموم، والأمراض، وشدّةُ النّزع عند الموت، وتَطاير الكتب، ونشْرُها. وقد رُوي: «**مَا أَقَلَّ مَنْ يُفْلِتُ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ**».

* **والميزان والحساب حقّ**؛ قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ..﴾ الأنبياء:٤٧. والميزانُ ميزانان: ميزانٌ باطنيّ، وهو الأنبياء والأئمّة، كما عن الإمام الصّادق عليه السلام، قال: «**هُمُ الأَنْبِياءُ وَالأَوْصِياء**». وميزانٌ ظاهريّ، كما في الآيتَين من سورة الأعراف: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ الأعراف:٨-٩، فمَن ثقُلت أعمالُه في الباطنيّ ثقُلت في الظّاهريّ، ومَن خفّت أعمالُه في الباطنيّ خفَّت في الظّاهريّ. والواجبُ الإيمان بالميزان إجمالاً. ولا يجب العِلم بكيفيّته، وتفاصيله. وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام كيف يحاسبُ اللهُ الخلقَ على كَثرتهم؟ فقال عليه السّلام: «**كَما يَرزُقُهُمْ على كَثْرتِهِمْ**».

وفي الكتاب العزيز: ﴿.. وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ الأنعام:٦٢. ويأبى الله تعالى إلّا أن يعرّفهم حقيقةَ ذلك؛ ليبيّن لهم فضلَه عند العفو، وعدلَه عند العقاب؛ فيخاطب عبادَه جميعاً - من الأوّلين والآخرين - بمُجمَلِ حسابِ أعمالهم مخاطبةً واحدة، يسمع كلُّ واحدٍ منهم قضيّتَه دون غيره، ويظنّ أنّه المخاطَب دون غيره، لا تشغلُه عزَّ وجلَّ مخاطبةٌ عن مخاطبة، ولا ينجو من خطر الميزان والحساب إلّا مَن حاسبَ نفسه في الدّنيا، ووزنَ بميزان الشّرع أعمالَه، وأقوالَه، وخطَراته، ولَحَظاتِه.

(بتصرّف)

نَفْيُ الصِّفَات

دلالاتُها الاصطلاحيّة، ومقاصدُها القرآنيّة

العلامة الشّيخ محمّد جواد مغنيّة*

لا يختلفُ اثنان من المسلمين في أنّ الله سبحانه يوصَفُ بكلّ ما وَصَفَ به نفسه في كتابه العزيز، وأنّ عظَمته في الكمال والجلال كما هي لا يحدّها وَصْفٌ، ولا يُدركها عقل، وأنّها أزليّةٌ أبديّة تماماً كذاتِه القُدسيّة.. وإنّما الكلام والخلاف في أنّ الصّفات العليا بأيّ معنى تنسب إليه تعالى، وتطلق عليه؟

- هل تُنسب إليه، جلَّت عظَمته على أنّها شيءٌ غير الذّات، وزائدة على كُنهها وحقيقتها تماماً كما هي الحال في وصف الإنسان بالعلم، فإنّ حقيقة الإنسان حيوان ناطق، وحقيقة العلم الكشف عن الواقع، فإذا وصفنا الإنسان بالعلم فقد وصفناه بما هو زائد وخارج عن ذاته وطبيعته، وإلّا كان الإنسان - بما هو - عالماً من غير كسبٍ واستفادةٍ وبحثٍ ودرس، وهذا خلاف الحسّ والوجدان.

- هل وصفُ الله بالعلم وغيره كذلك وعلى هذه الحال، أو أنّ الله يوصَف بالعلم والقدرة بمقتضى ذاته وحقيقته، لا بشيء زائد عنها تماماً كوصف الإنسان بالإنسانيّة، والشّجر بالشّجريّة، مثلاً؟

آراء المُتكلّمين

قال الأشاعرة: كلّ صفاته، تعالى، غيرُ ذاته وزائدةٌ عليها، ومعنى هذا أنّ ذاته - بما هي - لا تقتضي العلم والقدرة ونحوهما من الكمال، تماماً كما أنّ ذات الإنسان لا تقتضي العلم. وقد تخطّوا بذلك حدود التّوحيد حيث يلزمُهم القول بتعدّد القديم، كما تخطّوا حدود العدل في قولهم بالجَبر.. وما لنا ولهم، فلنَدعهم وشأنهم.

وذهب أهل العدل والتّوحيد إلى أنّه لا صفات لذاتِ الله تزيد على ذاته، وأنّ وصفَه بالعلم والقدرة تماماً كوصف الإنسان بالإنسانيّة، والشّجر بالشّجريّة، لأنّ ذاته تعالى - بما هي وبطبعها وحقيقتها - تقتضي العلم والقدرة، بل هي عينُ العلم والقدرة، كما أنّ الإنسانيّة عينُ الإنسان، لأنّ كماله تعالى ذاتيّ لا كسبيّ، ومطلَق غير مقيَّد بشيءٍ دون شيء، وجهة دون جهة، وأنّه بموجب هذا الكمال الذّاتيّ المطلق غنيٌّ عن كلّ شيء يزيد على ذاته وكُنهه..

> **لا مصداقَ ولا مفاهيم، ولا حيثيّات وجِهات.. لا شيءَ على الإطلاق إلّا واجبُ الوجود الكامل المطلَق من كلّ وجه، وإنّ التّعدّد إنّما هو في أنواع الكمال وأقسامه.**

ولماذا الزّيادة وما هو الدّاعي إليها ما دامت الذّات القدسيّة كاملةً بنفسها من كلّ الجهات، وهل نحتاج إلى الزّائد لنكملَ به الكامل، ونتمّمَ التّامّ، وعلى هذا إذا أُطلقت صفات الكمال عليه تعالى - كالعالم والقادر - فيجب أن يراد بها نفس الذّات القدسيّة التي تقتضي القدرة والعلم، بل هي عين العلم والقدرة، تماماً كما يراد من كلمة «الله». وكلّ وصفٍ جاء في القرآن الكريم، وعلى ألسنة الرّاسخين في العلم فإنّ المراد هذا المعنى بالخصوص..

* فقيه وعالم دين من لبنان توفّي سنة ١٩٧٩م، والنّصّ مقتطف من كتابه (في ظلال نهج البلاغة)

وحدة الذّات، وتعدّد الصّفات

أمّا الصفات المنفيّة عن ذاته تعالى في كلام أمير المؤمنين عليه السّلام، فهي الأحوال الخارجة عن الذّات والزّائدة عليها وتعرّض لها بسببٍ من الأسباب، تُنفى هذه عنه لأنّها من صفات المخلوقين دون الخالق.

وتسأل: كيف نتصوّر وحدةَ الذّات مع تعدّد الصّفات، وهل هذا إلّا كقول مَن قال: الأب والابن وروح القدس إلهٌ واحد؟

وأجاب البعض بأنّ الصّفات بالنّسبة إليه تعالى متعدّدةٌ مفهوماً متّحدةٌ مصداقاً.

وهذا الجواب - كما نرى - لا يحلّ الإشكال، لأنّ صدقَ المفاهيم العديدة على شيءٍ واحد يستدعي أن تكون به حيثيّاتٌ عديدة، فيُقال: هو عالمٌ لصِدق مفهوم العلم عليه، وقادرٌ لصِدق مفهوم القدرة.. والله واحدٌ من كلّ وجهٍ لا حيثيّات له وجهات.. أجل، يقال: هو علمٌ لأنّ العلم ذاتيّ له، وهو عالمٌ لأنّه يعلم كلّ شيء، ولكنّ الجهة هنا واحدة، وهي العِلم.

والأَولى في الجواب: أنّه لا مصداقَ ولا مفاهيم، ولا حيثيّات وجِهات.. لا شيءَ على الإطلاق إلّا واجبُ الوجود الكامل المطلَق من كلّ وجه، وإنّ التّعدّد إنّما هو في أنواع الكمال وأقسامه، لا في ذات الكامل المطلَق الذي هو المبدأ الأوّل لكلّ كمال.

وبتعبيرٍ ثانٍ: كما أنّ تعدّد المخلوقات لا يتنافى مع وحدة الخالق، كذلك تعدّد الكمالات لا يتنافى مع وحدة مبدئها ومصدرها.

يقول الإمام عليّ عليه السّلام: «**وَكَمالُ الإِخْلاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفاتِ عَنْهُ**». أي نفيُ الصّفات الخارجة عن الذّات وطبيعتها، لا نفيُ الصّفات التي هي عينُ الذّات وحقيقتُها، وإلّا فإنّ «كلام الإمام عليه السّلام مليءٌ بصفات الله سبحانه، بل هو في هذا الكلام يصفُه أكملَ الوصف»، كما قال الشّيخ محمّد عبده.

معنى «نَفي الصفات» في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

«ما ورد في كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام: (**وَكَمالُ الإِخْلاصُ لَهُ نَفْيُ الصِّفاتِ عَنْهُ**)؛ فالمرادُ به نفيُ الصّفة الموجودة بوجودٍ غيرِ وجودِ الذّات، كالبياض في الأبيض، لا كالنّاطق للإنسان.

ولمّا كان أكثر ما يُطلق عليه اسمُ الصّفة هو الّذي يكون أمراً عارضاً، ولا يُقال للمعاني الذّاتيّة للشيء إنّها صفاتٌ له، نفى عنه [تعالى] الصّفة. ألا ترى إلى قوله عليه السّلام بعد ذلك: «**فمَنْ وَصَفَ اللهَ سُبْحانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنّاهُ**»، فعُلم أنّه عليه السّلام أراد بالصّفة ما قارنَ الذّات الموجب للاثنينيّة فيها.

فالعلمُ في غيره، سبحانه، صفةٌ زائدةٌ، وفيه نفسُه تعالى؛ فهو علمٌ باعتبار وعالِمٌ باعتبار، وهكذا في سائر الصّفات. وهذه الاعتبارات العقليّة لا توجِبُ تكثّراً في ذاته بوجهٍ من الوجوه، ولا تخلّ بوحدانيّته الصّرفة الخالصة أصلاً، بل تزيده وحدةً، لأنّه لو فُرض أنّه لم يكن في ذاته شيءٌ منها، لما كان واحداً حقيقيّاً؛ مثلاً لو فرض أنّه علم وليس بقدرة، أو أنّه علم وليس بعالِم، لكان فيه جهةٌ غير جهةِ الوجوب والوجود، وهي جهةُ الإمكان والعدم، فيلزم تركُّبه من جهتَيْن وهو محال».

(الوافي، الفيض الكاشانيّ)

حِكَم

الرِّضا بالذَّنْب، أعظمُ من رُكوبِه

من أقوال الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام:

* «لا تُعادِيَنَّ أَحَداً وَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّهُ لا يَضُرُّكَ، وَلا تَزْهَدَنَّ في صَداقَةِ أَحَدٍ وَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّهُ لا يَنْفَعُكَ، فَإِنَّكَ لا تَدْري مَتى تَرْجو صَديقَكَ، وَلا تَدْري مَتى تَخافُ عَدُوَّكَ، وَلا يَعْتَذِر إِلَيْكَ أَحَدٌ إِلّا قَبِلْتَ عُذْرَهُ وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ كاذِبٌ».
* «لا تَمْتَنِعْ مِنْ تَرْكِ القَبيحِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ عُرِفْتَ بِهِ، وَلا تَزْهَدْ في مُراجَعَةِ الجَميلِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ شُهِرْتَ بِخِلافِهِ، وَإِيّاكَ وَالرِّضا بِالذَّنْبِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ رُكوبِهِ، وَالشَّرَفُ في التَّواضُعِ، وَالغِنى في القَناعَةِ».
* «مَنِ اتَّكَلَ عَلى حُسْنِ اخْتِيارِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ، لَمْ يَتَمَنَّ أَنَّهُ في غَيْرِ الحالِ الَّتي اخْتارَها اللهُ تَعالى لَهُ».
* «قيل له عليه السّلام: مَن أعظم النّاس قدراً؟ فقال: مَنْ لا يَرى الدُّنْيا لِنَفْسِهِ قَدْراً».
* «ما اسْتَغْنى أَحَدٌ بِاللهِ، إِلّا افْتَقَرَ النّاسُ إِلَيْهِ».
* «خَيْرُ مَفاتيحِ الأُمورِ الصِّدْقُ، وَخَيْرُ خَواتيمِها الوَفاءُ».

لغة

حجر

الْحَاءُ وَالْجِيمُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ الْمَنْعُ وَالْإِحَاطَةُ عَلَى الشَّيْءِ.

– فَالْحَجْرُ حَجْرُ الْإِنْسَانِ، وَقَدْ تُكْسَرُ حَاؤُهُ؛ يُقَالُ: «حَجَرَ الْحَاكِمُ عَلَى السَّفِيهِ حَجْراً»؛ وَذَلِكَ مَنْعُهُ إِيَّاهُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ.

– وَالْعَقْلُ يُسَمَّى حِجْرًا لِأَنَّهُ يَمْنَعُ مِنْ إِتْيَانِ مَا لَا يَنْبَغِي، كَمَا سُمِّيَ عَقْلًا تَشْبِيهًا بِالْعِقَالِ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ الفجر:٥.

– وَالْحَجَرُ مَعْرُوفٌ، وَأَحْسِبُ أَنَّ الْبَابَ كُلَّهُ مَحْمُولٌ عَلَيْهِ وَمَأْخُوذٌ مِنْهُ، لِشِدَّتِهِ وَصَلَابَتِهِ.

– وَالْحِجْرُ: الْفَرَسُ الْأُنْثَى؛ وَهِيَ تُصَانُ وَيُضَنُّ بِهَا.

– وَالْحَاجِرُ: مَا يُمْسِكُ الْمَاءَ مِنْ مَكَانٍ مُنْهَبِطٍ، وَجَمْعُهُ حُجْرَانٌ.

– وَحَجْرَةُ الْقَوْمِ: نَاحِيَةُ دَارِهِمْ وَهِيَ حِمَاهُمْ. وَالْحُجْرَةُ مِنَ الْأَبْنِيَةِ مَعْرُوفَةٌ.

– وَالْحِجْرُ: حَطِيمُ مَكَّةَ، هُوَ الْمُدَارُ بِالْبَيْتِ.

– وَالْمَحَاجِرُ: الْحَدَائِقُ: وَاحِدُهَا مَحْجِرٌ.

– وَالْحِجْرُ: الْقَرَابَةُ. وَالْقِيَاسُ فِيهَا قِيَاسُ الْبَابِ؛ لِأَنَّهَا ذِمَامٌ وَذِمَارٌ يُحْمَى وَيُحْفَظُ.

تاريخ

زاوية مخصّصة لأوراق من التّاريخ، ترقى إلى مستوى الوثائق السياسيّة

سمعتُ اللّعنَ، ولم أسمع الاستغفار

«.. عن عمران بن طفيل، عن أبي تَحيى (نجبة)، قال: سمعتُ عمّارَ بن ياسر رحمه الله يعاتبُ أبا موسى الأشعريّ، ويوبّخه على تأخّره عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وقعوده عن الدّخول في بيعتِه، ويقول له: (يا أبا موسى، ما الذي أخَّرَكَ عن أمير المؤمنين عليه السلام؟ فَوَاللهِ لَئِنْ شَكَكْتَ فيه لَتَخرُجَنّ عن الإسلام). وأبو موسى يقول له: (لا تفعل، ودَعْ عتابَك لي، فإنّما أنا أخوك).

فقال له عمار: (ما أنا لكَ بأخ! سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يلعنُك ليلةَ العَقَبة وقد هَمَمْتَ مع القوم بما هَمَمْتَ).

فقال له أبو موسى: (أفليسَ قد استغفرَ لي؟). قال عمّار: (قد سمعتُ اللّعنَ ولم أسمع الاستغفار)». (الشيخ الطوسي، الأمالي: ص ١٨١)

**

* جاء في موسوعة (الإمام علي عليه السلام في الكتاب والسّنة، للريشهري: ج ١٢، ص ٤٠) ما ملخّصه: «أبو مُوسَى الأشْعَرِي، هو عبد الله بن قيس بن سليم، وليَ البصرة في عهد عمر وظلّ والياً عليها إلى أوّل خلافة عثمان فعزلَه، ثمّ ولّاه على الكوفة بطلبٍ من أهلها. وعندما تسلّم أمير المؤمنين عليه السلام مقاليد الخلافة أبقاه في منصبه. اعتزل أبو موسى القتال في صفّين وانضمّ إلى القاعدين. ولكن عندما فُرِضَ التحكيم على الإمام عليه السلام، فُرِضَ أبو موسى أيضاً حَكَماً، فانخدع أبو موسى بمكيدة ابن العاص فعزل علياً عليه السلام عن الخلافة وأثبتَ عمرو بنُ العاص معاوية، فعبّر أبو موسى بحماقته هذه عن دوره المُخزي في التّاريخ، وساقَ المجتمع الإسلاميّ إلى هاوية الدّمار».

* وفي (مسند أحمد: ج ٥، ص ٤٥٣) ما ملخّصه: «لمّا أقبل رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم من غزوة تبوك، أمر منادياً فنادى أنّ رسول الله أخذ العَقَبة فلا يأخذْها أحدٌ، فبينما هو صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقودُه حذيفة ويسوقُ به عمّار، إذ أقبل رهطٌ متلثّمون على الرّواحل، فجعلَ عمّار يضربُ وجوهَ الرّواحل، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعمّار بعد ذلك: **يا عمّار هل تَدري ما أرادوا؟ ... أرادوا أن ينفّروا برسول الله فيَطرحوه** [أي يقتلوه].

فسابّ عمّار رجلاً [الرّجل هو أبو موسى الأشعري، ولم يذكره أحمد باسمه، وفي رواية أخرى أنّ الحوار جرى بين أبي موسى وحذيفة] من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم فقال: (نشدتُك بالله! كم تعلم كان أصحابُ العَقَبة؟)، فقال: (أربعة عشر)، فقال: (إنْ كنتَ فيهم فقد كانوا خمسةَ عشر، فعدّد رسولُ الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم منهم ثلاثة، قالوا: واللهِ ما سمعنا مُنادي رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وما عَلِمنا ما أراد القوم). فقال عمّار: (أشهدُ أنّ الاثنَي عشر الباقين حربٌ لله ولرسوله في الحياة ويومَ يقومُ الأشهاد..)».

بلدان

أماكن ارتبطت أسماؤها بأحداث مفصلية أو أشخاص رياديّين

باكو

باكو عاصمة جمهوريّة آذربيجان، على ساحل بحر قزوين، وتُعدّ المركز العلميّ والثّقافيّ والصّناعيّ للبلاد، وازدادت أهميّتها كمركز اقتصاديّ إقليميّ بعد أن تمّ استخراج النّفط فيها لأوّل مرّة سنة ١٨٤٧م.

تشير الإحصاءات الرّسميّة إلى أنّ ٢٥٪ من كامل الآذربيجانيّين يقطنون باكو وضواحيها دون غيرها من المناطق في البلاد. يعتنق أغلبيّتهم الإسلام دينًا، ومعظمهم من الشّيعة الإماميّة، أمّا اللّغة الرّسميّة فهي الآذريّة التي تنتمي إلى عائلة اللّغات التّركيّة.

عرّفها بلدانيّو العرب بأسماء عديدة منها: «باكو»، و«باكويّة»، و«بادكوبا»، وكلّ هذه الأسماء مشتقّة من الفارسيّة القديمة وتعني «ريح ضاربة»، وبالتّالي يُقصد بها «المدينة التي تضربها الرّياح»، إذ إنّ باكو تشتهر بعواصفها الثّلجيّة العنيفة ورياحها العاتية.

جاء في كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحمويّ: «باكُويه: بلدٌ من نواحي الدّربند من نواحي الشّروان، فيه عينُ نفطٍ عظيمة، تبلغ قبالتها في كلّ يوم ألف درهم، وإلى جانبها عين أخرى تسيل بنفط أبيض كدهن الزّيبق، لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً...».

باكو مدينةٌ متمازجة الثّقافة، ما يدلّ على ذلك هو طراز العمارة، فالمباني العائدة للعهد الرّوسيّ يطغى عليها الطّراز الأوروبيّ، وتلك السّابقة لهذا العهد يغلب عليها الطّابع الإسلاميّ، فقصور حارات المدينة القديمة مُزيّنةٌ ومزخرفةٌ بالنّقوش والآيات القرآنيّة.

وباكو – في الأصل – من المدن الإيرانية التي احتلّتها الإمبراطوريّة الروسيّة منذ مطلع القرن التاسع عشر، مع أراضٍ أخرى تشكّل اليوم جمهوريّة آذربيجان.

(مصادر)

السيدة زينب الكبرى عليها السلام

طاشَتْ بِها الأَلْبابُ وَالفِكْرُ كَبا

■ الشّيخ حسن ابن الشّيخ كاظم سَبْتيّ

ما فتىء الزّمان يستذكر بطلة كربلاء، زينب الكبرى ابنة أمير المؤمنين وأخت سيّد الشّهداء عليهم السلام... فكلّما أوغلت في الغياب، شفَّ حضورها، فإذا هي على لسان الحاضر والبادي، والأديب والشّاعر، وفي قلوب محبّي أهل البيت الّذين طهّرهم الله تطهيراً... وللأديب والخطيب والشّاعر حسن بن كاظم السّبتيّ ابن الشّاعر الشّيخ كاظم السّبتيّ المولود في النّجف الأشرف (١٢٩٩- ١٣٧٤ للهجرة = ١٨٨٢- ١٩٥٤م) ديوان (الكلم الطّيّب)، يقفُ فيه على أعتاب المعصومين عليهم السّلام، وإليك ممّا قاله في حقّ العقيلة زينب عليها السلام وفضلها:

سَــلْ زَيْنَبا عَمّــا عَلَيْهِــمْ جَرى ... عَمّــا عَلَيْهِمْ جَــرى سَــلْ زَيْنَبا
هِيَ العَقيلَــةُ الّــتي عَنْهــا رَوَى ... الحَــبْرُ ابْنُ عَبّــاسٍ وَعَنْهــا كَتَبا
عامَيْنِ مِنْ بَعْدِ شَــقيقِها الحُسَــيْنِ ... وُلِدَتْ أَهْــلاً بِهــا وَمَرْحَبــا

إلى أن يقول:

وَبُــشِّرَ النَّــبِيُّ لَمــا وُلِدَتْ ... وَهُــوَ عَلى المِنْــبَرِ يُلْــقي الخُطْبا
بَــشَّرَهُ سَــلْمانُ فيهــا بَعْــدَ ما ... وافــاهُ جِبْريــلُ بِــذاكَ مُطْنِبــا
وَقــالَ سَــمّاها الإِلَهُ في السَّــما ... بِزَيْنَــبٍ لِمــا تُقــاسي نُوَبــا
فَــأَمَّ دارَ ابْنَتِــهِ فاطِمَــة ... مُهَنِّيــا لَهــا بِهــا مُرَحِّبــا
إِنْ قَصَــدَتْ تَــزورُ قَــبْرَ جَدِّها ... شَــوْقاً إِلَيْــهِ إِذْ هُــمْ بِيَثْرِبــا
أَخْرَجَهــا لَيْــلاً أَمــيرُ المُؤْمِنينَ ... وَالحُسَــيْنُ وَالــزَّكِيُّ المُجْتَــبى
يَسْــبِقُهُمْ أَبوهُــمْ فَيُطْفِــئُ ... الضَّــوْءَ الّذي في القَــبْرِ قَــدْ تَرَتَّبا
قيــلَ لَهُ لِــمَ ذا فَقــالَ: إِنَّــني ... أَخْشى بِــأَنْ تُنْظَــرَ عَــيْنُ زَيْنَبا
روحي لَهــا الفِــداءُ مِــنْ مَصونَةٍ ... زَكِيَّــةٍ كَريمَــةٍ ذاتِ إِبــا
ذاتِ عفــافٍ وَوَقــارٍ وَحِــجى ... مَــنْ شُرِّفَــتْ أُمّــاً وَجَــدّاً وَأَبا
أَحْمَــدُ جَــدّي وَعَــلِيٌّ وَالِدي ... وَفاطِــمَ أُمّ فَأَكْــرَمُ نَسَــبا
تَكَفَّلَــتْ أَثْقَــلَ مــا في الدّارِ ... بَعْــدَ أُمِّهــا مِــنَ ايّــامِ الصِّبا
وَجَرَعَــتْ مــا جَرَعَتْــهُ أُمُّهــا ... مِنَ الأَذى مــا مِنْهُ تُنْسَــفُ الرُّبَى
عَيْبَــةُ عِلْــمٍ غَــيْرَ أَنَّ عِلْمَهــا ... غَريــزَةٌ وَلَــمْ يَكُــنْ مُكْتَسَــبا
عالِمَــةٌ عامِلَــةٌ لِرَبِّهــا ... طولَ المَدى سِــوَى التُّقَى لَنْ تَصْحَبا
صِدِّيقَــةٌ (صُغــرى) لِجَــمِّ عِلْمِها ... طاشَــتْ بِها الأَلْبــابُ وَالفِكْرُ كَبا
فَيــا لَهــا داعِيَــةٌ إِلى الهُــدى ... في حَــلِّ كُلِّ مُشْــكِلٍ قَــدْ صَعُبا
ذاتُ فَصاحَــةٍ، إِذا مــا نَطَقَــتْ ... حيناً، تَخــالُ المُرْتَضى قَــدْ خَطَبا
سَــلْ مَجْلِسَ الشّــامِ وَما حَــلَّ بِهِ ... مُذْ خَطَبَتْ مــاجَ بِهِــمْ وَاضْطَرَبا

إصدارات عربية

الكتاب: الشّخصيّة القياديّة للنّبيّ، محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، في فكر الإمام الخامنئيّ دام ظلّه

إعداد: «مركز نون للتّأليف والتّرجمة».

النّاشر: «جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثّقافيّة»، بيروت ٢٠١٤م.

هذا الكتيّب واحدٌ من سلسلة «في رحاب الوليّ الخامنئيّ» التي يصْدرها «مركز نون»، وهو يتضمّن اقتباسات من كلام الإمام الخامنئيّ، دام ظلّه، في مناسبات عدّة، تتمحور حول الرّسول الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله، نُسّقت وبوّبت لتأتي بصورة بحثٍ مُتكامل في موضوعه.

جاء في تقديم المركز: «هذا الكتاب هو دراسة تحليليّة موضوعيّة في صفات الشّخصيّة القياديّة لرسول الله صلى الله عليه وآله، معتمدةً في ذلك على قراءة الإمام السّيّد عليّ الخامنئيّ الموضوعيّة والتّحليليّة، وذلك طوال مدّة تبليغه الرّسالة الإسلاميّة وبناء الدّولة الإسلاميّة».

أمّا فصول الكتاب فجاءت عناوينها كالتّالي:

- الحقيقة الوجوديّة والخلقة النّورانيّة للرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله.
- السّيرة الشّخصيّة.
- أرضيّة تثبيت الإسلام.
- الخصائص المعنويّة للرّسول صلّى الله عليه وآله.
- آثار الرّسول صلّى الله عليه وآله وبركاتُه.
- أخلاق الرّسول، صلّى الله عليه وآله، وسيرتُه.
- تعاليم الرّسول، صلّى الله عليه وآله؛ وهي تتضمّن الكثير من العناوين التّفصيليّة: كالحديث عن العِصمة، وإعجاز القرآن الكريم، ووحدة الأُمّة الإسلاميّة، وجملة من التّعاليم الأخلاقيّة، وشؤون الحكم في الإسلام.

الكتاب: عراق الطّين والشّياطين.

المؤلّف: محمّد محمّد هويدي.

النّاشر: «المؤسّسة العالميّة للتّوعية الاجتماعيّة»، لندن ٢٠١١م.

يمكن وصف الكتاب بأنّه يعرّف بالتّاريخ السّياسيّ للعراق من منطلق الرّؤية القرآنيّة، حيث يستعرض الكاتب مجموعة من الأحداث القديمة والحديثة، مُحلّلاً لها ومقيّماً نتائجها على ضوء مؤامرات الخارج وعناصر الضّعف في الدّاخل.

جاء في مقدّمة الكتاب أنّه يتطرّق إلى أزمات العراق من خلال الجانب الدّينيّ ثمّ السّياسيّ، ويسلّط الضّوء على أبرز المشاريع ذات الصّبغة اللاهوتيّة والتّلموديّة في العالم، ليتعرّف إلى المشاريع السّياسيّة التي تنطلق منها في صناعة التّاريخ والحدث.

بموازاة ذلك، سيخوض الكتاب طويلاً في الأحداث التي صنعتْها السّلفيّة التكفيريّة في العراق، وتداعياتها عليه وعلى المنطقة، وسيتساءل عن الأحداث التي قامت بها في الماضي والحاضر إنْ كان لها علاقة مباشرة باللّعبة الدّوليّة وإدارة ملفّات العالم وصناعة وقائعه.

الكتاب: الحرب النّاعمة.. الأُسس النّظريّة والتّطبيقيّة

إعداد وإصدار: «مركز الحرب النّاعمة للدّراسات»، بيروت ٢٠١٤م

هذا الكتاب «إسهام علميّ يقدّم للقارئ العربيّ إضاءات حول أبرز مصاديق الحرب النّاعمة، ويعتمد الوثائق المنشورة، ويبيّن مدى خطورة هذه الحرب الّتي تدور رحاها صامتة، مستهدفة قيَم الإسلام المحمّديّ الأصيل»، كما جاء في التّقديم.

والحرب النّاعمة، كما يعرّفها الكتاب، صامتة بطبعها، فلا يُسمع فيها أزيز القذائف ولا أصوات جنازير الدّبّابات، ولهذا فهي لا تخضع للقانون الدّوليّ. بل هي شكل جديد من الحروب، يتّسم بالسّرّيّة والتّعقيد، وينفّذها العملاء، وثمرتها احتلال العقول والقلوب، وتدمير القيم السّياسيّة والثّقافيّة المعادية.

في هذا الكتاب نقرأ: مدخل إلى الحرب النّاعمة وأربعة أبواب تحت العناوين التّالية: الأصول النّظريّة للحرب النّاعمة – تطبيقات ونماذج ومنظّمات الحرب النّاعمة – الحرب النّاعمة على الصّحوة الإسلاميّة ومحور المقاومة – الحرب النّاعمة نقاط القوّة والضّعف.

الكتاب: «الوعيد لمراسلي الحروب: الولايات المتّحدة وحرّيّة الصحافة والإعلام».
War Reporters Under Threat – The United States and Media Freedom

المؤلّف: كريس بترسن.

النّاشر: «بلوتو برس»، لندن ٢٠١٤م.

يستعرض مؤلّف الكتاب - وهو أستاذ الميديا (الصحافة والإعلام) والاتّصالات في جامعات بالولايات المتّحدة و«جامعة ليدز» بالمملكة المتّحدة، وعملَ مصوّراً إخباريّاً تلفزيونيّاً - موقف الإدارات الأميركيّة المختلفة من الإعلاميّين الحربيّين، بعد هجمات ١١ سبتمبر/أيلول ٢٠٠١، والذين غطّوا العدوان الأميركيّ على العراق.

لاحظ المؤلّف ميلاً مُتعاظماً لوسائل الإعلام الأميركيّة إلى التّغطية على الحقيقة، فالإعلام الأميركيّ - في رأي الكاتب - يميل باطّرادٍ نحو الخضوع لرغبات الإدارات وكذلك القوّات الأميركيّة العاملة في ما لا يقلّ عن ١٣٤ دولة.

تابع الكاتب الموضوع على مدى عقدٍ من الزّمن، ووصل إلى القناعة الآتية: تصرّفات الإدارات الأميركيّة تجاه الميديا يجب أن تستدعي النّفير العامّ، ليس من بوّابة فضح ممارساتها السّرّية تجاه الصّحفيّين كأفراد، وإنّما أيضاً من كونها تهدّد أسس «النّظام الدّيمقراطيّ اللّيبراليّ»، وتشكّل تحذيراً من مستقبلٍ محفوف بالمخاطر تمسّ فيه كلّ الدّول حقوق الإنسان.

هذا كلّه ليس بجديد، لكن من الأمور الرّئيسيّة ذات العلاقة أنّ الدّولة التي تتبنّى مفهوم حرّيّة الوصول إلى المعلومة، هي التي تهدّد حياة المراسلين الحربيّين، وأنّ الميديا نفسها تتجاهل هذه الحقائق.

هدف المؤلّف هو وضع الولايات المتّحدة على قدم وساق مع كافّة الأطراف الأخرى (الرّسميّة وغير الرّسميّة) التي لا معنى لديها لمفهوم حرّيّة الصحافة والإعلام، وبالتّالي تشجيع العاملين في تلك الدّول على مواجهة الحقائق والمعايير المزدوجة التي يمارسونها. والهدف الرّئيسيّ الآخر هو حماية المهنة من تلك القوّة العظمى وأصدقائها في الشّرق الأوسط، والذين يطالبون جميعاً بحريّة الصّحافة لكنّهم يمارسون غير ذلك.

قسّم الكاتب مؤلفه إلى ستّة فصول. ففي الفصل الأوّل «الحرب الخفيّة على الميديا»؛ تناول موضوع إخفاء تلك الحرب على وسائل الإعلام عن الخطاب العامّ، وكيف يتمّ الصّمت عن الهجوم على الصّحفيّين.

الفصل الثّاني «ثقافة عدم التّسامح مع الصّحافة»؛ خصّصه الكاتب للحديث عن السّياسات الحكوميّة تجاه الميديا، التي أدّت إلى خلق أجواء مناسبة للعنف ضدّ الصّحافة منذ هجمات الحادي عشر من سبتمبر/أيلول.

في الفصل الثّالث «نماذج العنف: تجهيزات الميديا والعاملون في الحقل»؛ تطرّق الكاتب لمختلف أشكال الهجمات بعد عام ١٩٩٩، والتي تجلّت في أفغانستان والعراق، مُستعرضاً مسألة التّحكّم في الميديا وعلاقته بالاعتداءات «الإسرائيليّة»، ذاكراً الهجوم على مخيّم جنين تحديداً كمثالٍ إضافيّ.

خصّص الكاتب الفصل الرّابع «ردّ الميديا»؛ لصمت وسائل الإعلام العالميّة المريب عن الهجمات على العاملين في الحقل الإعلاميّ؛ ويجلب الكاتب أمثلة عديدة تؤكّد ذلك، ومن ذلك صمت وسائل الإعلام عن فيلم للتّلفزيون الإسبانيّ يوثّق هجوم القوات الأميركيّة في العراق على «فندق فلسطين» الذي أودى بحياة أحد زملائهم.

وأوضح المؤلّف في الفصل الخامس «القانونيّة»؛ كون هجوم قوّات الولايات المتّحدة وحلفائها في الشّرق الأوسط على العاملين في الميديا أمراً غير شرعيّ وتجب ملاحقته قانونيّاً.

أمّا الفصل السّادس والأخير «نزاع غير مرئيّ؟»، فقد خصّصه المؤلّف للحديث عن أنّ التّهديد المُستجدّ، في نهايات التّسعينيّات، للعاملين في مجال الصحافة والإعلام نابع من استراتيجيّة أميركيّة قائمة على ثلاث رُؤى: أُولاها، قبول الأوساط العسكريّة بمبدأ إسكات وسائل الاتّصال لدى العدوّ المحتمل، عن طريق الهيمنة على فضاء التّواصل.

والرّؤية الثّانية، قبول الأوساط العليا في الإدارة الأميركيّة توظيف عنف قاتل ضدّ الصّحفيّين الذين هم مدنيّون.

أمّا الرّؤية الثّالثة، فهي نشوء مبدأ السّماح باستخدام القوّة المفرطة ضدّ أيّ تهديد مُتخيّل - مهما كان ذلك مستبعداً - للعمليّات العسكريّة.

(نقلاً عن موقع شفقنا الالكتروني)

«دراسات استشراقيّة» (العدد الأوّل)

صدر عن «المركز الإسلاميّ للدّراسات الاستراتيجيّة» التّابع «للعتبة العبّاسيّة المُقدّسة» العدد الأوّل من دوريّة «دراسات استشراقيّة»، وهي فصليّة محكّمة تعنى بالتّراث الاستشراقيّ عرضاً ونقداً، يشرف عليها سماحة السّيّد أحمد الصّافي، الأمين العامّ «للعتبة العبّاسيّة المقدّسة»، ويرأس تحريرها السّيّد هاشم مرتضى الميلاني الّذي كتب في الافتتاحيّة: «..إنّ البوادر الأولى للاستشراق ظهرت بعدما أحسّ الغرب بالتّفوّق السّياسيّ والثّقافيّ الإسلاميّ.. بعد هذا بدأ الغرب، وآباء الكنيسة تحديداً، بدراسة الإسلام بغية التّعرّف عليه والوقوف أمامه.. فكانت النّواة الأولى لولادة الاستشراق.. وقد فوجئ العالم الإسلاميّ بعد فترة بعشرات الآلاف من الكتب والدّراسات الّتي تخصّ جميع جوانب حياته الفرديّة والاجتماعيّة والدّينيّة وغيرها، وقد تنوّعت وتوسّعت هذه الدّراسات بحسب حاجة الغرب السّياسيّة أو العسكريّة أو الثّقافيّة من جانب، والتّطوّرات السّياسيّة والثّقافيّة الحاصلة عند المسلمين من جانبٍ آخر».

ومن محتويات العدد:

- مراجعة ونقد لأثر صادر من مستشرق معاصر (الشّيعة - تأليف هاينس هالم)، بقلم أ.د. فاضل الحسيني.
- «الاستشراق.. تاريخه ومراحله»، للدكتور محمّد حسن زماني.
- «جولة في دائرة معارف ليدن القرآنيّة»، أعدّها الدكتور محمد رضائي.

«العقيدة» (٢)

... وعن «المركز الإسلاميّ للدّراسات الاستراتيجيّة» نفسه، صدر العدد الثّاني من فصليّة «العقيدة» التي تُعنى بمسائل علم الكلام القديم والجديد.

جاء في افتتاحيّة العدد: «لقد غاب علم الكلام عن السّاحة المعرفيّة التي نعيشها اليوم، ولم نرَ اهتماماً به من قِبَل مختلف الأندية الفكريّة والثّقافيّة إلّا على مستوى إعادة طباعة بعض المتون الكلاميّة القديمة - محقّقة وغير محقّقة - والاكتفاء بالمسائل الخلافيّة المُتعلّقة بفروع الإمامة، وهذا الأخير هو الطّافح على وسائل الإعلام سواء أكانت شيعيّة أو سنّيّة، الأمر الذي ينذر بخطرٍ حقيقيّ لغياب هذا العلم المبارك عن مدار اهتماماتنا الفكريّة».

أمّا محتويات العدد فمنها:

- **ملّف العدد**: الغدير في السُّنّة المتواترة (دراسة في كتاب الغدير للعلّامة الأميني)، أعدّها الدّكتور صادق حسن عليّ. - فقه حديث الغدير، للدّكتور فلاح رزاق جاسم.
- **باب الكلام القديم**: الهداية والضّلال في القرآن، لسماحة المرجع الدّينيّ الشّيخ جعفر السّبحاني. - حديث الرّزية (الحلقة الثّانية)، للسّيّد محمّد مهدي الخرسان.

«إيران الثّقافيّ» (١٦)

صدر عن «المركز الثّقافيّ الإيرانيّ في بيروت» العدد السّادس عشر من فصليّة «إيران الثّقافيّ»، التي تعنى بشؤون الثّقافة والفن والتراث والعلوم في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

من محتويات العدد:

- مدينة سنندج، عراقة التّراث والأصالة.
- ابن مسكويه عالم موسوعيّ.
- العالمة الإيرانيّة مريم ميرزا خاني، أوّل امراة تفوز بميداليّة فيلدز (نوبل للرّياضيّات).
- ارتقاء إيران إلى المركز السّابع عالميّاً في تكنولوجيا النّانو.
- ملخّص حوار مع الأديب اللّبنانيّ جورج جرداق، قال فيه ردّاً على سؤال عن ظروف تأليف كتاب (الإمام عليّ عليه السّلام صوت العدالة الإنسانيّة): «بتشجيع من شقيقي فؤاد قرّرت قراءة (نهج البلاغة) وحفظه غيباً.. ما أسهم في نموّي الفكريّ، وكلّما كنت أمضي قدُماً كنت أتوصّل إلى هذه النّتيجة من أنّه يجب إنجاز عمل عالميّ حول الإمام عليّ عليه السّلام..».

احملوا القرآن بيَد، وباليد الأخرى السّلاح

عالَمُ اليوم
هو عالَم المستضعفين،
وعاجلاً أو آجلاً
سيكون النّصر لهم،
وهم وارثو الأرض،
وحكّامها
بأمر الله تعالى».

«لا تدَعوا قوّة الشّباب تذهب من أيديكم. بقدر ما تُفقَد قوّة الشّباب تزداد جذورُ الأخلاق الفاسدة في الإنسان ويصير الجهادُ أكثرَ صعوبة. الشّابّ يستطيع الانتصار بسرعة في هذا الجهاد، والشّيخ لا يستطيع ذلك بهذه السّرعة، لا تَدَعوا إصلاحَ أنفسكم يتأخّر إلى زمان الشّيخوخة، إحدى المكائد التي تكيدها نفسُ الإنسان له، ويقترحها الشّيطان عليه، هي أنّه: دَعْ إصلاحَ نفسك إلى آخر العمر، الآن استفِد من الشّباب، ثمّ تُبْ في آخر العمر..».

(صحيفة نور: ج ٧، ص ٢١١)

***

«إنّ أُمّةً يصلّي شبّانُها صلاةَ اللّيل في الجَبَهات، ويجاهدون في سبيل الله تعالى، ويَرونَ هذا الجهاد فخراً لهم، لم يَشْغَلهُم طلبُ فرص الحياة والاسترخاء، يُمضون ليلَهم ونهارَهم في المتراس في ذلك الطّقس الحارّ ومع انعدام الماء، وفي تلك الشّدّة، ويتقدّمون إلى الأمام.. مَن يريد أن يقفَ في مقابل هذه الأمّة؟!».

(خطاب بتاريخ ٢٩ حزيران ١٩٨١م)

***

«يا أعزّائي الشّباب، احملوا القرآن بيَد، وباليد الأخرى السّلاح، ودافعوا عن كرامتكم وشرفكم حتّى تسلبوا منهم [الأعداء] قدرةَ التّفكير في التّآمر عليكم. [كونوا] رحماءَ مع أصدقائكم ولا تقصّروا بإيثارهم بكلّ ما لديكم. كونوا واعين، فعالَمُ اليوم هو عالَم المستضعفين، وآجلاً أو عاجلاً سيكون النّصر لهم، وهم وارثو الأرض، وحكّامها بأمر الله تعالى».

(صحيفة نور: ج ١٢، ص ١٩)

***

«أنتم الآن شبّان ".." إنْ لم تفكّروا بالتزكية والتربية، فكيف تستطيعون أن تربّوا أنفسكم وتهذّبوها وقتَ الشّيخوخة، عندما يسيطر الضّعف والكَسَل والارتخاء والبرودة على جسمكم وروحكم، وتكونوا قد فقدتم قوّة الإرادة والتّصميم والمقاومة، وزاد حملُ الخطيئةِ والمعصية سوادَ القلب؟».

(خطاب في باريس بتاريخ ١٤ تشرين الأوّل ١٩٧٨م)

أطلبها من المكتبات

شعائر

مجلّة شهرية
تُعنى بالمعرفة الدينية الإسلامية
والثقافة الأخلاقية
تصدر عن المركز الإسلامي في بيروت

تصدر بداية
كل شهر هجري

www.saraer.org - info@saraer.org

لمشاهدة البث المباشر:
www.saraer.org/live.php

مدخل مسجد السيدة فاطمة عليها السلام

(أحد المساجد السبعة في المدينة المنوّرة، وقد أغلق الوهابيون السعوديون بابه لمنع الصلاة فيه)

www.saraer.org/shaaer
shaaer@saraer.org